رقم ٤ ، ١٩٦٠

الشؤون السوفيتية

يصدرها

معهد دراسة الشؤون السوفيتية

عدد خاص

بالسلام

في الاتحاد السوفيتي

الآراء المنشورة فى المجلة هى آراء كتابها ولا يجوز اعتبارها بأى شكل
كان عقيدة سياسية او وجهة نظر المعهد

المواد المنشورة هنا يمكن اعادة طبعها او اقتباسها بشرط الاشارة الى مصدرها

مجلة الشؤون السوفيتية

رقم ٤ ، ١٩٦٠

معهد دراسة الشؤون السوفيتية

معهد دراسة الشؤون السوفيتية هيئة تضم فريقا من الادباء والمثقفين المهاجرين من الاتحاد السوفيتى ؛ وهدفه نشر المعلومات الموثوق بها عن الاتجاهات والاحوال فى ذلك الاتحاد. وقد تاسس هذا المعهد فى عام ١٩٥٠ واتخذ مدينة ميونيخ فى المانيا مقرا لاعماله ؛ ويبلغ اعضاؤه الرسميون خمسين اديبا مهاجرا تقريبا ينتمون الى مختلف الجنسيات التى يتكون منها الاتحاد السوفيتى ؛ وتشمل دراساته العلوم الاجتماعية بصفة عامة ؛ منها مختلف نواحى الاقتصاد ؛ القانون ؛ الحكومة والحزب الشيوعى ، التاريخ ، التعليم ، الدين ، الادب ، وكيان المجتمع ونظامه .

نشاط المعهد

وتظهر نتائج ابحاث المعهد فيما يصدره من مطبوعات وما يجيب عنه من استعلامات وما يعقده من مؤتمرات. وتشتمل النشرات على مجموعة كبيرة من المجلات والدراسات وتقارير المؤتمرات وعدة مواد اخرى كقوائم باسماء الكتب للمكتبات. وتصدر هذه المطبوعات بعدة لغات. ومن اشهر ما يصدره المعهد من مطبوعات مجلة Bulletin ''بوليتين'' الشهرية التى تصدر باللغة الانكليزية ، وهى تحتوى على عدة مقالات موثوق بها عن التطورات الحديثة فى الاتحاد السوفياتى. ويلى هذه خمس مطبوعات اخرى تصدر اربع مرات سنويا باللغة الانكليزية ، وهى موقوفة على دراسة الحياة السوفياتية فى مناطق ذات اهمية خاصة. وتسمى هذه المطبوعات ''أوكرانيان رفيو'' Ukrainian Review و''بيلوراشيان رفيو'' Belorussian Review و''كوكازيان رفيو'' Caucasian Review وكذلك ايضا ''ذا إيست تركيك رفيو'' The East Turkic Review وا ''ستاديز اون ذى سوفيات يونيون'' Studies on the Soviet Union. وتصدر جريدة ''فيستنيك'' Vestnik بالروسية ومجلة ''اوكرانيان رفيو'' باللغة الاوكرانية ومجلة ''بيلوراشيان'' بلغة اهل روسيا البيضاء ، مرة كل ثلاثة اشهر ، وتحتوى على دراسات ادبية. وتقدّم مجلة ''درجى'' Dergi الصادرة باللغة التركية دراسات ذات اهمية خاصة للمناطق التى يتكلم سكانها اللغة التركية. وتصدر مجلة ''سوفيتشتودين''

Sowjetstudien مرتين فى السنة باللغة الالمانية ، وكذلك مجلة ''بروبلام سوفياتيك'' Problèmes soviétiques باللغة الافرنسية ومجلة ''اربيك رفيو'' Arabic Review باللغة العربية.

وبالاضافة الى تلك المطبوعات يصدر المعهد دراسات خاصة حول موضوعات متعددة. وتظهر هذه عادة باللغة الروسية وفى سلسلتين ؛ احداهما مطبوعة والثانية مطبوعة بطريقة النسخ ''ستنسيل''. اما تقارير المؤتمرات فتحتوى على مواد جمعت من مناقشات مؤتمرات المعهد التى سيرد شرحها فيما بعد. ويوزع المعهد ؛ بين حين وآخر ، قوائم للمكتبات وبيانات صحفية ومطبوعات متنوعة. ويحتوى عدد شهر كانون الاول (ديسمبر) من كل عام من مجلة Bulletin ''بوليتين'' على قائمة تشمل المطبوعات الحديثة التى اصدرها المعهد.

وفى المعهد مكتب استعلامات يتولى الاجابة عن طلبات الاستعلامات الواردة عليه. ومن الممكن وضع ترتيبات خاصة للقيام بابحاث اوسع اذا اقتضى الامر.

اما الطريقة النهائية التى يتبعها المعهد فى تقديم المعلومات الحقيقية الموثوق بها عن الاتحاد السوفيتى فهى عقد المؤتمرات. ففى شهر تموز (يوليو) من كل سنة يعقد مؤتمرا كبيرا فى ميونيخ.

المصادر والمراجع

والابحاث المدروسة التى تنشر فى مطبوعات المعهد مبنية على مصادر لا مثيل لها فى دقتها واتقانها ، فعلاوة على الخمسة والثلاثين من الادباء والمفكرين المهاجرين العاملين فى المعهد ــ وكل منهم متخصص فى موضوع منفرد معين ــ يمد ذوى الاختصاص من المهاجرين غير العاملين فيه بمنح مالية للقيام بابحاث ودراسات. ويشترى ايضا مقالات ودراسات على نطاق واسع من المهاجرين وغير المهاجرين ذوى الاختصاص فى ميادين الدراسات السوفيتية. والمهاجرون المثقفون الذين عاشوا مدة طويلة تحت ظل النظام السوفيتى وحصلوا على التجارب الكافية هم خير من يستطيع ان يدرس المطبوعات السوفيتية ويقدم الابحاث والدراسات الموثوق بها.

وتحت تصرف الاعضاء المقيمين فى المعهد مكتبة من اكبر المكتبات الاوربية الخاصة بالمواد السوفيتية وحدها ؛ وتحتوى على اكثر من اثنين وعشرين الف كتاب وثلاثة آلاف جريدة ومجلة باللغة الروسية وغيرها. وتتلقى هذه المكتبة بانتظام جميع ما يمكن الحصول عليه من النشرات والمواد الخاصة بدراسة علوم الاجتماع السوفيتية ؛ كما تتلقى المواد غير السوفيتية على نطاق اضيق ؛ يضاف الى ذلك ما تحصل عليه محليا من مراجع تجدها فى مكتبات ميونيخ المختلفة.

واخيرا يضم المعهد اعضاء من المهاجرين وغير المهاجرين اخصائيين وخبراء فى فنون الابحاث والدراسات الفنية وشؤون النشر كمحررين ومصححين وطابعين على الآلة بعدة لغات ومنظمى مكتبات ويبلغ عدد الموظفين الدائمين ثمانين موظفا ؛ كما يبلغ عدد المساهمين بانتظام نحو ٣٠٠ ويمكن الالتجاء الى نحو الف من الخبراء المختصين.

عنوان المعهد : ــ

Institut zur Erforschung der UdSSR

Mannhardtstrasse 6

Munich 22, Germany

محتويات العدد

كلمة لجنة التحرير ٥

الاسلام والشيوعية ٧
بقلم علي قنطمر

الاسلام فى تركستان ٢٦
بقلم ا. بردى مراد

الاسلام فى اذربيجان ٦٣
بقلم ميرزا بالا

الاسلام فى سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ٨٢
بقلم مصطفى ايتوجان

الاسلام فى شمال القفقاس ١١٢
بقلم واصان جيرى جاباجي

الاسلام فى شبه جزيرة القرم — الوضع بين اعوام ١٩٢٠ الى ١٩٤٤ . . . ١٢٤
بقلم الدكتور أديجه كريمال

حملة جديدة على الاسلام فى الاتحاد السوفيتي ١٣٤
بقلم ن. تيودوروفتش

كلمة المجلة

لقد خصصنا العدد الحالي من ''المجلة'' لنشر مقالات عن وضع الاسلام فى الوقت الحاضر فى الاتحاد السوفيتي. فالمسلمون الذين يعيشون خارج نطاق الاتحاد السوفيتي ، وخاصة هؤلاء الذين يقطنون البلدان العربية ، يسمعون الكثير من مصادر الدعاية السوفيتية عن الدين والحريات القومية فى الاتحاد السوفيتي ، وعن التقدم الاقتصادى والفني السوفيتي ولكنهم لا يسمعون سوى النذر القليل عن الوجه الآخر للوضع فى البلاد . فليس من المستغرب ان يتجه اهتمامهم نحو حياة الشعوب الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي ووضع الدين الاسلامى فى الامبراطورية السوفيتية . ونرى فى هذه المناسبة ان ما هو معروف عن هذا الموضوع يقل بكثير عما ينشر عن غيره من نواحي الحياة فى الاتحاد السوفيتي ، اضف الى ذلك انه قد لا يكون هناك مجال يظهر عيوب النظام السوفيتي كما تظهرها سياسة الحكومة السوفيتية المتعلقة بالامور الدينية والقومية وهي السياسة التي تتبعها تجاه المسلمين الذين يقطنون ضمن الاتحاد السوفيتي والذين يقطنون فى بلدان الشرقين الادنى والاوسط . ولهذا فقد قررنا تخصيص هذا العدد بكامله للتحدث عن هذا الموضوع .

يتضمن العدد الحالي معلومات جرى جمعها بمشقة بالغة من مصادر سوفيتية متعددة وقد بُذل اقصى جهد لاعطاء تحليل ايجابي نزيه لسياسة الحزب الشيوعي فى الاتحاد السوفيتي والحكومة السوفيتية تجاه الدين الاسلامى منذ قيام النظام السوفيتي حتى وقتنا هذا . لقد جمع هذه المعلومات وقدمها للنشر كتّاب تعرضوا انفسهم ، فى وطنهم الاصلي ، لجوء الدكتاتورية السوفيتية ، وهم ملمون الماما تاما بالاحوال السوفيتية السائدة . ونود ان نغتنم هذه الفرصة لابداء شكرنا للمساعدة التي قدمها اعضاء قسم الدراسات والبحوث التابع لمعهد دراسة الشؤون السوفيتية .

ولا تدعي هذه المجموعة من المقالات بطبيعة الحال اعطاء بيان شامل لما قامت به حكومة الكرملين من اعمال ضد الحياة الدينية والقومية للمسلمين فى الاتحاد السوفيتي ، غير اننا نشعر ان هذه المقالات تعطي صورة واضحة للتمثيلية التي اخذت تمثل على مسرح الحياة السوفيتية ، كما انها تكشف القناع عن المعضلات التي تعرض اليهاالدين الاسلامى والتفسيرات الخاطئة له فى الادب الروسي والادب الغربي .

ويجب علينا فى هذه المناسبة ان نلفت الانظار للاتجاهات السائدة التي تميل لاظهار الاسلام على انه نظام يشابه مشابهة كبيرة النظام الشيوعي ، وكذلك الى الادعاءات القائلة ان المسلمين فى جميع انحاء العالم يتساهلون ويتسامحون نحو الشيوعية . ونرى مثلا ان الكاتب بيير روندوت فى مؤلفاته الواسعة عن وضع الاسلام فى الوقت الحاضر كتب قائلا ''انه بينما حكم المبدأ الماركسي — اللينيني على الاسلام بالموت ، لم يقم الرأى العام فى البلدان

الاسلامية الواقعة فى الشرقين الادنى والاوسط . . . باقامة اى حواجز لمقاومة الشيوعية . . . كما ان الاسلام فى الاتحاد السوفيتي لم يُقم اى عوائق فى طريق الثورات الاجتماعية العميقة'' (١)

ونحن لا نريد الخوض فى بحث سياسة الدول الاسلامية فى آسيا وافريقيا ، وهي الدول التي لم تختبر ''الرعاية'' السوفياتية اختبارا مباشرا ، الا انه يكني القول ان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي قد سفكوا بحورا من دمائهم فى كفاحهم ضد الشيوعية السوفيتية دفاعا عن ايمانهم وعقيدتهم واستقلالهم الوطني ، واكبر دليل على هذا ما ورد فى المقالات التالية التي تشهد بما فيه الكفاية على صحة هذا القول .

(١) بيير روندوت ''الاسلام والمسلمون فى الوقت الحالي'' طبع باريس عام ١٩٥٥ ، الصفحة ٣١٩ .

الإسلام والشيوعية

بقلم : علي قنطمير

"... فأجره على الله انه لا يحب الظالمـــين"
سورة الشورى ، الآية ٣٨

مقـدمـة

فى الوقت الذى نرى فيه العالم منقسم الى معسكرين — احدهما ديموقراطي والآخر شيوعي سوفيتي — وكلاهما فى صراع مرير فى الشرق الاسلامى ، يبـدو من الفائـدة النظريـة والعلمية الـكبرى للمرء ان يقف على مبادىء الاسلام ويتعرف الى الشعوب التي تعتنق هذا الدين .

فالشعوب التي تدين بالاسلام والتي يبلغ عددها قرابة ٤٥٠ مليون نسمة(١) ، تقطن مناطق واسعة تمتد من جبل طارق الى اندونيسيا وما وراءها فى القارة الآسيوية حتى مناطق الفولجا والاورال ، وتخترق هـذه المناطق الاسلاميـة طرق بحرية وبرية وجويـة ذات اهمية ستراتيجية واقتصادية عظيمة لجميع العالم كما وان هذه البلاد الاسلامية نفسها غنية بكميات تكـاد لا تحصى من الثروات الطبيعية (البترول) .

والشعوب الاسلاميـة لهـا ماض مجيد فقـد خلقت مدنيـة باهرة ولعبت دورا هاما فى تاريخ الانسان فى العصور الوسطى وحتى غايـة القرن الخامس عشر للميـلاد ، وقال عنهـا الـكـاتب جوستاف ليبون : "... كـانت بغـداد وقرطبة مراكز مدنية اسلامية عالمية باهرة فى الزمن الذى كـانت فيه اوروبا غاطسة فى حياة همجية ، ويرجع الفضل للاسلام الذى نقل الفلسفة اليونانية للغرب" (٢) .

---

(١) سابليير فى "ليموند" باريس تاريخ ١٩٥٦/٦/٢٦ .
(٢) جوستاف ليبون "مدنية العرب" طبع باريس عام ١٨٨٤ و هـ. بامات "وجه الاسلام" ص ٨١ ، مطبعة سايت ، لوزان عام ١٩٤٦ .

وقد عظّم الكاتب المشهور والسياسي العظيم لامارتان رسالة محمد عليه السلام وتعاليمه حيث قال ان محمدا اقام على اساس القرآن الكريم الذى تعتبر كل كلمة فيه كالقانون، اقام امة روحانية تشمل فئات من جميع الاجناس . . . وقد أنشأ عشرين مملكة فى هذا العالم ومملكة واحدة فى السماء'' (٣).

هذا وقد حدت اسباب تاريخية واقتصادية الى تغيير ميزان القوى فى العالم، وفقدت الدول الاسلامية المختلفة على ممر الاجيال امجادها السالفة واصبحت فى النهاية مستعمرات تابعة للقوات الاوروبية . وعندما اضمحلت الامبراطوريتان العثمانية والايرانية منذ قرابة خمسين عاما لم يبق بالوجود دولة اسلامية واحدة .

وافاق العالم الاسلامى من سباته عندما سمع ازيز مدافع الحرب العالمية الاولى والثانية، حيث شاهدنا بزوغ ثماني عشرة دولة اسلامية مستقلة، اخذ عددها بالازدياد تدريجا، وهذا لهو حقا دليل على الوعي الاسلامى الذى لا يمكن لأي فرد تناسيه والذى قال عنه ج. بامات قبل عشر سنوات : ''سوف يلعب الاسلام من الآن فصاعدا دورا هاما فى المنازعات الدولية التي تزداد حدتها يوما بعد يوم، وسوف تسعى القوى المتنافسة كسبه الى جانبها فى المنازعات التي تحدث بينها (٤).

وتعزو الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ''الاستعباد الاستعمارى'' و ''تأخر'' الشعوب الاسلامية الى الاسلام ''الرجعي'' الذى يرغبان فى استبداله بمادية كارل ماركس وستالين العديمة الروح، عندما قيل ان الدين ''هو افيون (مخدر) للشعب''. وذكرت دائرة المعارف السوفيتية الكبرى ما يلي :

''استخدم المستعمرون الأجانب، وخاصة المستعمرون البريطانيون الاسلام لأجل استعباد شعوب الشرق ولأجل محاربة حركة تحررها الوطني'' (٥).

ومن هنا يُرى ان مساعي البلشفيك للتشهير بالاسلام وجعله مسؤولا عن الحوادث التي وقعت فى القرون القليلة الاخيرة ما هي إلا كفر وادعاءآت كاذبة .

فتهجم الشيوعيين على الاسلام ونظرياته واضطهاد هذا الدين ضمن اراضي الاتحاد السوفيتي، هذا البلد الذى يقطنه ما ينوف عن اربعين مليون مسلم، يمكننا من التقدير بصورة جلية نوايا الحكومة السوفيتية الحقيقية : وهي الاستيلاء على المضائق المؤدية الى البحار الدافئة والاستيلاء على البترول فى البلدان الاسلامية (٦). وفى هذه المناسبة نرى ان المهمة الاولى للاستعمار السوفيتي تتكوّن من تمهيد السبيل لذلك بالقضاء على الاسلام وعلى ما يسمى بالجمهوريات ''المستقلة'' فى القفقاس وتركستان المتاخمتين لحدود الشرق الاسلامى .

---

(٣) لامارتان ''تاريخ تركية'' باريس ١٨٥٤، مقتبسا من المجلة الشهرية ''الاسلام'' العدد الرابع، صفحة ١٥، انقره ١٩٥٦ .
(٤) هـ. بامات : ''وجه الاسلام'' ص ١٢، لوزان ١٩٤٦ .
(٥) ''دائرة المعارف السوفيتية الكبرى'' المجلد ١٨، ص ٥١٨ طبعة عام ١٩٥٣ .
(٦) بيير لاشاق ''الاشتراكيون الافرنسيون والكرملين'' فى مجلة ''ريناليتيم''، تاريخ أيار (مايو) عام ١٩٣٧، باريس .

نشوء شخصية الفرد والمجتمع بموجب الاسلام

يدعو الاسلام الى تساوى الناس وانه لا فارق بينهم فى الجنس او الدرجة او المرتبة ، وجميع المسلمين اخوة ، كما وان الحج الى مكة الذى فُرض على كل مسلم قادر عليه ، هو أبرز ظاهرة للاخوّة والمساواة بين الملأ ، وفيه يجتمع المسلمون من كل بلد ومن كل جنس سنويا فى موسم الحج — الاوروبي منهم والآسيوى ، والفلاح الصيني والامراء والتجار والفلاحون والعمال — فى مكة كأخوة ويقومون باداء الصلاة سويا ، يأكلون ويقضون اوقات فراغهم سويا — وعلى شاكلة ذلك يلبسون الحرام المماثل .

والقرآن يدعو الى المبادىء الديمقراطية وهو لا يعترف بالجور او العسف ولا يدعو الى الحكم من قبل فرد واحد، ويقول القرآن : ''وأمرهم شورى بينهم'' . والقرآن هو داعية للعقائد التقدمية ويحب العلم ويدعو الى طلبه . وقال النبي فى ذلك : ''طلب العلم فريضة على كل مسلم'' .

ويفرض القرآن طهارة الجسم والعقل واداء الصلاة وعمل البر ، فالقرآن اذا ليس كتابا دينيا فحسب بل انه عقيدة ومبدأ يضع الخطط لنظام العائلة والنظم الاجتماعية والقانونية والملك والعلاقات الادبية والشخصية بموجب الشريعة الغراء. ويلعب القرآن دورا هاما فى تهذيب وتكوين شخصية الفرد واخلاقه وله ايضا تأثير روحاني كبير وخاصة عند قراءته فى لغته الاصلية — العربية (فترجمته الى غيرها من اللغات تفقده الكثير من رونقه) . وقال الفيلسوف جوته عن تأثير القرآن فى الانسان الكلمات التالية : ''عندما نقترب منه (أى القرآن) . . . يجذبنا ويدهشنا وبالتالي يجبرنا على احترامه'' (٧) .

واذا اخذنا كل هذا بعين الاعتبار تمكنا من فهم التشبث الذى يشتهر به المسلمون بدينهم ويسهل علينا تفهم اخلاصهم للاسلام . وكتب جوستاف ليبون بهذا المعنى قائلا : ''بعد قهرهم من قبل المسيحيين فى اسبانيا ، فضلوا الموت او الطرد حتى آخر نفر منهم بدلا من ان يعتنقوا دينا غير دينهم'' (٨) . ومنذ ذلك التاريخ لم يحدث شيء ما ليغيّر وجهة نظر المسلمين الدينية ، واستمروا واثقين بايمانهم بالاله الواحد ، اما المغتصبون الذين ظهروا فى يومنا هذا فى روسيا بعد الثورة الشيوعية والذين فاقوا باضطهادهم اسلافهم فى القرون الوسطى قد لا يفهمون هذا جيدا ، وهذا لهو حقا مصيبة عصرنا الحالي .

الاسلام والشيوعية

الاسلام والشيوعية لا يمكن ان يتفقا او يتحدا نظريا او عمليا ويبعدان عن بعضهما البعض بعد القطبين . ففي البرهة التي اذاع بها كارل ماركس مبدأه القائل ''الدين هو مخدر (أفيون) للشعب'' قامت هناك هوّة بين الاسلام والشيوعية ، ولا يمكن وصلها بشتى الفوائد المادية .

---

(٧) كما ورد فى كتاب ر. ف. بودلي ''الرسول — حياة محمد'' ص ٢٣٧ ، طبع دار دابلدى وشركاه ، نيويورك عام ١٩٤٦ .

(٨) جوستاف ليبون : ''مدنية العرب'' باريس ١٨٨٤ . وه. بامات : ''وجه الاسلام'' لوزان ، بايوت ١٩٤٦ ، ص ٢٥ .

فادية كارل ماركس التي تشجع الغرائز الدنيا فى الانسان قد كذبها العلم وان مصيرها حتما الى الزوال ، وقيل منذ الازمان السالفة ان الانسان ليس بملاك او حيوان بل انه يملك غرائز خاصة به وحده ، وقد قال الامام الغزالي ، وهو أحد اقطاب الفلسفة الاسلامية والذى يقارن اسمه بالفلاسفة المشهورين امثال افلاطون وكانت وليبنتس : ”يوجد فى الانسان شيء أعلى رتبة من الفكر ، صفة لا توجد فى هذا العالم ، ترفعه فوق الاشياء الموجودة على هذه الارض وتنقله الى عالم الواقع الروحاني غير المتناهي“ (٩) .

وهذه الميزة فى الاتصال مع العالم الروحاني هي منبع الاخلاق والدين اذ بدونها يصبح الانسان كالوحش فى الغابة او كالبحّار بدون بوصلة .

ورأى كارل ماركس فى الاسلام ، احدث الديانات الكبرى واكثرها تمشيا مع العقل ، عدوّا خطرا ، وهذا هو سبب تهجمه الذى لا مبرر له عليه ، وظهرت نظرته للاسلام فى رسائله الى انجل حيث كتب : ”ان ثورة محمد الدينية كانت مثل غيرها من الحركات الدينية ، رجعية فى المعنى الصحيح اى انها كانت رجوعا خياليا الى الامور البسيطة . . .“ (١٠) .

وقال ايضا ان ”القرآن والتشريع الاسلامى الذى يعتمد عليه يحولان جغرافية البلدان والشعوب التي تقطنها الى معادلة بسيطة وسهلة وهي شطر العالم الى نصفين : المؤمنون ، وغير المؤمنين هؤلاء هم الكفار أى الاعداء ، والاسلام يلعن الشعب الغير مؤمن ويدعو الى وجود حالة حرب مستمرة بين المسلمين وغير المسلمين“(١١) .

وهذا الاتهام مجحف حقا فكلمة ”كافر“ — اى الغير مؤمن — تشير الى الوثنيين عبدة الاصنام والملحدين ولا تطبق فى اى حال من الاحوال على المسيحيين واليهود ، لانهم بموجب عرف الاسلام هم ”اهل الكتاب“ أى الشعوب ”التي أهديت الى الصراط المستقيم فى عبادة الله“ ، و ”انهم من اتباع الكتب المقدسة“ (التوراة والانجيل) هذه الكتب التي انزلت فيما قبل والتي اتى محمد لتفسيرها التفسير الصحيح والتي اعتبرها رسالته فى هذا العالم(١٢) وقد قال القرآن : ”لا اكراه فى الدين“ (فى معنى الايمان به)(١٣) .

والفرق بين هذه الديانات الثلاث اذا ، كما قلنا سابقا ، هو فى العقيدة فقط ، فالقرآن مثلا يحتوى على دلائل متعددة تشهد بتسامحه الصريح نحو اتباع الديانات الاخرى ، ومن هنا نرى ان كارل ماركس لم يتفهم بالضبط فحوى القرآن مع العلم بأنه كان يعرف حق المعرفة تسامح الاسلام كما شهد به التاريخ من انتشار هذا الدين فى فلسطين وسوريا والعراق وايران ومصر وشمال افريقيا واسبانيا وتركية ، ورأينا فى جميع هذه البلدان ان المسيحيين واليهود كانوا يتمتعون بالحريات الكاملة فى جميع العصور : كانت كنائسهم ومعابدهم حرة واقامت طقوسها الدينية

---

(٩) الدكتور ج. أوبرمان : ”فلسفة ودين الغزالي الباطنة“ ، فينا ١٩٢١ ، كما رواه هـ. بامات فى كتابه ”وجه الاسلام“ ، لوزان ، ١٩٤٦ ، بايوت ص ٢٦٣ .

(١٠) كليات كارل ماركس و ف. إنجلس (الترجمة الروسية) ، المجلد ٢١ ، طبعة عام ١٩٢٩ ، ص ٤٨٤ .

(١١) كليات كارل ماركس و ف. إنجلس (الترجمة الروسية) المجلد ١٦ ، طبعة عام ١٩٣٧ ، القسم الثاني ، ص ١١٠ .

(١٢) القرآن ، سورة يونس ، الآية ٣٨ .

(١٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧ .

بأمان جنبا لجنب مع الجوامع ولا يزال مسيحيو فلسطين يلقبون بمسيحيي محمد فالتقاليد تقول بأنه قد حماهم الرسول نفسه من كل اعتداء .

كان من المفروض على كارل ماركس ان يعلم ان الامتيازات التي منحت المسيحيين الاجانب الحرية فى تركية العثمانية كان نتيجة تسامح المبادىء والآراء الاسلامية ، وكان هذا فى عهد السلطان العثماني العظيم سليمان الفاتح ، الذى امتد حكمه الى ثلاث قارات مختلفة ووقفت جيوشه على ابواب فينا ، فلا يعقل ان يكون ذلك العمل اذا الا نتيجة ذلك التسامح . فتم الاتفاق مع الملك الافرنسي فرنسواز الاول بهذا الصدد ، ولكن تلك الامتيازات اخذت فيما بعد ، اى فى اثناء عهد ''الامبراطورية الهرمة'' ، شكلا مغايرا للشكل الذى منحت فيه فأتت بالعواقب الوخيمة على هذه الدولة .

فلو افترضنا ان الاسلام اتخذ مثلا نظرة ضيقة ، ووقف موقف المتزمت الرجعي ، كما قال عنه كارل ماركس لما تمكن من التوغل فى جميع انحاء العالم بل لذبل وفني فى الصحراء العربية .

والاخوة بين المسلمين لم يكن القصد منها شطر الانسانية الى ''شطرين'' وخلق ''حالة حرب دائمية بينهما''. فالاسلام مبني على مبادىء جذورها ثابتة فى العقيدة الاسلامية وهي عامة بين جميع الافراد والامم وهذه المبادى هي: المساواة والعدل والحرية والديمقراطية الواسعة ، ومن هنا نرى ان تهجم كارل ماركس العقائدى عليه وحربه وحرب اتباعه المسلح على الدين الاسلامى لم يتمكنا من القضاء عليه بل برهنا بانهما باءا بالفشل الذريع كما فشل حكام رومه الوثنية فى حربهم ضد المسيحية .

هذا ونرى ان الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية لا يزالان يتابعان سياستهما ذات الوجهين نحو الدين الاسلامى ويستعملان الطرق الملتوية الكاذبة للوصول الى غاياتهما : وهي نشر الالحاد واستعباد العالم .

الاسلام بين الكتلتين

انتشر الاسلام فى اوائل عهده فى منطقة شاسعة لا يزال يقطنها حتى الآن اكثرية اسلامية وقيل عنها حقا ''القارة الاسلامية'' ، وهي من الوجهة الجغرافية تشغل مركزا متوسطا بين بلدان نصف الكرة الشرقي : يحاذيها فى احد اطرافها اوروبا الغربية والاتحاد السوفيتي ، وفى الطرف الآخر بلدان آسيا القصوى ، كما ويحاذيها فى الطرف الثالث افريقيا السوداء ، وهي بهذا تكوّن حلقة اتصال طبيعي بين اوروبا وآسيا وبين اوروبا وافريقيا السوداء. ونتيجة لهذا الموقع الهام وفى هذا الوقت العصيب الذى تكثر فيه المشاحنات الحادة على المبادىء والسياسات بين الغرب والكتلة السوفيتية ، يعتبر السبيل الذى سيسير فيه الاسلام ذا تأثير حيوى على سير السياسة العالمية . وقد قال ف. ى. فيرناو : ''اذا رغبت (الشعوب الاسلامية) فى اغلاق معابر بلادها ، معاداة للغرب : فتصبح الجسور التي تصل اوروبا بآسيا وافريقيا مغلقة حقا.'' (١٤) ولهذا نرى ان العلاقات بين الاسلام والشيوعية يجب ان تعتبر من اهم العوامل فى الوقت الحاضر ، والآراء تختلف فى هذا ، ومن المفيد ان نتأمل بعضها .

---

(١٤) ف. ى. فيرناو : ''المسلمون فى زحفهم'' ص ٦ (المقدمة) مطبعة روبرت هيل المحدودة لندن ، ١٩٥٥.

يرى فريق من المفكرين ان الالحاد المادى والاسلام متناقضان ، ولو نظريا على الاقل ، للاسباب التي ورد ذكرها سابقا . ويرى الفريق الآخر عكس ذلك ويقول بوجود الشبه الكبير بينهما .

فمثلا كتب الصحفي السويسرى هانس فليج فى جريدة "داي تات" فى عام ١٩٤٩ ، "انه بينما يحتوى انجيل الشيوعيين" على نفس الاتجاهات الاساسية التي يقررها الاسلام المضاد للرأسمالية ، غير انه هنالك رغم ذلك هوة سحيقة بين الاسلام والشيوعية ، وان العدل الاجتماعي فى نظر الاسلام شرط رئيسي ومصدر قوة فى نهضته الحالية" (١٥) .

وقد عبر الكاتب اللبناني ادوارد عطيه فى كتابه "العرب" (لندن ١٩٥٥) عن رأى مشابه لهذا حين قال ان الاسلام هو سد منيع فى وجه الشيوعية . وخلافا لذلك قال الدكتور نبيه فارس ، وهو كاتب لبناني آخر ، ان الاسلام ، بالرغم من معاداته للمادية الالحادية ، لا يعطي الضمان الكافى ضد انتشار الشيوعية ، بل بالعكس قد يمهد السبيل لها (١٦) وقد يكون الداعي لهذه النظرية المرارة التي عاناها بعضهم تحت جور الاستعمار والذى دفع ببعض المفكرين المسلمين نحو الشيوعية .

واخيرا هنالك رأى ثالث عبّر عنه الكاتب الافرنسي المعروف والعلامة باصول الاسلام ، لويز ماسينون الذى كتب فى عام ١٩٢٩ ما يلي : "يحبذ الاسلام ، من الوجهة الاجتماعية ، فكرة المساواة التامة ومساعدة الجميع وذلك عن طريق دفع عشر المحصول لبيت المال ، والاسلام ينظر نظرة العداء للرباء ورؤوس اموال المصارف والتداول بالسندات والقروض الحكومية وللضرائب الغير مباشرة على السلع الضرورية للحياة . وخلافا لذلك فهو يعترف بحقوق الآباء والازواج ، والاملاك الخاصة ورؤوس الاموال التجارية . وينهى الاسلام اخيرا عن الدعارة والمسكرات . وهذا يعني ان الاسلام يقف موقفا متوسطا بين رأسمالية البرجوازية وبين الشيوعية البلشفية" (١٧) .

ويرى بعض البحاثة فى الاسلام ان مثل هذا الحكم هو اعدلها. فالاسلام فى دعوته للحرية والمساواة والعدل هو اذا عقيدة تساعد على تحقيق هذه المبادىء السامية بدون استعمال طرق العنف والصراع بين الطبقات .

والاسلام ، بالرغم من المركزين الجغرافى والمذهبي المرموقين اللذين يحوز عليهما ، لم يتمكن من الاستفادة من ذلك بان يختار باجماع الآراء أحد المعسكرين ، وهذا يعود لعدم وجود وحدة سياسية بين الشعوب الاسلامية . وان ما تمي بالجامعة الاسلامية لم تتمكن من توحيد العالم الاسلامى ، وقد تكلم عنها لينين وستالين للطعن فى حركة التحرر القومى للشعوب الاسلامية للاتحاد السوفيتي .

ويظهر ان الشرق العربي ليس بقادر على الحصول على الوحدة والتضامن ، ويعود السبب فى ذلك الى تفشي الحركات الثورية التي اخذت فى التوسع تدريجيا فى بلدان الشرقين الادنى والاوسط ، ما عدا تركيا وايران حيث نرى ان الاصلاحات التي ادخلها اتاتورك ورضا شاه بهلوى فى كل منهما جلبت الاستقرار الداخلي والخارجي .

وحركات النهوض نحو الاستقلال الوطني والاصلاح التي ترمى الى فتح السبل الى حياة ثقافية واجتماعية جديدة هي ظاهرة للعيان ليس فى المناطق العربية فحسب بل وفى غيرها من البلدان الاسلامية أيضا ، ويعود السبب للتعقد الظاهر فى حركة العرب هذه ، التي جلبت انظار العالم اليها فى شمالي افريقيا والشرقين الادنى والاوسط ، الى نوعين من النزاع :

---

(١٥) فنسانت مونتيل فى كتابه "المسلمون السوفيت" ص ١٣٨ ، طبع باريس عام ١٩٥٧ .
(١٦) المصدر نفسه ص ١٣٨ .
(١٧) كما ورد فى كتاب ف. مونتيل : "المسلمون الشيوعيون" ص ١٤٢ ، باريس ١٩٥٧ .

الصراع ضد الاستعمار والنزاع الداخلي الخاص بانشاء سياسة خارجية معينة ، ولهذا يعزى سبب الانقسام الذى حدث فى اوساط الجامعة العربية .

أما برنامج الجامعة العربية الذى يرمى الى خلق ولايات متحدة من البلدان العربيـة فهو افضل حل بين الحلول المقترحة لفض المشكلـة العربية . فالاستعمار — أكـان اوروبيا هرمـا او سوفيتيا شيوعيا اعتدائيا — هو حقا شر مستطير ويقوم سببا لجميع الحروب والثورات الـتي تحدث بين الآونـة والاخرى والتي تقف فى طريق التقدم الوطني وانشاء سلم حقيقي وهدوء وسكينة فى العالم . ولهذا فسيستمر الاسلام بمقاومة كل نوع من الاستعمار .

ولا يمكننا ان نتغافل عن سبب الغليان الاجتماعي الظاهر بين صفوف الدول العربية ، كما وانه يتوجب علينا ان نتذكر ان الـكثير من الاحوال والمبادىء التي تعتمد عليها الحيـاة فى هذه الدول قد اصبحت قديمة وبالية وتحتاج الى التجديد . ونرى فى الوقت نفسه ان التقدم الفني ومـا جلبـه من التغييرات فى الحقلين الزراعي والاقتصادى عـلى الاخص، وكذلك الاتصال والاحتكـاك بالمدنيات الاوروبية لا بد وان يجلب معه تطورات حيوية فى الحقلين الاجتماعي والقانوني وفى نظام الحكومة عامة . ونشاهد الآن ان توغل الثقافة الاوروبية وانتشارها بين السكـان يجريان بموجب الروح الاسلامية — اى نهضتها الجديدة . وقد اخذ عدد المثقفين المسلمين الذين تلقوا علومهم فى الجامعات الاوروبية بالازدياد عاما بعد عام ، ومما لا شك فيه ان هؤلاء المثقفين سوف يلعبون دورا هاما فى هذا التقدم .

وكتب محمد حسين هيكل قائلا ان المسلمين فتحوا اعين اوروبا لمدنية وفلسفة اليونان ، ولم تقم اى من الديانتين المسيحية او الاسلامية بالحيلولة دون هذا العمل ، وسوف يكون امرا طبيعيا فى يومنا هذا ان تتفتح اعين الاسلام من قبل العلم والتقدم الفني فى اوروبا ”(١٨) واضاف الـكاتب قائلا ”ان عدم التفاهم المتبادل بين اوروبا والمسلمين عائد لسياسة الاستعمار الاوربية“(١٩) .

وانهـا لحقيقة معروفـة حق المعرفة ان الاستعمار الاوروبي هو فى طريقه الى الزوال ، وقد طرأ عليه تبـدل كبير فى السنين العشر الاخيرة فى العالم الحر، ونرى ان عددا كبيرا من البلدان الاسلامية قد حررت انفسها من الاستعمار وانتسبت الى عضوية الامم المتحدة . وبالرغم من الحركـات الثورية فى العالم العربي والازمات الاصطناعية فى الشرقين الاوسط والادنى ، فانا نرى ان التبـادل الثقافى والتعاون الاقتصادى بين المسلمين والعالم الديمقراطي لا يزال مستمرا . وقد قرب الوقت الذى فيه سنرى العالم الاسلامى ، وخاصة العربي منه ، يتلائم مع الديمقراطية الغربية ، هذه الديموقراطية التي تعترف بوجود الاله الاجل وبحرية الشعوب والافراد .

امـا حالـة المسلمين الذين يقطنون مناطق توازى مساحتهـا مستعمرات بريطانيـا الهنديـة السابقة والذين لا زالوا يخضعون للنظام الاستعمارى السوفيتي ، فحالتهم تختلف عن هـذا كـليا . وبالرغم من ان الاستعمار قـد رفضه ميثـاق الامم المتحدة بعـد الحرب العالمية الثانية (هذا الميثاق الذى وقع عليـه الاتحاد السوفيتي نفسه) والذى اهاب فى مقدمته ”بقيمة شخصية الانسان“ ، وتساوى حقوق الدول الصغيرة والـكبيرة(٢٠) ، قلنا بالرغم من كل هذا لم يتغير شيء

---

(١٨) محمد حسين هيكل — عن عدم التفـاهم بـين اوروبا والمسلمين فى ”الاسلام والغرب“ عام ١٩٤٧ ، فينا ، ص ٥٣ .
(١٩) المصدر السابق نفسه .
(٢٠) ميثاق الامم المتحدة ، نيويورك ١٩٤٨ .

ضمن اراضي الكتلة السوفيتية ، او انه تبدل من سيء الى اسوأ كما شاهدنا مثل هذا فى المجر وغيرها من البلدان . وقال حقا جان عمروش فى هذا الصدد ، "... الاستقلال هو الحل الوحيد الذى يمكنه وضع حد للاستعمار المجرم ، هذا الاستعمار الذى لا ينحصر فى استغلال الشعوب المقهورة فحسب بل انه ينكر الانسانية فى الانسان" (٢١) .

وسيجد القارىء فيما بعد فى هذا المقال معلومات خاصة "بالسياسة الدينية" للحكومة السوفيتية واضطهادها ماضيا وحاضرا للمذهب الاسلامى فى الاتحاد السوفيتي .

الاسلام فى الاتحاد السوفيتى

"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء
تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق"
سورة الممتحنة ، الآية ١

المسلمون فى الأتحاد السوفيتي ، ويبلغ عددهم الآن قرابة اربعين مليون نسمة ، هم جلهم من العنصر التركي، وقد اعتنقوا الاسلام منذ القرن السابع الى التاسع من الميلاد (٢٢) . وموطن هؤلاء المسلمين هو بلاد التاتار (قازان) وسيبيريا وتركستان والقفقاس . وقد بدأت غزوة هذه المناطق من قبل يوحنا الرهيب (عندما هاجم مملكة قازان) وانتهى هذا الغزو فى القرن العشرين (عند الاستيلاء على مناطق خيوه وبخارى) . وقد استمر هذا الغزو زمنا طويلا حقا وقوبل بالمقاومة العنيفة من قبل السكان ، هذه المقاومة التي رسخت جذورها فى الاطباع الدينية والثقافية والوطنية التي ميزت سكان هذه المناطق عن سكان روسيا . ولعب الاسلام فى هذه المقاومة ، بالاشتراك مع المميزات الوطنية والثقافية ، دورا هاما فى هذا النضال ، لان الدين الاسلامى قد سبق ان كوّن فى الافراد الشخصية الفردية ودعى الى عدم الخضوع الى سلطة غير اسلامية .

وقد بدأت فى القفقاس الحركة "المريدية" والتي كانت فى باديء الامر حركة دينية ، والتي تطورت فيما بعد على اثر الحرب الغاشمة ، من حركة دينية مطلقة الى حركة عسكرية وسياسية وقاومت الاعتداء القيصرى لثمانين عاما. وتراس شامل نفسه حرب القفقاس التحررية هذه لمدة ٢٥ سنة ، وقال عنها المؤرخ العسكرى الروسي الجنرال فادييف ما يلي : "ان الحرب مع سكان جبال القفقاس قد اخسرتنا جيشا يكفي عدده لاكتساح المنطقة الواقعة من مصر الى اليابان" (٢٣) .

وأعجب كارل ماركس ببسالة شامل هذا وشجاعة الشراكسة وقال آنذاك : "ايتها الامم ، اعتبرى مما يمكن ان يفعله الرجال فى الحالات التي ترغب ان تبقى فيها حرة" (٢٤) .

---

(٢١) كما وردت فى كتاب ف. مونتيل "المسلمون السوفيت" ص ١٤ .
(٢٢) ريني جروسيت "تاريخ آسيا" ص ٦٧ ، باريس عام ١٩٥٠ .
(٢٣) مقال الجنرال فادييف فى مجلة "القفقاس" ميونيخ ١٩٥٢ ، المجلد ١ ، العدد ٦ ص ٩ .
(٢٤) "كليات" كارل ماركس و ف. إنجلس. المجلد ٩ ، ص ٥٤ ، مقتبسة من مقال كتبه ج. دانكالا فى مجلة "مشاكل التاريخ" موسكو ١٩٥٦ ، العدد ٢٧ .

وعندما ضمّ القياصرة المناطق الاسلامية الى ممتلكاتها طبقوا عليها انظمة الامبراطورية مهملين بهذا اعتبارات السكان الوطنية والثقافية وتركوا لهم فقط حرية العبادة والحكم بموجب الشريعة الاسلامية. وقد ورد فى المجلد العاشر من القانون المدني للامبراطورية الروسية فقرات خاصة جاء فيها: "يجرى حلّ الامور الوراثية الخاصة بالمسلمين بموجب الشريعة الاسلامية"، وانشيء ايضا ادارة دينية للنظر بالمسائل الدينية للمسلمين وسمح ايضا للمدارس الاسلامية التي لا زالت ابوابها مفتوحة حرية تعليم اصول الدين الاسلامى (انما لم يسمح للمدارس فى عهد السوفيت التدريس بلغات الاقليات).

وتحسنت الامور اثناء ثورة عام ١٩٠٥ واقيم اول مؤتمر اسلامى روسي — وكان هذا ذا صبغة سياسية — فى نيزني نوفجورود. واقيم هذا المؤتمر ثانية فى عام ١٩٠٦ فى مدينة سان بطرسبورغ، واجتمع ايضا للمرة الثالثة فى نيزني نوفجورود. وتداول المجتمعون فى هذه المؤتمرات الثلاثة مسائل الثقافة الوطنية والدين والمدارس. هذا ولما كان اعضاء المؤتمر هم من الاشخاص البارزين ولهم مكانتهم ونفوذهم بين سكان مناطقهم، لهذا تمكنوا من الحصول على مقاعد لمرشحيهم فى برلمان الدولة — الدوما، أى اول برلمان روسي — حيث كوّنوا "الحزب الاسلامى" الذى لعب الدور الحاسم واكتسب الشهرة الواسعة بالنظر لخطابات اعضائه فى مواضيع الاقليات والمدارس طالبين ان يجرى تدريس الاطفال فى المدارس الاسلامية بلغاتهم القومية(٢٥).

الاسلام وثورة شباط (فبراير)

تقبل مسلمو روسيا ثورة شباط بلهف شديد وآمال واسعة، غير ان الحكومة الموقتة، التي لم تُعمِّر طويلا، لم تحقق مطالب الاقليات بل منحت شعوب الامبراطورية بكاملها حريات ديموقراطية مثل حرية الدين والتعليم بلغات الاقايات فى المدارس، وارجأت بحث المسائل الاخرى لحين اجتماع الجمعية التأسيسية، وكان بين هذه المسائل المؤجلة الحكم الذاتي الاقليمي للاقليات، اى المسألة التي تداولها المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى موسكو فى شهر نيسان (ابريل) عام ١٩١٧ (٢٦).

الاسلام وثورة اكتوبر (تشرين الأول)

تلاقى الاسلام والشيوعية وجها لوجه بعد ثورة اكتوبر التي تم على اثرها استيلاء البلاشفة على الحكم فى الامبراطورية الروسية السابقة.

فمؤسسا الشيوعية كارل ماركس و ف. انجيلز انكرا وجود الله عز وجل قائلين ان كل دين هو ظاهرة تاريخية موقته وذات عمر محدود.

---

(٢٥) ميرزا بالا "الحركة الاذربيجانية الوطنية" ص ٤٠ طبع برلين عام ١٩٣٨.
(٢٦) راجع ميرزا بالا المشار اليه سابقا ص ٤٠.

ولم يقل لينين شيئا جديدا عن نظريات الدين هذه ، بل انه اضاف اليها ''مخدرا'' بسيطا الى ''افيون'' ماركس وكانت نتيجة هذا ما يسمى بوجهة النظر الماركسية — اللينينية للدين . وقال لينين : ''ان الدين هو افيون (مخدر) للشعب ، وهو مخدر روحاني يدفن فيه عبيد الرأسمال اجسامهم واشكالهم''(٢٧) .

وانه لمن الغرابة بمكان انه لم يفه فى نفس الوقت بكلمة ذم واحدة ضد الدين الاسلامى قولا او فعلا . فانه لما كان رجلا ثوريا حريصا على تدبير فن قيادته ، وجّه انظاره نحو الشرق وجعل خططه نحو الاسلام مصطحبة بالتحفظ والحذر الشديد . وبالرغم من كل هذا نرى انه كان دوما يصب الشتائم على الدين فى كل مناسبة وكان يدعو الى شن حرب عصماء على جميع الاديان ، وقال : ''علينا ان نحارب الدين ، وهذا العمل هو الف باء المبدأ المادى وبالتالي المذهب الماركسي . . . فالحرب ضد الدين . . . يجب ان تقوم جنبا لجنب مع الحرب ضد الطبقات ، هذا النضال الذى يسعى لقلع جذور الدين الاجتماعية''(٢٨) .

وهذه الاقوال لم تمنع لينين من التودد للمسلمين ، اذ نرى ان مجلس مندوبي الشعب ارسل نداء بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ الى ''جميع مسلمي روسيا والشرق'' جاء فيه الفقرة التالية : ''تعتبر عقائدكم ومؤسساتكم الثقافية من الآن فصاعدا حرة ومحترمة ، وعليكم ان تنظموا حياتكم بحرية وبدون اعاقة او تدخل من الغير . . . لكي تساندوا الثورة وحكومتها الفعلية''(٢٩) .

وجرى بعد ايام قليلة ، اى فى التاسع من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧ ، اهداء مصحف عثمان التاريخي ، الذى كان محفوظا فى مكتبة سان بطرسبورغ العمومية ، الى المؤتمر الاسلامى لجميع روسيا ، ويوجد هذا المصحف الآن فى سمرقند(٣٠) .

واتى فى القرار الذى اتخذ فى الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٨ ، الخاص بفصل الكنيسة عن الحكومة ، ان الحكومة السوفيتية تقرر انه ''بامكان جميع المواطنين اختيار اى دين يليق لهم'' .

وقد اعطى البلاشفة هذه الامتيازات لكي يكسبوا رضى المسلمين اثناء الحرب الاهلية التي كانت نيرانها مستعرة فى ذلك الحين .

وتوسل لينين فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الذى عقد فى العاشر من آذار (مارس) عام ١٩١٨ اتخاذ الحذر عند معاملة الاقليات فى تركستان والقفقاس وقال : ''علينا الانتظار لحين اكتمال تطور أى من حكومات الاقليات هذه ، حتى تخلع الطبقات العامة عبء العناصر المتوسطة عن اكتافها ، هذه الاعباء التي لا شك فى انها ستتخلص منها حتما''(٣١) .

---

(٢٧) ''كليات'' ف . لينين ، طبعة عام ١٩٤٧ ، المجلد ١٠ ، ص ٦٦ .
(٢٨) ''كليات'' ف . لينين ، طبعة عام ١٩٥٢ ، المجلد ١٥ ، صفحة ٣٧٤ .
(٢٩) جريدة حكومة العمال والفلاحين الموقتة ، رقم ١٧ ، تاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ .
(٣٠) ن. سميرنوف : ''مقالات عن تاريخ الدراسات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي'' ص ١٣ ، طبع معهد الدراسات العلمية للاتحاد السوفيتي ، موسكو ، عام ١٩٥٤ .
(٣١) ''كليات'' ف. لينين ، طبعة عام ١٩٥٠ ، المجلد ٢٩ ، صفحة ١٥١ ، موسكو .

وحض ستالين فى الوقت نفسه على اتباع ''طريقة غير مباشرة لتحقيق هذه الغاية'' فى اذربيجان وداغستان عندما اعطى وعدا قاطعا للمؤتمر الوطني الذى عقد فى داغستان فى السابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٢٠ قائلا ، ''سوف نحترم الشريعة الاسلامية فيما اذا رغب فيها هذا الشعب الداغستاني''(٣٢) .

وقال س. كيروف ، وهو احد اتباع لينين البارزين ، فى مؤتمر جمهورية شمال القفقاس (التي تم بلشفتها فى ذلك الحين) بتاريخ ٢١ نيسان (ابريل) عام ١٩٢١ ما يلي : ''لكم شريعتكم ، وليس لدينا تلك الشريعة فى موسكو ، وسوف يكون من غير المعقول ان نقول لكم : اهجروا شريعتكم واتبعوا النظام القانوني الموجود لدينا فى موسكو''(٣٣) .

ويمكن ان يقال ملخصا بانه لم يكن هناك حد لوعود السلطات السوفيتية وأكاذيبها ورياءها ، واعطائها امتيازات طفيفة ، ما دامت الحرب الاهلية مستمرة ، وما دامت ثورات الاقليات الوطنية تزيد الموقف احراجا ، وما دامت مستعمرات روسيا الاسلامية السابقة قائمة كجمهوريات مستقلة . وقد حصل بالفعل تأسيس رئاسة شعبية (كوميسارية) خاصة بالشريعة فى داغستان بعد تحويلها الى منطقة سوفيتية ، وبالطبع لم تعمر هذه المصلحة طويلا ، اذ تلى الانتصار فى الحرب الاهلية والقضاء على جمهوريات الاقليات تطبيق نظام ''البناء المسلمي'' وتثقيف الشعب بالعقائد المادية ، وخنق الدين بالقوة . وهنا قام الحزب الشيوعي بالعمل بجد ونشاط واصدر اوامر ''للقيام بدعاية مضادة للدين'' فى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الذى عقد فى عام ١٩٢٣ . فاتخذ قرار خاص بالمسلمين يقول انه ''بالنظر الى أن الثلاثين مليون مسلم الذين يقطنون الاتحاد السوفيتي قد حافظوا لهذا اليوم على التقاليد والعادات الخاصة بالدين التي كانوا عليها فى القرون الوسطى والتي استعملوها فى غايات مناوئة للثورة ، فعلينا اذا ايجاد طرق ووسائل لابطال هذه الميول والتحزبات كما فعلنا مع غيرهم من الاقليات''(٣٤) .

وجرى اتخاذ قرار فى نفس الوقت ينص على تدريب اخصائيين فى الدعاية المناوئة للدين وثم تأسيس ''اتحاد اللا الاهيين'' ، واقيمت فى موسكو دور للنشر سميت ''باللا الاهية'' و ''الملحدة'' و ''المناوئة للدين'' واصدرت هذه البيوت الجرائد والمجلات والنشرات وغيرها من المنشورات المضادة للاديان (بما فيها الدين الاسلامى) للتوزيع على الشعب عامة ، وقال ى. باروسلافسكي ، رئيس المجلس المركزي لاتحاد المجاهدين الملحدين ''ان النضال ضد الدين هو ضرب من ضروب الجهاد الذى دعت اليه مبادىء لينين''(٣٥) .

وقد شعرت السلطات والحزب انهما قد تماديا فى بعض الاحيان فى حملاتهم الالحادية ، اذ نرى هذا فى قرار آخر للحزب الشيوعي حيث قال : ''يظهر ان الطرق الفظة التي تستعمل هنا وفى موسكو ، التي تسخر بالمذاهب والعبادات . . . تقوم باعاقة محاولاتنا لتحرير الطبقات العاملة من الخرافات الدينية بدلا من مساعدتها''(٣٦) .

---

(٣٢) ''كليات'' ف. ستالين ، المجلد ٤ ، صفحة ٣٩٥ ، موسكو عام ١٩٤٧ .
(٣٣) س. كيروف : ''منتخبات من خطاباته ومقالاته'' ، الصفحة ٧٧ ، موسكو ١٩٣٧ .
(٣٤) قرارات واحكام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، الفصل الاول ، الطبعة السابعة ، ١٩٥٣ ، صفحة ٧٤٤ .
(٣٥) ن. سميرنوف : مقالات عن تاريخ الدراسات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي'' الصفحة ١٦٠ ، موسكو عام ١٩٥٤ .
(٣٦) قرارات واحكام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المشار اليها سابقا .

ومثل هـذه الاعترافات لم ينتج عنها اى موقف متزن او اى تحسن مـا ، وكـانت النايـة لا زالت استعمال المطرقة (الدبوس) ولو كـان هـذا بطريقـة ماهرة . واستمر اضطهاد الدين الاسلامى بلا هوادة حتى النهايـة واقفلت الجوامع وحولّت الى مستودعات ونواد وصالات للهو ، وبلغ عدد الجوامع التي اغلقت ما يلي :

فى تركستان	١٤٠٠٠	جامع
فى فولجا اورال ما ينوف عن	٧٠٠٠	,,
فى القفقاس قرابة	٩٠٠٠	,,
فى شبه جزيرة القرم	١٠٠٠	,,
المجموع ما ينوف عن	٣١٠٠٠	جامع (٣٧)

واضافـة لهذا العدد لم يبق جامع واحد فى شبه جزيرة القرم فى عام ١٩٣٨ (راجع مجلة ''درجي'' العدد ١ ، صفحة ٦٢ ، طبع ميونيخ عام ١٩٥٥) .

وقد حصل بالواقع اكثر من هذا اذا اخذت السخرية والتشهير بالاسلام الى درجة لم تصل اليها من قبل ، واليكم مقتطف من جريدة ''كزيل تاتارستان'' التي صدرت فى ذلك الحين : ''تداول مؤتمر النساء الذى عُقـد فى الثامن من آذار (مارس) تربية الخنازير ، ومما هو جدير بالذكر ان نساء التتر هؤلاء عملن سابقا بموجب القرآن ولم يربين الخنازير ، ونرى الآن ان هؤلاء النساء لم يعدن يخفن الله ، وانهن قـد حررن انفسهن من الخرافات القديمة البالية ، وقهرت هؤلاء النساء التاتاريات الاله والانبياء وأئمة الدين وملاكي الاراضي وتغلب الخنزير على الاسلام''(٣٨) .

ولم يعـد هناك وجود للمدارس الاسلامية حيث اغلقت الحكومة قرابة ٢٦٠٠٠ منها واعدمت او نفت أئمة الدين والعلماء ، وفتحت متاحف لعرض دعايات مضادة للدين فى المركز الكبيرة الآهلة بالسكـان . ومع كل هذا فقد وُجد من العسير نزع الشعور الديني من قلوب الشعب وبرهن الاسلام على نجاحه حتى بين الشيوعيين . هـذا وقد احتجت الصحافـة السوفياتية ، لا بل اعترفت بان بقـاء الطرق والعادات القديمـة قد اعاق بنـاء الشيوعيـة وان المسـلمين فى الجمهوريات الاسلامية قد استمروا فى اتباع طقوسهم الدينية ولم ينحصر هـذا بالمسنين منهم بل تعداهم الى النشيء الجديد وحتى بين اعضاء رابطة الشيوعيـة الجنوبيـة . ووجد زعماء الحزب الشيوعي المحليون انـه من الضرورة بمكـان اتباعهم القواعد الدينية ، ولو ظاهريا : لـكي يكسبوا عطف المتدينين منهم(٣٩) . وأثّر هذا التظاهر السطحي من قبل الشيوعيين المسلمين المحليين على مراكزهم ودفعوا لهـا ثمنـا باهظا عندمـا باءت سياسة زعماء الـكرملين المعاديـة للدين بالفشل فى كثير من المناطق . ففى جمهورية التاتار مثلا كـان سلطان غالييف ، الشيوعي المعروف الذى سعى لتقريب وجهة النظر بين الاسلام والشيوعية ، والذى امتدحه تروتسكي ، كـان اول من ادين بالجرم وكـان جزاءه الاعـدام . وقد لاقى حتفهم غيره مثل ف. خوجايف ، رئيس وزارة جمهورية ازبك السوفيتية فى تركستان ، وك . عطابييف ، رئيس وزراء تركمنسـتان ، وسوفوكوسـوف ، رئيس وزراء كـازاخستان وبنيـات زاده ، رئيس وزراء اذربيجان وكرماسوف فى الداغستان وكثير غيرهم فى الجمهوريات النائيـة . وجميع هؤلاء ادينوا ادانـة عامـة وهي انهم ساعدوا

---

(٣٧) المؤتمر الصحفي الاسلامى ''مونشنير موركر'' ١٣ آب (اغسطس) ١٩٥٦ ، مجموعة الاحصاءآت السنوية كمـا وردت فى مقال م. بالا فى هذه المجموعة الصفحة ٢١ .

(٣٨) ''كزيل تاتارستان'' تاريخ ٨ آذار (مارس) عام ١٩٣٠ .

(٣٩) ''ثورة الاقليات'' موسكو ، ١٩٣٠ ، رقم ٢ ، حزيران (يونيو) ، صفحة ٣٨ .

وعاضدوا ''أعمال رجال الدين المناوئة للثورة''. ومثال واحد يكفي ليدل دلالة كافية على مغزى هذه الاتهامات التي كلفت المسلمين الشيوعيين ارواحهم ، هؤلاء الزعماء الذين قاموا باداء واجباتهم عند الطلب فى خدمة النظام الشيوعي: قالت لائحة الاتهام الرسمية الموجهة الى ساموركي* عندما كان فى منصبه انه سمح لأئمة الدين ان يفرضوا اتباع تعاليم الشريعة الرجعية وانهم تمكنوا من توزيع نشرات معادية للشيوعية والتي بها تهجموا على النظام الزراعي الجماعي ، وغيرها من الاتهامات(٤٠) .

ولو اعتمدنا على اقوال ستالين لوجدنا ان هذه الاتهامات لم تكن ذات محرضات دينية فقط ، اذ اشار ''والد الشعوب'' ان الوطنية الديمقراطية لعامة الشعب وانحراف اتجاهها فى الشرق اخذ فى بعض الاحيان شكل دعوة للاسلام ولتركيا الكبرى واستعمل فى روسيا بعد ثورة اكتوبر لمحاربة النظام السوفيتي(٤١) .

وهنا يمكننا الاستنتاج ان الحرب ضد الدين فى الاتحاد السوفيتي كانت موجهة بكل قواها ضد الدين الاسلامى وتثبيتا لهذا نستشهد بقول و. كولارز : ''لما كانت الوطنية والدين يقوم الواحد منهما مقام الاخر فى المناطق الشرقية للامبراطورية الروسية — كما هو الشأن فى اى منطقة فى الشرق — فالحرب ضد الدين فى هذه المناطق يمكن ان يعتبر ضمنا حربا ضد الثقافة الوطنية والتقاليد الوطنية جمعاء'' (٤٢) .

واحسن برهان على هذا القول هو اعمال الابادة الهمجية التي وقعت فى اواخر عام ١٩٤٣ واوائل عام ١٩٤٤ لقرابة مليون مسلم فى شبه جزيرة القرم والقفقاس . فبعضهم ، مثل الشاشانيين والانجوشيين والكراشيين البلكاريين والقبائل التركية فى شبه جزيرة القرم ، تعرضوا للطرد من وطنهم الاصلي ولم يبق منهم رجل واحد فيها . ولما كانت هذه من خصائص النظام السوفيتي وعلى هذا الشكل المعروف من القساوة ، وجدنا ان ابادة الشعوب وغيرها من وسائل الابادة بالجملة — كالقتل والنفي — كانت تمر بهدوء وبدون احداث اى ازمة داخلية . واستمر الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية ، وبكلمة اخرى نفس الاشخاص ، فى الحكم لان الاتحاد السوفيتي لم يكن له برلمان او نظام قضائي . ولا يمكن لمثل هذه الحكومة وهذا الحزب أن يبقيا فى الحكم فى غيرها من البلدان . وهنالك غاية واحدة لابادة الشعوب فى القفقاس واسكان العناصر السلافية مكانها فى تركستان بحجة تحسين الزراعة فى المناطق التي لم تزرع سابقا وهي : هدم الحاجز العنصرى الاسلامى فى تلك المنطقة وتحويل القفقاس وتركستان الى قاعدة دعاية وقاعدة عسكرية للهجوم منها على الشرقين الادنى والاوسط .

وقد طرأ تحسين ملموس على موقف الاتحاد السوفيتي نحو الدين بعد نشوب الحرب العالمية الثانية على الفور ، اذ حدث فى التاسع والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٤١ ان وجّه رئيس اساقفة روسيا نداءا حماسيا للشعب طالبا منهم اقامة الدعوات والصلوات ، وتم ايضا حل جمعية اللا الاهية واغلقت مكاتب ''بزبوزنينك'' (اللا الاهية) فى ايلول (سبتمبر) من نفس العام . وبدأت الاذاعة الروسية تبث برنامج ''ساعة الدين المسيحي'' كما استقبل ستالين رئيس الاساقفة سيرجيوس ورفعت مرتبته الى بطرك(٤٣) .

---

* كان ساموركي هذا اول سكرتير عام للحزب الشيوعي الداغستاني .

(٤٠) بوريس كانديدوف : ''الكنيسة والتجسس'' ، موسكو ١٩٣٨ ، الصفحة ٩٨ .

(٤١) ''كليات'' ج. ستالين ، موسكو عام ١٩٥٢ ، المجلد ٥ ، الصفحات ٢٨ و ٤٠٣ .

(٤٢) كولارز : ''روسيا ومستعمراتها'' صفحة ١٨ ، لندن عام ١٩٥٢ .

(٤٣) ب. سبولير : ''درس اتجاهات الكنائس الشرقية'' ، صفحة ٣٥ .

وحدث فى نفس الوقت تقريبا انشاء دار فُتيَا للاسلام فى الاتحاد السوفيتي ودُعي مؤتمر اسلامى فى أوفه تحت رئاسة المفتي الجديد عبد الرحمان رسولوف ، (٤٤) وقام هذا المفتي فى نفس العام بزيارة القاهرة وغيرها من البلدان الاسلامية.

كان القصد من هذه الاعمال الدلالة غير المباشرة على انه قد جرى بالفعل الموافقة قانونيا على الادارات الدينية، وهذا لم يمنع م. كالينين ، رئيس المجلس الاعلى للاتحاد السوفيتي ، من القول فى الوقت ذاته ان المبدأ الشيوعي يعتبر الدين خرافة وانه يناضل من اجل تحرير الانسان من الدين(٤٥) . وثبت صدق كلمات كالينين هذه بعد الحرب مباشرة : حيث بدأت فى عام ١٩٤٦ الدعاية ضد الدين ، يعاضدها بشدة بعض الشخصيات الرسمية .

والسياسة السوفيتية نحو الدين تعتمد على الرياء والمداهنة والتقلب المستمر. والدستور السوفيتي يمنح اعترافا رسميا بالدين ، وقالت المادة ١٢٤ منه : ”ولاجل تأمين حرية الضمير لجميع المواطنين ، تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتي عن الدولة وتفصل المدارس عن الكنائس ، وانه لمن حق المواطنين حرية القيام بشعائرهم الدينية وحرية القيام بدعايات مضادة للدين“ .

فمثل هذا الموقف يحتوى على متناقضات منطقية هامة ، اذ بينما يجرى الاعتراف بالدين من جهة نرى ان الحكومة والحزب الشيوعي يرسلان : من جهة اخرى ، وفود ملحدين مسلحين ، وظائفهم شن حرب شعواء على الدين ليلا نهارا بغية القضاء عليه .

وتكون النتيجة طبعا موقفا غير منطقي ومتناقضا اذ يتطلب القضاء على شيء هو موضع الاحترام .

وقد اصبح هذا العمل تقليدا متبعا تشوبه بعض علائم المرض. فبينما تكلم كروشوف فى المؤتمر العشرين للمؤتمر الشيوعي عن ”التعايش السلمي“ اكد فى نفس الوقت وجهة النظر هذه نحو الدين وانحى باللائمة والمسؤولية للخطايا والاجرام التي قام بها الحزب والحكومة الشيوعية على ”الطاغية“ ستالين(٤٦) .

وانه لمن الواضح جليا ان اساس هذا البلاء والاعمال المشينة بما فيها ”الدستور البرّاق“ للاتحاد السوفيتي ، هو الشيوعية نفسها التي شطرت العالم بالفعل الى شطرين وخلقت احوالا تماثل حرب دائمة ، تارة ”باردة“ وطورا ”حارة“ .

النزاع العقائدي مع الاسلام

بقي الاسلام من اهم العوامل التي اعاقت تقدم الشيوعية فى الشرق ، ووقف فى طريق الغزاة السوفيت ، ولذا نرى حكام الكرملين اخذوا باتباع طرق ووسائل مختلفة لهدم هذا الحاجز الاسلامى المنيع بلا رحمة او شفقة ، ويستعملون لهذا جميع الوسائل التي لديهم لتحقيق هذه الغاية ، بما فيها استعمال العلم السوفيتي ، الذى يحاول نسف الاسلام نفسه من الاساس ، والذى يتهمه بأنه يُعيق حركة التحرر الوطنية فى بلدان الشرق الاسلامى المستعمرة والشبه مستعمرة . وقد

---

(٤٤) ب. سبولير : ”درس اتجاهات الكنائس الشرقية“ ، صفحة ٣٧ .
(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٤٦) خطاب كروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي — اذار (مارس) ١٩٥٦ ص ٣٩ .

نشر معهد العلوم السوفيتي ، التابع للاتحاد السوفيتي ، عدة مقالات ومجلدات ضخمة ودراسات علمية واسعة عن الاسلام ولنا فى كلمات ن. سميرنوف خير دليل عن هذه المؤلفات حين قال ان الغاية منها هي : ''وضع حد قاطع لتخدير الدين'' (٤٧) .

فاذا كانت الديانة هذه ''مخدرا'' و ''افيونا'' فلماذا أعطيت اذا مكانا بارزا فى ''الدستور البرّاق'' ؟ ولن يتمكن رسل المادية الكلامية اعطاء جواب عن هذا ، لان احكامها من العسير جدا فهمها.

وكتب ن. سميرنوف اثناء القيام بحملته ان : ''الدور الذى لعبه الاسلام الحديث فى معاضدة الطبقات الحاكمة الاستغلالية ومعاضدة النظام الاستعمارى يجب رفع الستار عنه ، كما انه من الضرورى ايضا ان نبين المغزى الرجعي لعقيدة الجامعة الاسلامية ، والتي هي عدوة للشعب التي استخدمها المستعمرون الاميركان اولا دعامة لاستعباد شعوب الشرق'' (٤٨) .

وعندما حمل بعض هؤلاء السوفيت المدعين بالعلم ، انفسهم بهذه المهمة التي لا شكر عليها ، ذهب البعض منهم الى التمادى فى قول الافتراءآت والكفر : خلقوا ''الخرافة الخاصة بمحمد عليه السلام'' وانكروا شخصيته التاريخية ، فكتب ''العلامة'' السوفيتي بالاسلام ل. كليموفتش ''ان محمدا هو شخصية مختلقة استعملت ولا تزال تستعمل لتفسير اصل الاسلام'' (٤٩) .

وادعى بعض المثقفين السوفيت ان : ''الاسلام يمثل عقيدة آسيا الاقطاعية'' (٥٠) ، وان ''القرآن هو من ابتداع الرأسمالية التجارية وانه اوجد للدفاع عن زعامة الطبقات الملاكة'' ، واعطوا صورة معوجة للتغيرات السياسية والحوادث الثورية فى العالم الاسلامى الحديث .

وقال ل. كليموفتش ، كما وافق على هذا القول ن. سميرنوف ، فى وصف ثورة اتاتورك الباهرة : ''ان الدوائر البرجوازية السياسية التي اتت للحكم فى تركيا سعت دوما الى تحوير الاسلام الى اغراضهم الخاصة ، وعهد الى الدوائر الدينية فى جامعة اسطنبول مهمة ''تنظيم الاسلام فى تركيا على قواعد فنية حديثة''(٥١) .

واضاف ن. سميرنوف الى هذا : ''تحتاج الطبقة البرجوازية التركية الرجعية الى ديانة جديدة لتخدم مطامعها'' (٥٢) .

الاستفادة العلمية التى يستمدها السوفيت من الاسلام

كتب ل. كليموفتش ان ''الاسلام هو احد الاديان التي لا تزال قائمة بين بعض سكان الجمهوريات الآسيوية وجمهورية كازاخستان ، وفى القفقاس والتتر وبشكيريا وغيرها من المناطق فى القسم الاوروبي من الاتحاد

---

(٤٧) ن. سميرنوف : ''مقالات عن تاريخ الدراسات الاسلامية فى الاتحاد السوفياتي'' ص ٢٣٦ طبع معهد العلوم السوفيتي ، موسكو، ١٩٥٤ .
(٤٨) ن. سميرنوف — المشار اليه سابقا ص ٢٧١ .
(٤٩) ن. سميرنوف — السابق الذكر، ص ٢٠٣ .
(٥٠) ن. سميرنوف — المشار اليه سابقا ، ص ٢٠٧ .
(٥١) ل. كليموفتش : ''الاسلام — اساسه وجوهره الاجتماعي'' ، ص ٢٠ موسكو ١٩٥٦ .
(٥٢) ن. سميرنوف — المرجع المشار اليه سابقا ، صفحة ٢٣٤ .

السوفيتي . وهذا الدين يسود فى الغالب فى عدد من البلدان الآسيوية والافريقية "(٥٣) وبكلمة اخرى نرى انه اعتبر الاسلام فى الاتحاد السوفيتي "من مخلفات الماضي" . وقد جرى الاعتراف به رسميا بطريقة صورية على الاقل ، ولهذا يدهشنا حقا تناقض ومراوغة السياسة السوفيتية نحو الدين الاسلامى وغيره من الديانات .

لقد اشرنا سابقا الى ان الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعي قاما باضطهاد الشعوب الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي وعملا على قتل ومقاصصة الشيوعيين المسلمين بلا سبب سوى انهم قاموا بمراعاة ظاهرية للطقوس الدينية الاسلامية. ونرى الآن انهم يتلفظون بشرعية هذه الديانة ويسمحون لمنظماتها فى العمل على نطاق واسع . ومن الواضح ان "التسامح" هذا نحو الاسلام لم يكن نتيجة لحسن نوايا الشيوعيين بل نشأ عن رغبتهم فى اتخاذ الاسلام كأداة فى يد الاستعمار السوفيتي والسياسة الاستعمارية . ويجب ان لا يسهى عن البال ان الخطّ العربي محظور استعماله فى جميع الجمهوريات الاسلامية فقد استبدل باحرف الهجاء الروسية كما وانه الغى ايضا التعليم الديني للاطفال . فهنالك اذا لا حروف ابجدية ولا حرية ولا احترام للشعور الديني للمسلمين ، ومع كل هذا نرى ان الاسلام قد احتفظ به اسميا لكي يقوم بلعب دور ثانوى فى المقاصد العدائية للحكومة السوفيتية التي لا تعترف باله والتي تحكم باستعمار العالم باجمعه . ولقد تحدى الكفر والخيانة والغدر وجميع القوانين الاخلاقية فى الاراضي السوفياتية .

وقد تكلم ستالين فى الماضي البعيد عن الرغبة فى تحويل تركستان الى جمهورية نموذجية وكمركز امامى القصد منه تبديل وجه الشرق(٥٤) ، ونرى اليوم ان جميع الرؤساء يسعون لتحويل هذا المركز القائم فى الطليعة فى غاية خدمة سياستهم التي ترمى الى الامتداد نحو الشرق ، ويخدم هذه الغاية رجال الدين المسلمون الذين عينوا خصيصا لهذه الغاية، مستعملين لهذا الادارة الدينية التي يتكون جهازها مما يلي : .

الادارات الاقليمية للاسلام فى الاتحاد السوفيتى

١ — طشقند (اواسط آسيا وكازاخستان) .

مفتي — وهو رئيس الادارة الاسلامية — ضياء الدين باباخانوف(٥٥) .

فى جمهورية كركيز السوفيتية الاشتراكية — الامام الخطيب نزاربيكوف .

فى جمهورية كازاك السوفيتية الاشتراكية — الامام الخطيب صقدى فاكاس جلمانوف .

فى جمهورية تاجيك السوفيتية الاشتراكية — القاضي عبد الرشيد موسى بيكوف .

فى جمهورية توركمنيان السوفيتية الاشتراكية — عيد الرحمن شاريبوف .

أوفا (الرئاسة الدينية لسيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي) .

---

(٥٣) ل . كليموفتش ، المشار اليه سابقا ، صفحة ٤ .

(٥٤) "كليات" ستالين موسكو ١٩٥٢ ، المجلد ٥ ، ص ٢٣٩ .

(٥٥) اذاعة محطة موسكو تاريخ ١٩٥٧/١٠/٢٠ فى خديثه عن مؤتمر جميع الكنائس والاتحادات الدينية فى الاتحاد السوفيتي للبحث فى مسألة الدفاع عن السلم . بطريركية موسكو ، ١٩٥٢ ، الصفحات ١٢ و ١٣ .

مفتي — ورئيس الادارة الدينية — الحافظ كليم الله وحاج الحرمين شاكر خيال الدينوف .
قاضي — حاج الحرمين ب. طوكازباييف (٥٦) .

٣ — بونيكسك (الرئاسة الدينية لشمال القفقاس وداغستان) .
الرئيس بالوكالة للادارة الدينية — المفتي محمد حاجي قربانوف .
سكرتير الادارة الدينية — شمس الدين عبدالله يف .
شيخ جامع قرية بسيش فى المنطقة الشركسية المستقلة (منطقة ستافروبول) آدم افندى تليماكوفيتش خاشوكوف(٥٧) .

٤ — باكو (الادارة الدينية للمسلمين فيما وراء القفقاس) .
رئيس الادارة الدينية — شيخ الاسلام محسن حكيم زاده .
الرئيس بالوكالة للمسلمين السنيين — دبيروف افندى .
السكرتير الادارى المسؤول — علي عباس رضايف (٥٨) .

وتقع هذه الادارات الدينية بكاملها ، بموجب اوامر الحكومة الشيوعية ، تحت اشراف فرع خاص فى ادارة الحزب حيث اطلق عليه اسم مجلس الامور الدينية ، وهو الذى يشرف على جميع الديانات ما عدا الديانة الارثوذكسية ، ويتبع هذا المجلس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي . هذا ورئيس هذا القسم حاليا هو الشيوعي اليكسيس بوتسين .

ونرى ايضا ان هذه الدوائر الحكومية التي تعمل فى المناطق الاسلامية تقوم بالدعاية ضد الدين بالاضافة الى اشرافها على امور الدين والجوامع وينظم هذه الدعاية المؤسسات التي تسمى بالجمعيات لنشر المعارف السياسية والعلمية ، والتي تعمل على تدريب الموظفين التابعين لها باعطائهم دروسا خصوصية فى الدعاية ضد الدين تحت اشراف الحزب الشيوعي .

هذا والمعارض المضادة للدين تزاحم الجوامع فى اذربيجان وشمال القفقاس وتركستان وباختيارى التاتارية ، كما وانه قد افتتح مجددا متاحف لنشر الدعاية ضد الدين وسبق عددهم هذا ما كان عليه قبل الحرب العالمية الثانية (٥٩) .

وقد جرى استخدام الادارات الدينية والاقليمية الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي لخدمة اغراض الدعاية جملة داخل البلاد وخارجها . ففي داخل البلاد تقوم هذه بالمؤامرة على اصول الدين وتحريفها بموجب تعاليم الحكومة والحزب . ونرى مثلا انه بتاريخ الحادى عشر من ايار (مايو) عام ١٩٥٦ ، اى بمناسبة الاحتفال بعيد الفطر المبارك ، قام امام جامع موسكو احمد خان مصطفين بالتوسل الى جميع المسلمين بعدم اداء فرائض الصوم مدعيا ان القرآن لم يعتبرها من الفرائض الاجبارية (راديو موسكو ووكالة تاس للانباء تاريخ ١٩٥٦/٥/١٢) .

وتقول المصادر السوفيتية انه قد اسس مجمع ديني اسلامى فى بخارى يجرى التدريس فيه لمدة تسع سنوات . وكان من المفروض ان تنهى الدفعة الاولى من المتخرجين دراستها فى عام ١٩٥٦ (محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٤/١١/١٨) .

---

(٥٦) جريدة "ازفستيا" موسكو ، تاريخ ١٩٥٥/١/٥ .
(٥٧) مؤتمر جميع الاديان الخ (المشار اليه سابقا) الصفحات ١٣ و ١٤ .
(٥٨) جريدة "كوميونست" الصادرة فى باكو ، تاريخ ١٩٥٦/٣/١٨ .
(٥٩) "المسألة الشرقية" تاريخ ١٩٥٥/١٢/٢٣ ، صفحة ١٩٥٤ .

واصدرت المديرية الدينية الاسلامية لاواسط آسيا وكازاخستان طبعة جديدة من القرآن ، ويجرى الآن فى أُوفا ، من أعمال سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفياتي ، طبع مثل هذا من قبل المديرية الدينية الاسلامية لهذه المنطقة (راديو موسكو ووكالة تاس للانباء ، نشرة الاخبار رقم ٢٢ ، تاريخ ١٩٥٦/٥/١٩) .

ويسهل علينا ان نتصور ما سيدرسه هؤلاء الطلاب التعساء فى هذه المجامع الدينية وكيف سيكون القرآن فى طبعته هذه ! !

يُستعمل الاسلام فى خدمة اغراض السياسة الخارجية على الشكل التالي : يتم ارسال الحجيج الاسلامى الى مكة، ويكون ذلك طبعا على نفقة الحكومة ، لانه ليس بامكان كل مسلم الحصول على سمة للخروج من البلاد وان يتحمل مصاريف السفر الباهظة الى مكة على نفقته الخاصة . ومما هو جدير بالذكر فى هذه المناسبة انه اثناء الحكم القيصرى السابق كان يحج الى مكة عشرون الف حاج مسلم سنويا ، اما العدد الحالي فهو عشرون ، وهؤلاء العشرون يعرفون بالطبع كيفية احترام الموقف وماذا يمكنهم التفوه به عن الشيوعية فى الاتحاد السوفيتي . وائمة الدين هؤلاء وغيرهم من المسلمين يقومون بالطبع بمقابلة الزوار القادمين من البلدان الاسلامية الاخرى ، فنرى مثلا ان المفتي الشيخ خيال الدينوف كان بين ممثلي الحكومة الذين قاموا بمقابلة ولي عهد اليمن عند زيارته للاتحاد السوفيتي . (" ازفستيا " تاريخ ١٩٥٦/٦/١٢) .

وتقوم محطة اذاعة موسكو بدعاية واسعة للخطب التي يلقيها رؤساء الاتحادات الدينية المختلفة الذين يمتدحون جميع الاجراءآت والمقترحات السوفيتية فى الحقل الدبلوماسي . ففي عام ١٩٥٥ اذاعت محطة موسكو نداء المفتي الراحل باباخان ، رئيس الادارة الاسلامية لاواسط آسيا وكازاخسان ، وكان هذا النداء قد اذيع اثناء خطبة الجمعة على ثلاثة الاف مصل ، يدعوهم الى " العمل جديا والاشتراك فى الحملة الجديدة التي بدأت فى الاتحاد السوفيتي لجمع التواقيع بالنيابة عن مجلس السلم العالمي " (٦٠) .

واستخدمت الحكومة فى السنين التالية ائمة الدين الاسلامى لدعم ومدح الحركات السياسية المقصود منها القبول والانتشار فى البلدان الاسلامية فى الخارج . والحكومة الشيوعية لا تزال تنظر بعين الرضى الى هذه " الوسائل الفعالة " لحد الآن كما يستدل على ذلك من اذاعتها مؤخرا من محطة اذاعة موسكو قولها : " ان المفتي ضياء الدين باباخانوف ، رئيس الادارة الدينية الاسلامية لاواسط آسيا وكازاخستان ، قد اعرب عن موافقته على الاشتراك فى المؤتمر العالمي الذى سيعقد فى ستوكهولم وقال لاحد مراسلي وكالة تاس " ان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي قد سروا عند سماعهم قرار عقد مؤتمر عالمي للشعوب فى استوكهولم غايته نزع السلاح والتعايش السلمي . . . وان انماء الصداقة والتضامن الاخوى بين الناس لهما من انبل واقدس الغايات للانسانية ، بغض النظر عن اعتقاداتها الدينية والسياسية . . . والمسلمون فى الاتحاد السوفيتي يعربون عن سرورهم التام وموافقتهم على قرار مجلس السوفيت الاعلى الخاص بوقف التجارب الذرية من قبله. واننا نأمل ان تأخذ مثل هذا القرار الدول الاخرى التي تحوز على الاسلحة الذرية " . واضاف باباخانوف قائلا : " ان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي يرغبون من هذا المؤتمر ان يلقي نظرة جدية الى الحوادث فى الجزائر ، وحربها الذى استمر بضع سنوات ، هذه الحرب التي تهدد السلم فى العالم باجمعه . واننا نامل ان يوجد حلّ سلمي لهذا النزاع (٦١) " .

---

(٦٠) محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٥/٤/٢ .
(٦١) محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٨/٥/٢٢ .

هذا ، وتقوم محطة اذاعة موسكو ، لاجل التأثير على الرأى العام فى البلدان العربية ، ببث اذاعات باللغة العربية مصطحبة بقراءآت من القرآن وحدث اثناء احد هذه الخطابات فى العام الماضي ان اكد المفتي باباخانوف وجود ''حرية دينية كاملة للمسلمين فى جمهوريات اواسط آسيا التابعة للاتحاد السوفيتي''(٦٢) .

ولما كانت جميع هذه الاذاعات من موسكو تذاع باللغة العربية ، فان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي لا يفقهون محتوياتها . ووجود ''حرية الدين'' هذه تكذبها الصحافة السوفيتية نفسها ودليلا على ذلك ما جاء فى عدد حديث للجريدة السوفيتية ''كومسومولسكا برافدا'' بتاريخ ١٩٥٧/٢/١٢ حين نشرت فيه القرار الذى اتخذته اللجنة المركزية لرابطة الجنوب الشيوعية (الكومسومول) الخاص ''بتقدم العمل فى سبيل نشر الالحاد العلمي''.

وليس بالطبع من الامر الخفي للجميع برنامج الزعماء السوفيت لاستعمال الاسلام لغاياتهم العدوانية ، واثباتا لذلك الخطابات التي القاها ممثلو الاقطار الاسلامية فى مؤتمر باندونج والتي اتهموا بها النظام السوفيتي قائلين انه نوع جديد من الاستعمار ومن أسوأها ايضا .

والحكومة السوفيتية التي تدعي بانها زعيمة حركة التحرر عن الاستعمار تسعى لاستعمال المسلمين ، وخاصة مسلمي الاتحاد السوفيتي ، لاغراضها الشخصية . غير ان الحوادث المريرة ، وخاصة تلك التي حدثت فى المجر وبولنده ، قد كشفت للجميع حقيقة الامر وهي ان تحرير الشعوب هو جار على نطاق واسع وبنجاح فى العالم الحر ولدرجة اكثر مما هو عليها فى الكتلة السوفيتية .

وبينما نرى ان الهند وباكستان واندونيسيا وعدد كبير من البلدان العربية قد حصلت على استقلالها ويكاد لا يوجد نفر اوروبي واحد يعمل فى هيئة ادارتها ، نرى ان الجمهوريات السوفيتية فى القفقاس وتركستان وكثير من الاقطار الاوروبية ترزح تحت حكم الولاة الشيوعيين والموظفين المدنيين الذين تعينهم موسكو وترسلهم للعمل فى هذه المناطق . ويلاحظ ان المفتين وغيرهم من زعماء الدين الاسلامى ، الذين يجرى تعيينهم من قبل الحكومة السوفيتية ، لا يذكرون اى شيء عن هذه الحوادث ، وكذلك المندوبون الذين تنتخبهم الجمهوريات الاسلامية والاقاليم المستقلة الى ما يسمى بالبرلمان السوفيتي — المجلس الاعلى للاتحاد السوفيتي — نرى انهم لا يجرؤون على التفوه ولو بكلمة واحدة، عن هذه الامور او عن الجرائم الشنيعة التي تقترفها السلطات السوفيتية فى الاقاليم والجمهوريات التي يمثلونها .

ولما كان الامر كذلك فللمسلمين فى الاتحاد السوفيتي عزاء واحد وهو قوله تعالى ''انه لا يحب الظالمين''.

وختاما يمكننا الاجابة على الانتقاد الكفراني الذى فاه به ائمة العقائد الشيوعية وادباء السوفيت بغية القضاء على الاسلام بالكلمات التي فاه بها ارثار بيليجرين ، وهو الكاتب المحايد ، حيث قال منذ سنوات قليلة مضت: ''بينما تزعزعت وفنيت من العالم الكثير من الآراء والمذاهب والنظم ، نرى ان الاسلام لا يزال ثابتا على اقدامه كنظام ومذهب وتفكير واحد'' (٦٣) .

فتجارب الحياة فى ظل السوفيت قد برهنت على انه لا يمكن نزع الاسلام من قلوب الشعب ، ولهذا نرى ان السياسة الاسلامية الداخلية والخارجية للحكومة السوفيتية هي ليست خاطئة فحسب بل انها تحتوى على نوايا شريرة لشعوب الشرق الاسلامى وللسلم والامن فى العالم قاطبة .

---

(٦٢) محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٧/٢/٢٥ .

(٦٣) ارثار بيليجرين : ''الاسلام فى العالم'' ، باريس ١٩٥٠ .

الإسلام في تركستان

بقلم : ا. بردى مراد

تعتبر تركستان اكبر منطقة اسلامية فى الاتحاد السوفيتي وتشمل الجمهوريات السوفياتية الآتية : كازاك واوزبك وكركيز وتركمان وطاجيك وتبلغ مساحتها اربعة ملايين كيلومتر مربع اى ما ينوف عن سبعة اضعاف مساحة فرنسا.

وتمتد هذه المنطقة الواسعة من بحر قزوين وجبال الاورال حتى جبال ألطي فى الغرب ، والى حدود منغوليا والصين فى الشرق. ويحدها فى الجنوب ايران وافغانستان وممر ضيق عرضه من عشرة الى خمسة عشر كيلومترا يفصل بينها وبين الباكستان. ويحكم منطقة تركستان الشرقية حاليا جمهورية الصين الشعبية ، غير ان وضعها الجغرافى والطبيعي والجنسي يجذبها نحو تركستان السوفيتية.

يقتصر الحديث فى هذا المقال على القاء بعض النور على وضع المسلمين فى تركستان السوفيتية.

* * *

تركستان هى بلد قديم ولها تاريخ وعادات ومدنية خاصة بها. والاسلام كدين وقانون ونظام اجتماعي اكتسبته شعوب تركستان من الفاتحين العرب ، وتم اسلام شعوب هذه المنطقة بالفعل فى المدة الكائنة بين القرنين السابع والتاسع للميلاد ، وتم انتشار الاسلام بها فى عهد العباسيين (٧٤٩ — ٩٥٨ ميلادية)(١).

وكانت تركستان لعدة قرون امبراطورية ووصلت الى اوج عظمتها فى عهد حكم تيمور والتيموريين (١٣٦٥ — ١٥٠٠ بعد الميلاد)(٢) ولعبت هذه الامبراطورية دورا هاما فى تاريخ الشعوب الاسلامية وبالحياة الدينية الاسلامية

---

(١) (أ) س. بروكلمان : "تاريخ الشعوب الاسلامية" ميونيخ وبرلين ، ١٩٤٣ الطبعة الثانية الصفحات ٧٤ — ٧٦ و ٢١٩ وما يليها ، والصفحة ٢٤٥ وما يليها.

(ب) زكي وليدى طوغان : "تركستان" اسطنبول ١٩٤٢ — ١٩٤٧ ، الصفحات ٩٩ و ١٠٠.

(ج) بيمرزا حاييت : "تركستان فى القرن العشرين" طبعة دارمستات ، ١٩٥٦ ، الصفحة ١٣.

(د) تاريخ جمهورية ازبيك الاشتراكية السوفيتية (باللغة الروسية) طبع طشقند تحت اشراف معهد العلوم الازبكي ، عام ١٩٥٥ ، المجلد ١ ، الكتاب الاول الصفحات ١٣٥ و ٣١٣ و ٣٣٥ وما يليها.

(٢) المصادر نفسها.

فى القرون الوسطى ، وانجبت عددا كبيرا من الادباء والفلاسفة مثل ابي جعفر بن موسى الخوارزمى (القرن التاسع) وابي نصر الفارابي (الذى توفى فى عام ٩٥٠ بعد الميلاد) وابي علي بن سينا، والمشهور فى اوروبا بافيسينا (٩٨٠— ١٠٣٧ بعد الميلاد) ومؤلف دار المعارف ابي ريحان البيروني (٩٧٣— ١٠٤٢ ميلادية) والفلكي اولوغ بك (١٣٩٤— ١٤٤٩ ميلادية) والسلطان بابور مؤسس الامبراطورية المغولية الكبرى فى الهند وهو ايضا مؤلف بابورنامه (١٤٨٣— ١٥٣٠ ميلادية)(٣) .

وكانت تركستان فى العصور الوسطى احدى مراكز الحضارة الاسلامية اذ تلقى الكثير من المثقفين المسلمين وطلاب العلم دروسهم فى مدارسها الدينية المتعددة— وخاصة تلك الموجودة فى بخارى وسمرقند وخيوه— واموا هذه المدارس ليس من تركستان فحسب بل ومن غيرها من البلدان الاسلامية .

ومرت تركستان فى العصور التالية فى احرج اوقاتها بسبب تجزئتها فى العصر الاقطاعي وغزوها من قبل روسيا الامبراطورية بعد حرب طويلة حيث حولتها الى مستعمرة مما ادى الى هيجان عام نتج عنه فى عام ١٩١٦ ثورة عامة وشاملة فى تركستان تطلب اخمادها اتخاذ وسائل بوليسية صارمة(٤) .

واستولى الحزب البلشفيكي الشيوعي فى عام ١٩١٧ على الحكم فى روسيا ، ولا يزال ذلك الحزب— لمدة تزيد عن الاربعين سنة— مالكا لزمام الحكم على بلاد الامبراطورية القيصرية السابقة ، التى تحولت الى ''الاتحاد السوفيتي''.

ويمكن شطر السياسة التي تتبعها الحكومة الشيوعية للاتحاد السوفيتي حيال الدين الاسلامى الى ثلاثة ادوار رئيسية هي:

اولا : الدور الذى يتميز بالتسامح النسبي لامور الدين — اى تلك الحركة التاكتيكية التي فرضتها الحرب الاهلية وتمركز قوة السوفيت (١٩١٧— ١٩٢٩) .

ثانيا : الدور الذى تميز بالاضطهاد الوحشي للدين الاسلامى وأئمته (١٩٢٩ — ١٩٤١) .

ثالثا : دور انتهاز الفرص المواتية (والذى ابتدأ بالحرب العالمية الثانية واستمر حتى يومنا هذا . اذ فى هذه البرهة اخذت سياسة الاتحاد الداخلية والخارجية فى القيام بأعمال الدعاية — اى من نوع ما يسمى ''بالالحاد العلمي'' كوسيلة لمحاربة الاسلام) .

١— الدور الذى تميز بالتسامح النسبى لشؤون الدين (١٩١٧ — ١٩٢٩)

العقائد المادية للشيوعية هي فى الاساس مبنية على الالحاد وهى لذلك عدوة لدودة لجميع الاديان ، بما فيها الدين الاسلامى . ولو رجعنا فى التاريخ الى عام ١٩٠٩ لرأينا ان لينين فى كتابه ''وجهة نظر حزب العمال نحو الدين''

---

(٣) تاريخ جمهورية ازبيك السوفيتية الاشتراكية المشار اليه سابقا الصفحات ٢٢٣ و٣٤٠ و٤٤٥ وما يليها.

(٤) (أ) يوهانيس نبزنج : ''الشعوب التركية فى الحرب والسلم'' فى مجلة ''العالم الاسلامى'' المجلد ١٩ ، برلين ١٩٣٧ .
(ب) بيمرزا حاييت الصفحات ٢٨ — ٣١ .
(ج) زكي وليدى طوغان : ''تركستان'' اسطنبول ١٩٤٢ — ١٩٤٧ ، الصفحات ٣٣٦ — ٣٤٥ .
(د) مقال كوشوى : ''ثورة ١٩١٦'' (باللغة الروسية) فى مجلة ''تركللي'' طبع ميونيخ ١٩٥٣ ، العددان ١٧ و١٨ الصفحة ٤٥ .

قد وصف هذه المسألة واشار الى ضرورة محاربة الدين وجميع المؤسسات الدينية لانها تمثل ''آلات فى يد الطبقات الوسطى الرجعية''، والكل يعرف حق المعرفة كلمات لينين المشهورة والتي ترددها جميع المنشورات المناوئة للدين المتداولة فى الاتحاد السوفيتي حيث قال: ''الدين هو افيون (مخدر) الشعب — وقول ماركس هذا هو الحجر الاساسى للعقائد الماركسية فى الامور الخاصة بالدين، فالماركسية تعتبر الديانات والكنائس القائمة حاليا، وايضا جميع المنظمات الدينية، اداة فى ايدى الطبقة الوسطى الرجعية التي تستعملها فى تبرير استغلالها للطبقة العاملة واسكاتها. وعلينا إذاً محاربة الدين وهذا هو ابجدية المبدأ المادى أى المبدأ الماركسي''(٥).

وعبّر ستالين عن مثل هذا حين قال: ''لا يمكن للحزب ان يقف موقفا محايدا من حيث وجهة نظره للدين، وواجبه هو القيام بدعاية ضد الدين وكل خرافة دينية، لأنه يعطي معاضدته الفعالة للعلم بينما تنافى الخرافات الدينية العلم. وكل دين هو لا شك مناقض للعلم''(٦).

غير ان هذا العداء المكشوف للدين قد يظهر احيانا، لسبب ما، فى زى التسامح، وقد يأخذ هذا حداً تتعاون فيه الحكومة الشيوعية مع اعداء عقائدها — وهم رجال الدين. ونرى مثلا ان الزعماء الشيوعيين ظهروا فى اوائل عهد الثورة، عند تيقنهم من تمسك الشعب باسلامه، انهم حامون للعقائد الاسلامية والعادات القومية. ولأجل السيطرة على الحكم فى الشرق الاسلامى قاموا بتاريخ ٣ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧ بنشر ''نداء موجه من قبل مجلس ممثلي الشعب الى جميع العمال المسلمين فى روسيا والشرق'' وقع عليه لينين وستالين، وجاء فيه ''الى مسلمي روسيا، اكانوا من تتر الفولجا وشبه جزيرة القرم، كركزيين وسارطين من سيبيريا وتركستان، اتراك وتتر ما وراء القفقاس، شراكسة وسكان الجبال الذين يقطنون القفقاس؛ والى جميع من تهدمت جوامعهم ومعابدهم، وديست عقائدهم وعاداتهم من قبل القياصرة والطغاة فى روسيا. اعلموا ان جميع عاداتكم وعقائدكم، ومؤسساتكم الوطنية والثقافية، هي حرة من الآن فصاعدا وغير قابلة للنقض. وعليكم القيام بتنظيم حياتكم الوطنية بحرية وبدون تدخل او اعاقة من قبل الغير... ولكم الحق فى مثل هذا... ونحن نرفع على راياتنا شعار تحرير جميع الشعوب المضطهدة فى العالم''(٧).

وقد سبق هذا النداء اعلان نشرته الحكومة السوفيتية ووقع عليه نفس الاشخاص بتاريخ الخامس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧، جاء فيه: ''انه لمن حق شعوب روسيا تقرير مصيرها، بما فيه الانفصال والاستقلال التام'' والغاء جميع الامتيازات الوطنية والدينية وجميع انواع المحاذير''(٨).

هذا ودلت الحوادث التي جاءت فيما بعد انه لا ''النداء'' هذا ولا ''الاعلان'' جرى تنفيذهما بالواقع بل كان الغرض منهما كسب معاضدة المسلمين الذين لم يعرفوا شيئاً عن الشيوعية والاخلاق الشيوعية الدنيئة.

---

(٥) ''كليات'' لينين الطبعة الرابعة ١٩٥٢، المجلد ١٥، الصفحات ٣٧١ — ٣٧٢.
(٦) ''كليات'' ستالين، الطبعة الرابعة، ١٩٥٠، المجلد ٣٥، الصفحة ٨٩.
(٧) (أ) نشر النداء فى ''جريدة حكومة العمال والفلاحين الموقتة'' تاريخ ١٩١٧/١١/٢٤، والرقم ١٧.
(ب) قرارات وأوامر حكومة العمال والفلاحين، موسكو ١٩١٧، الرقم ٦ الملحق رقم ٢.
(٨) ''جريدة حكومة العمال والفلاحين الموقتة'' تاريخ ١٩١٧/١١/٣، القرارات والأوامر رقم ٢ تاريخ ١٩١٧/١٢/٤، الصفحة ١٨.

وسرعان ما ظهر هذا المغزى الحقيقي ، اذ نرى ان الحكومة الوطنية التركستانية المستقلة ، والتي تم تأليفها بحرية وبموجب رغبة الشعب ، بعد ثورة آذار (مارس) عام ١٩١٧ ، قد خلعت وجرى القضاء عليها من قبل الشيوعيين، وهنا ثارت شعوب التركستان وحملت السلاح ضد الحكومة السوفيتية وحاربتها فى المدة الواقعة بين عامى ١٩١٨ و١٩٢٣ ، وكان الدفاع عن الاسلام ضد الالحاد الشيوعي قد لعب دوراً هاماً فى هذه الثورة ، وكان هو المبدأ العادى لها .

وفى نيسان (ابريل) عام ١٩٢٢ تم بنجاح عقد مؤتمر اسلامى تركستاني فى سمرقند ، حضره جميع زعماء الثوار، وجرى اعلان ''جمهورية تركستانية — تركية مستقلة''(٩) ولكن السلطات السوفيتية لم تعترف بتقرير المصير الذاتي القومى هذا وافتتحت ''الجبهة التركستانية'' باستعمال وحدات من الجيش الأحمر بقيادة م. فرونز، الذى تمكن من سحق المقاومة الشعبية وأسس نظاما شيوعيا فى تركستان .

ولم يشترك التركستانيون انفسهم فى تأسيس هذا النظام لأن القوات البلشفية اغتنمت هذه الفرصة لانكار حق الشيوعيين المحليين فى الاشتراك فى هذه الادارة. ونص قرار المؤتمر التركستاني السوفيتي الثالث المؤرخ فى ١٩١٧/١١/١٩ على ما يلي : ''لا يمكن فى الوقت الحاضر السماح للمسلمين بالاشتراك فى الادارة العليا للثورة''(١٠). وجاء هذا القرار كنتيجة حتمية لعدم الثقة بالمسلمين . ويسأل المرء ما شكل هذه السلطات القائمة فى البلدان الاسلامية عندما لا يسمح للسكان الوطنيين بالاشتراك فى حكومة بلادهم ؟ .

والجواب على هذا السؤال قد تكون الكلمة التي القاها بتاريخ الثامن من تموز (يوليو) عام ١٩١٩ مسلم من الطبقة الفقيرة فى اجتماع مؤتمر الحزب التركستاني الشيوعي الاقليمي الذى عقد فى طشقند حين تكلم عن عدم منح الحقوق للسكان المسلمين فى ظل حكومة ''الطبقة العاملة'' واعطى مثالا لقوله هذا مؤكدا ان ممثلي النظام الجديد قاموا، تحت ستار الشعار القائل ''حاربوا الرأسماليين'' ، بسرقة ممتلكات ٨٤٫٠٠٠ نسمة من سكان مدينة ناما جان فى ازبكستان وصادروا كل شيء حتى اقفال ابواب البيوت(١١) .

ولماذا يا ترى قام البلاشفة بحرب ضروس للحصول على تركستان ؟ كانوا فى حاجة اليها لتحقيق برنامجهم التوسعي نحو الشرقين الافريقي والآسيوى ، وكلمة ستالين فى عام ١٩١٩ تشهد على صدق هذا حين قال: ''يجب ان نتذكر ان وضع تركستان الجغرافى يجعلها تمثل رأس جسر موصل بين روسيا الاشتراكية والبلاد المستعبدة فى الشرق ، ولهذا فوجود النظام السوفيتي وتمركزه فى تلك المنطقة سوف يكون له اهمية ثورية واسعة فى الشرق . . .'' ونتيجة لهذا رأى ستالين ''ضرورة . . . بناء قلعة للنظام السوفيتي فى الشرق ورفع منارة اشتراكية فى قازان واوفا وسمرقند وطشقند ، لتضيء طريق استقلال شعوب الشرق المتعبة''(١٢) ولهذا ولأجل استغلال موارد تركستان الطبيعية اقيم نظام شيوعي اجنبي فيها .

---

(٩) ب. حياة : ''تركستان فى القرن العشرين'' طبع دارمستات ١٩٥٦ الصفحات ٢٠٢ الى ٢١٤.

(١٠) طورار ريسكولوف : ''الثورة والسكان الوطنيون التركستانيون'' (باللغة الروسية) طشقند ١٩٢٥ . الصفحة ١٠١ . كما نقلها مصطفى شوكاى أوغلو فى كتابه ''تركستان تحت حكم السوفيت'' باريز ١٩٣٥، الصفحات ١٤ الى ١٩ .

(١١) المصدر السابق ذاته .

(١٢) ''كليات'' ستالين ، موسكو، ١٩٤٧ ، المجلد ٤ ، الصفحات ٢٣٠ و٢٣٨ — ٢٣٩ .

وقام الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية فى السنين الاولى بعد اغتصاب الحكم بالتسامح بامور الدين الاسلامى وائمته محاولين بذلك اضعاف المقاومة الوطنية والدينية بين سكان "مناطق الحدود الشرقية" التابعة لروسيا السابقة، كما وانهم احترموا عادات البلد المحلية(١٣). وكانوا يأملون من هذا اضعاف المقاومة الوطنية والدينية للنظام السوفيتي.

وقد ازدادت الدعاية القائلة بعدم وجود اى متناقضات بين الشيوعية والاسلام، وهبط ارض ازبيكستان قادما من موسكو جماعة من الدعاة يرأسهم كليفيليف الذى قام اثناء محاولة فى اشراك السكان المحليين بالحزب الشيوعي بالاستشهاد بآيات من القرآن "محاولا الجمع بين الشيوعية ومحمد"(١٤)، كما وان الصحافة السوفيتية فى تركستان اخذت تغالي فى مدح "الروح الديمقراطية فى الدين الاسلامى" وافاضت فى مدح ائمة الدين الاسلامى.

وهذا التقرب من رجال الدين الاسلامى فى تركستان استمر الى حين شعر النظام السوفيتي ثبات اقدامه وانه بامكانه ان يبدأ "بالهجوم العام" اى حتى عام ١٩٢٧ — ١٩٢٨، حيث شاهدنا الغاء كل امتياز منح اليهم، كما وان وجهة نظر الحكومة السوفيتية نحو رجال الدين والمؤمنين قد تبدل من سيء الى اسوأ.

٢ — دور الاضطهاد الوحشي للدين الاسلامي وائمته (١٩٢٩ — ١٩٤١)

كان بدء توحيد الاملاك الزراعية الى مزارع جماعية (١٩٢٩) هو الاشارة الى الدكتاتورية الشيوعية للبدء بهجومها الذى لا شفقة فيه على الدين الاسلامى، وقد انشأت مكاتب فرعية "لجمعية المجاهدين الملحدين" فى اراضي تركستان حيث قامت هذه المكاتب بنشر الدعاية المناوئة للدين، تصرف عليها المبالغ الباهظة الواردة من

---

(١٣) (أ) بناء على أوامر ستالين جرى تسليم قرآن عثمان، الذى كانت تحتفظ به مكتبة بتروغراد الحكومية، الى رجال الدين الاسلامى فى طشقند فى كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٧، وكانت الغاية من ذلك كسب عطف المسلمين جمعاء. وهذا القرآن هو احد ثلاث نسخ دونت فى ايام الخليفة الثالث عثمان. راجع قرارات واحكام حكومة العمال والفلاحين، موسكو، تاريخ ١٩ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧، المجلد ٦، الصفحة ١٠٢، والنشرة "نوفى فوستوك" موسكو ١٩١٧، المجلد ٢ ص ٥٩٩، وحياة السالف الذكر ص ٨٤ ردد مقال مانسفيتوف "ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى وتأليف رئاسة شعبية للاقليات القومية" فى "فوبروسي إستورى" رقم ٨، ١٩٤٩، طبع موسكو.
(ب) اعلنت الحكومة السوفياتية فى اوج حدة الثورة فى تركستان، اى بتاريخ ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢١، قرارا ينص على "اعادة المحاكم الشرعية" وبهذا نقضت القرار الصادر بتاريخ ٢ آب (اغسطس) عام ١٩١٩، الذى الغى هذه المحاكم. وسمح بموجب القرار الجديد هذا للقضاة بالاستمرار فى اعمالهم الدينية كما وانه سمحت للمدارس الدينية بمزاولة اعمالها واعيدت للجوامع جميع الممتلكات التي صودرت منها فى الماضي. (راجع مقال سليمانوف "بحث فى تاريخ تأسيس المحاكم السوفيتية فى ازبيكستان" فى مجلة "سوفيتسكويا جوسودارستوفو اى برافو" العدد ٣، ١٩٤٩، ص ٦١، طبع موسكو.

(١٤) النشرة "ريفوليوسيوني فوستوك" رقم ٣ (١٩٣٤) الصفحة ٢٠٤ وما يليها، موسكو، وحياة المشار اليه سابقا، الصفحة ٣٠٤ وما يليها. اما فيما يختص بسعي الحكومة السوفيتية لاستعمال ائمة الدين الاسلامى لخدمة غاياتها الشخصية راجع ايضا مجلد زكي وليدي طوغان "تركستان الجديدة وتاريخها الحديث" (طبع باللغة التركية)، اسطنبول، ١٩٤٢ — ١٩٤٧، المجلد ١، الصفحات ٥٣٠ الى ٥٣٥.

موسكو آملة فى جذب الدعاة لمذهبهم من بين السكـان المسلمين فى المنطقة . وعملت هذه المكاتب الاقليمية بالاضافة الى طبع المنشورات المناسبة والقاء الخطابات المألوفـة ، بالتشهير بالمؤمنين بالدين والحط من مكـانتهم فى اعين العمال والتعريض بهم بشتى الوسائل وغيرها من اعمال التهديد المختلفة .

وقـد الغى مكتب الادارة الدينية الاسلامية ومنعت الجمعيات الاسلامية والمحاكم الشرعية من مداولة اعمالها(١٥) ، وصودرت اوقاف الجوامع والمدارس الدينية ، كمـا وانـه حظر على رجال الدين اقامـة واجبات الصلاة علنا ووضعت غرامة على الذين يقومون بها بمبالغ لا يمكنهم دفعها قطعا ، وجرى اعتقال كل من لم يدفع الغرامة المفروضة عليه — وهي الطريقة الفعالة لابادة المناوئين لعقائد الحكومة .

وقضى الحزب الشيوعي على ائمة الدين بالجملة حيث نفذ بهم ''المرسوم الذى ينص على فصل الكنيسة عن الدولة ، وفصل المدارس عن الدين'' (الذى صدر فى ٢٣ كـانون الثاني (يناير) عام ١٩١٨) ''وملحقاته'' ''وتفاسيره'' المختلفة التي اضيفت اليـه فيما بعد . وتم هذا رسميا بطرق مختلفة ، مثال ذلك اذا ما وجد عالم اسلامى ذو نفوذ واسع بين الطائفة الاسلامية ولكنه ليس مرغوب فيه من قبل السلطات ، فانه تجرى ادانته بموجب المادة ١٢٢ من قانون العقوبات السوفيتي ، بتهمة انه ''اعطى دروسا دينية الى الاطفال والقصر'' ، او بموجب المادة ١٢٣ من القانون نفسه بتهمة انـه ''قام بأعمال ملفقة القصد منها تشجيع الخرافات'' — ومـا هو جدير بالذكر ان هـذه المادة قـد طبقتها السلطات السوفيتية على كل اداء صلاة دينية اعتبرتها غير مرغوب فيهـا فى اى مكان او زمان . وقـد تجرى ادانته بموجب المادة ١٢٤ التي تمنع ''جمع التبرعات فى مكان العبادة'' او المادة ١٢٥ التي تعتبره بأنه ''اغتصب الوظائف الادارية وغيرها من المهمات الخاصة بحقل القانون العام'' ، ويدخل ضمن هذا الصلاة لمباركة الزواج او اسداء البركة على الطفل المولود حديثا او اقامة حفل الختان او جمع زكـاة الفطر (التي توزع عـلى فقراء الطائفة الاسلامية) وغيرها من العادات الدينية التي نمت وترعرعت بين المسلمين كطقوس فطرت حياتهم عليها .

لقد جرى محاكمات تشهيرية او محاكمات سرية لرجال الدين ومدرسيه فى جميع انحاء البلاد، وجردوا من حقوقهم المدنية بموجب المادة ٥٨ من قانون العقوبات وادينوا باقتراف جرائم ضد الدولة وحوكموا بصفتهم ''اعداء للشعب'' و ''محرضين ضد النظام الجماعي'' و ''المسببين للهيجان القومى'' وغيرها من التهم . ووقف هؤلاء امـام القضاة السوفيت فى هذه الحالات بلا سلاح يدافعون به عن انفسهم .

وقـد اقيمت عدة محاكمات فى طشقند نفسها فى عام ١٩٢٩ بحجة انهـا كشفت عن ميول اسلامية ''هدامـة'' نفذت جذورها فى تركستان لاعماق كبيرة حيث قيل انها لاقت التشجيع من قبل ائمة الدين الذين رغبت السلطات فى القضاء عليهم ، وقـد جرى بالفعـل نفي هؤلاء الاشخاص بالجملـة . وكـان هؤلاء فى اعين المؤمنين من الافراد

---

(١٥) جرى تصفية المحاكم الشرعية تدريجيا فى السنين السابقة ، فنجد مثلا :
ان عدد المحاكم الشرعية فى ازبكستان فى عام ١٩٢٢ بلغ ٣٤٢ محكمة
وكـان هذا العدد فى عام ١٩٢٣ ١٣٧ محكمة
وفى عام ١٩٢٤ ١٢٥ محكمة
وفى عام ١٩٢٥ ٤٣ محكمة
راجع مقال سلمانوف فى مجلة ''سوفيتسكويا جوسودارستوفو اى برافو'' المشار اليه سابقا، الصفحة ٦١.

الذين يستحقون كل احترام واعتبروا شهداء، فتعذيبهم والتشهير بهم هذا أثار غضبا مريرا ضد السلطات الظالمة الجائرة.

وكان بين السجناء الذين استخدموا فى بناء قناة البحر الابيض فى عام ١٩٢٣ نسبة كبيرة من رجال الدين وقد كتب أحد سجناء معسكرات الاعتقال السابقين فى مذكراته عن الاحوال هناك قائلا: ''ان رجال الدين الذين جاءوا من بلاد التركمان والازبك كانوا من الخدمة المخلصين لشعوبهم''، وانه لم يشاهد بين افراد الشعوب الاخرى الموجودة فى هذه المعتقلات ''احترام واسع لرجال دينهم كما وجد لدى هؤلاء الشعوب''(١٦).

وقد لقي رجال الدين هؤلاء حتفهم جماعا، وجلهم من المسنين، فى هذه الحالات الغير انسانية التي سادت فى السجون وفى الاماكن التي جرى نفيهم اليها. ويصعب علينا فى الوقت الحاضر ان نقدر بالتقريب عدد الاشخاص من الاصل التركستاني الذين لاقوا حتفهم فى مثل هذه الحالات، وقد ورد فى بعض المعلومات ان الارهاب الشيوعي تسبب حتى نهاية عام ١٩٤٠ فى افناء ٥٠٠٠٠٠ ضحية من أئمة الدين المسلمين فى الاتحاد السوفيتي(١٧).

وانها لحقيقة معروفة جيدا انه قبل استلام زمام الحكم من قبل الشيوعيين فى تركستان كان هنالك جامع واحد لكل سبعمائة الى الف نسمة من السكان، وكان فى تركستان ايضا ما ينوف عن ٦٣٠٠ مدرسة دينية اسلامية ابتدائية (مكاتب) وما ينوف عن سبعماية مدرسة ثانوية وجامعات دينية (مدارس). وقد قدر الخبراء فى شؤون الاتحاد السوفيتي انه لم يبق فى عام ١٩٤١ سوى ما مقداره عشرة فى المائة من مجموع الجوامع فى البلاد فقط ولم يبق اى مدرسة دينية واحدة فاتحة ابوابها بصفة رسمية فى تركستان (١٨).

وقد اغلقت الجوامع وختمت ابوابها بالشمع او انه جرى هدمها بحجة الحاجة الى المواد الموجودة بها للبناء او انها حولت الى مستودعات او ''زوايا لينينية'' او ''نواد'' او ''صالات الشاى الحمراء'' وغيرها من اماكن اللهو(١٩).

---

(١٦) ر. ل. سوسليك: ''صفحات شائنة لوقائع لم تنشر'' فى اللغة الاوكرانية ٢٤٣، بريطانيا ١٩٣٥.

(١٧) (أ) فاسان جيرى جاباجي: ''الكرملين والاسلام'' فى مجلة ''قفقاز الحرة'' العدد ١٣/١٠، تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٢، الصفحة ٦، طبع ميونيخ.

(ب) أ. اولوكتوك: ''الف ليلة وليلة'' (باللغة الروسية) فى مجلة ''تركللي'' ١٩٥٢ العدد ٣ — ٤، الصفحة ١٤٢، طبع ميونيخ.

(ج) ج. ستاكلبرج فى عرضه لكتاب الجنرال توبرت، فى ''نشرة'' المعهد العدد الثاني، ١٩٥٢، الصفحة ١٧٠، ميونيخ.

(د) ج. ستاكلبرج فى عرضه لكتاب فنسنت ''مونتييل فى مجلة ''تركللي'' العدد ٣ — ٤، ١٩٥٣، ميونيخ.

(١٨) كان مجموع المدارس الاسلامية فى روسيا القيصرية فى عام ١٩١٢ (بموجب المصادر الاسلامية) ما ينوف عن ٢٥٠٠٠ مدرسة، وجاء فى الاحصاءات الواردة فى تقارير وزارة المعارف عن وجود ما ينوف عن ١٠٠٠٠ مكتب فى سجلاتها (مدارس ابتدائية تابعة للجوامع والتي يحتوى برنامجها على تدريس مواضيع عامة) و١٠٨٥ مدرسة (مدارس دينية ثانوية وكليات دينية) راجع ''مير اسلام'' (عالم الاسلام) طبع سان بطرسبورغ ١٩١٣، الصفحة ٢٨٠.

(١٩) راجع جريدة ''كيزيل اوزبيكستان'' للوقوف على المعلومات الخاصة بهدم الجوامع فى بخارى، طبع طشقند، تاريخ ١٩٣٦/٤/١٩.

وقد رفع المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى القدس فى عام ١٩٣١ صوته عاليا احتجاجا على هذا الاضطهاد واصدر نداء للرأى العام فى العالم يناشده المساعدة ، كما وانه احتج بشدة على الاستهزاء بالاسلام فى الاتحاد السوفيتي ولكن هذا النداء وهذه الاحتجاجات كانت بدون جدوى(٢٠) .

وقد بلغ اضطهاد المسلمين فى سنين "التطهير العامة" (١٩٣٦ — ١٩٣٩) الذروة فى الوحشية ، وقد فتر هذا بانه ناشيء عن وجود أشخاص مثل "باسماك"* بين سكان تركستان وبين اعضاء الحزب الشيوعي والموظفين المدنيين ، هؤلاء الوطنيين الذين ثاروا ضد الشيوعية منذ زمن بعيد والذين قيل عنهم انهم مشبعون بالروح الاسلامية الكبرى . وقد جرى اتهام المثقفين الوطنيين بأنهم استعملوا الاسلام لخلق النفور بين الطبقة الروسية العامة وبين العمال التركمانيين وانهم اهاجوا السكان المحليين ضد الحكومة السوفياتية .

نشرت جريدة "كيزيل اوزبكستان" فى عام ١٩٣٦ مقالا افتتاحيا طويلا عن ضرورة القيام بدعاية واسعة ضد الدين الاسلامى وضد العادات والاطباع الوطنية واكد هذا المقال ان الحركة السياسية الوطنية التي ظهرت بعد قلب الحكم القيصرى ، كانت موجهة ضد دكتاتورية الشعب ، وكان للدين عليها تأثير كبير ، وقال المقال : "ان المنظمة السرية التي ترأسها عبد المطلب ساتيبالدى ، التى كشف امرها وحوكم هذا علناً عليها منذ عام مضى ، كان الغرض منها منع ابعاد الجيل الجديد عن الدين ، وكان باستطاعة اعضاء هذه المنظمة القيام باعمالهم بين الشباب والتأثير عليهم مستفيدين بذلك بعدم وجود أى تميز بين الطبقات المختلفة فى التركستان" ،(٢١) وحدث فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٥ نتيجة لذلك ان صدر الحكم على ٣٢ ممثلا من رجال الدين الاسلامى ، بما فيهم الملا عبد المطلب ساتيبالدى ، بالسجن لمدد طويلة الاجل .

وقد اضطهد رجال الدين اضطهادا واسعا واغلقت الجوامع عندما اتسعت اعمال "اتحاد المجاهدين الملحدين" ، وقالت جريدة "برافدا" ان الاتحاد هذا كان لديه فى عام ١٩٤٠ ١٢٠٠ فرعا وبلغ مجموع اعضائه ٢٧٠٠٠

---

(٢٠) (أ) مقال . دربندى : "مشاكل الشعوب المستعبدة من قبل السوفييت ، كما تداولها المؤتمر الاسلامى لعام ١٩٥٦" فى مجلة "درجي" التي تصدرها هذه المؤسسة ، ميونيخ ١٩٥٧ ، العدد ٨ ، الصفحات ٧٨ الى ٩٣ .
(ب) مقال الدكتور ا. جوديبه : "الحكومة السوفيتية والاسلام" فى مجلة "تركللي" ، ميونيخ ١٩٥٣ ، التي تصدرها اللجنة القومية لتحرير تركستان . العدد ٣/٤ الصفحة ٢٠ .
(ج) حياة (المشار اليه سابقا) الصفحات ٢٠٤ الى ٣٠٩ .
(د) كتب جورج كلينوف بعد زيارته لتركستان عن وجهة النظر الشاذه التي اتخذتها الحكومة السوفيتية نحو المسلمين فى تركستان حيث قال : "لم يحدث ان اثارت سياسة لينين نحو الاقليات القومية نضالا كالنضال الثقافى المر الذى حدث فى المقاطعات التي كانت تابعة للحكم العام السابق فى تركستان واقضية بخارى وخيوا السابقتين . . . ولم يعلم عن وجود مكان آخر جرى فيه اضطهاد المنظمات الوطنية والثقافية لهذه الدرجة او بتدخل منظم وعلني بشؤونها الخاصة . . . كما حدث فى تركستان . ولم يجر فى أى مكان آخر التهجم على الدين والعادات كما هو الحال فى تركستان" (راجع جورج كلينوف فى مجلة "اوست يوروبا" (شرقي اوروبا)، كونكسبيرج — برلين ١٩٢٨ — ١٩٢٩ ، العدد ٤ ، الصفحة ٥٦٠ .
* باسماك هم الوطنيون المسلمون الذين لعبوا دورا هاما فى الثورة على الحكم .
(٢١) مترجمة بتصرف عن المقال فى الجريدة الازبكية "كيزيل اوزبيكستان" تاريخ ١٩٨٦/٢١/١١ ، طشقند .

فى طاجكستان وحدها وقد القى فى هذه الفروع فى عام ١٩٣٩ ١٥٠٠ خطاب مضاد للدين وما ينوف عن الف حديث عن مواضيع مناوئة للدين فى قرى طاجك وحدها(٢٢) .

وكان القصد من جميع هذه الاجراءات هدم الحياة الدينية الاسلامية كليا واخماد التقاليد الوطنية القديمة ، وصحبتها وسائل جائرة لادخال عادات وثقافة غريبة فى حياة السكان المحليين بالقوة ، فجرى مثلا ان منع المسلمون من الاحتفال بعيدى الفطر والاضحى بينما اقيم فى نفس الوقت دعايات واسعة للاحتفال بعيد شجرة السنة الجديدة ، والاحتفال به كعيد مدني فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتي . وجرى تشجيع هذه الاحتفالات بين الاطفال التركستانيين عل نفقة الحكومة و بمساعدة معلمي المدارس ورابطة الشبيبة الشيوعية (كومسومول) .

وقامت الحكومة السوفيتية باستعمال القوة واعمال الاستفزاز والخديعة والدعايات الكاذبة ، وارسال وفود كبيرة من رجال الدعاية الشيوعيين المدربين ، وبالتملق والتهديد فى محاولتها لاستبعاد سكان تركستان . وقد استعملت كل نوع من الوسائل السابقة وغيرها للتفرقة بين التركستانيين والاسلام ، وان تزرع فى اذهانهم بذور الشك فى صدق ديانتهم وان تقلل من تأثير رجال الدين على عامة الشعب .

٣ — دور ارتقاب الفرص (١٩٤١ الى الوقت الحاضر) — معاضدة الدين

قام الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية فورا بعد اندلاع لهيب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤١ ، رغبة منهما فى الحد من التدهور العسكرى لنظامهما المحتوم ، وفى دعم نفوذهما فى الخارج ، قاما باتخاذ عدة وسائل غير متوقعة ، قد تعتبر بعضها مضادة للمبادى الاشتراكية . وكان بين هذه الاجراءات تأدية التحية للضباط ووضع شارات على الكتف تدل على الرتبة العسكرية ومدح الابطال العسكريين الذين خدموا روسيا الامبراطورية ، والدعوة الى الوطنية الروسية واخيرا وجهة النظر المخادعة التي اتخذتها السلطات السوفيتية نحو الدين وائمته ، هذا النوع الجديد من الاجراءات التي يمكن ان توصف بارتقاب الفرص والمراوغة .

اما مكائد البلاشفة التي تعتمد اصلا على المبدأ القائل ''الغاية تبرر الوسيلة'' فبامكانها اتباع مثل هذه الوسائل واعتبارها حركات ''تراجع'' موقت دعت الضرورة الخاصة اليها. ويهمنا من بين جميع هذه الاجرءآت الجديدة التي اتخذتها الحكومة الاجراء الاخير وهو — ''السياسة الجديدة'' المشهورة للحكومة السوفيتية التي تنظر بعين الرضى الى الدين والمؤمنين به.

فقد سعى السوفيت منذ ابتداء الحرب السوفيتية — الالمانية فى عام ١٩٤١ الى تخدير الرأى العام فى العالم الحر باعلانهم ''حرية الدين'' واعترافهم برجال الدين والدور الذى يلعبه هؤلاء فى الحياة الداخلية للبلاد. وتمكنوا بهذا من تضليل بعض الاجانب وجعلهم يعتقدون ان النظام الشيوعي قد طرأ عليه ''تحول'' عقائدى هام . هذا ولم يكن هناك بالواقع اى تبدل فى الجوهر من وجهة نظر الحكومة نحو الدين ، ولم يجر اى تبدل على الاقوال الماركسية المأثورة عن الدين او اى تعديل او الغاء للفقرات المناوئة للدين فى الدستور وفى القرارات والقوانين الخاصة بالمؤسسات الدينية .

---

(٢٢) (أ) جريدة ''برافدا'' تاريخ ١٩٤٠/٥/٣١ ، موسكو .
(ب) راجع ايضا مجلة اللاجئين التركستانيين ''ساش تركستان'' الاعداد ٧٤ و ٧٥ لعام ١٩٣٦ ، والعدد ٨٧ لعام ١٩٣٧ ، برلين .
(ج) ل. ف. توجان ''تركستان خلال المدة ١٩٢٩ — ١٩٤٠'' الصفحة ١٣ ، اسطنبول ، ١٩٤٠ .

واستعملت الحكومة السوفيتية الملحدة بلا خجل الادارة الاسلامية الدينية ، التي اعيد انشاؤها فى عام ١٩٤٣ ، وكذلك رجال الدين الارثوذكسي المعترف بهم قانونيا ، كأداة فى السياسة القومية. وساعدها فى عملها هذا الفرع الخاص فى الادارة الحزبية الذى تم تشكيله فى عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ والذى يتمتع بسلطة استشارية فى جميع الاتحاد السوفيتي وهو المجلس المختص بادارة الكنيسة الارثوذكسية الروسية ومجلس الشؤون الدينية ،(٢٣) ويدخل ضمن صلاحيات الاخير الاشراف على الامور الدينية الاسلامية . وقد يدرك المرء لماذا لم تر الحكومة السوفيتية من المناسب تشكيل هيئة خاصة للاشراف عل الامور الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي فقط مع العلم ان الاحصاءات تدل على ان هذه الديانة تأتي فى الدرجة الثانية من حيث الاهمية فى الاتحاد السوفيتي .

وتمّ بعد مرور الزمن انشاء اربع ادارات خاصة بالمسلمين فى الاتحاد السوفياتي ، بما فيها المديرية الدينية للمسلمين فى اواسط آسيا وكازاخستان ، وكان مركزها طشقند. وقام على رأس هذه المديريات المختلفة رجال الدين المسلمون الذين اعيدوا من الاماكن التي نفوا اليها ، ولم يحدث فى بادىء الامر انتخاب لهؤلاء الرؤساء ، هذا الانتخاب الذى كان حتى الآن امرا عاديا وطبيعيا بين المسلمين ، وقد جرى تعيين هؤلاء بالطبع من قبل الحكومة السوفياتية. فسمعنا مثلا اسم المفتي عبد الرحمن رسولوف لاول مرة فى مؤتمر مسلمي الاتحاد السوفيتي الذى عقد فى طشقند فى عام ١٩٤٣ ، وكان هذا المفتي حينذاك رئيس مسلمي سيبريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي .

ويجب ان نشير هنا الى ان تشكيل ادارة واحدة لجميع المسلمين حدثت فى نفس الوقت الذى جرى فيه انتخاب بطريك موسكو وجميع روسيا .(٢٤) ويدل التعيين هذا على ان النظام الشيوعي كان يحتاج أثناء اندلاع لهيب الحرب الى رجال مسؤولين ، يحوزون على بعض السلطة ، لرئاسة الفئات الكبيرة من المؤمنين بالدين . ولم يكن الداعي الحقيقي لعمل زعماء الشيوعيين هو الرغبة منهم فى تشجيع تطور الدين فى البلاد بل كان القصد منه وضع السلطة العليا للامور الدينية فى ايدى رجل واحد بين كل طائفة من السكان لان هذا العمل يسّهل عليهم ادارة ومراقبة الحياة الدينية فى البلاد ونشر النفوذ السوفيتي فى الخارج .

ونرى مثلا انه بعد ''انتخاب'' بطريك موسكو هذا ، قام بالتحدث الى جميع المؤمنين بالدين فى العالم الحر باسم الكنيسة الارثوذكسية الروسية ، وبهذا برهن عن تضامنها مع الحكومة السوفيتية . وعلى شاكلة ذلك قام مؤتمر مسلمي السوفييت ، الذى عقد فى اوفا برئاسة المفتي عبد الرحمن رسولوف ، باتخاذ قرار فى العاشر من حزيران (يونيو) عام ١٩٤٤ ، مفوضا نفسه (اى المؤتمر) بنشر نداء ''لمسلمي العالم أجمع'' طالبا منهم مساعدة ومعاضدة الاتحاد السوفيتي(٢٥) .

هذا ووجهة الشبه بين المهام السياسية التي انيطت من قبل الحكومة بالادارات الدينية للطوائف المختلفة تظهر جليا من الحقيقة التالية وهي ان حدث فورا بعد انتهاء الحرب العالمية فى عام ١٩٤٥، وعندما كان بطريك روسيا وزملاؤه المقربون اليه فى زيارة دبلوماسية وحج الى فلسطين وبلدان الشرق الاوسط ، بما فيها مصر ، قام المفتي

---

(٢٣) القانون السوفيتي ، موسكو ، طبع معهد العلوم للاتحاد السوفيتي ، ١٩٤٨ ، الصفحة ٣٨٧ .
(٢٤) ''البطريك جيورجيوس وتراثه الروحاني'' الصفحات ٤٣ — ٤٥ ، موسكو ١٩٤٧ .
(٢٥) برتهولد سبولر ''دراسة رابطة المسلمين فى البلاد الروسية منذ عام ١٩٤٢'' — مجلة ''ديراسلام'' ، برلين ، ١٩٥٠ ، المجلد ٣/٢٩ .

رسولوف و برفقته ”رئيس المؤتمر الاسلامى السوفيتي“ فى طشقند(٢٦) ، و باباخان عبد المجيد خان ، مفتي اواسط آسيا وكازاخستان فيما بعد ، بحج الى الخارج — اى الى مكة والمدينة ومصر . . .

وليس هناك من شك فى ان الغاية من زيارات ممثلي اكبر جماعتين دينيتين فى البلاد قد تم تنظيمها لغاية خاصة وهي تأسيس علاقات من شأنها توسيع النفوذ السوفيتي فى هذه البلاد ، وقد دلتنا الحوادث التي وقعت منذ تلك الزيارات حتى الآن عن صحة هذه التنبؤات .

وحدث بعد انتهاء الحرب مباشرة ان اتى للاتحاد السوفيتي زائرون اجانب من الشرق فى زيارة للبلاد التي تدعى بانها ”حامية للشعوب الاسلامية المضطهدة“ . وحدث نتيجة لهذه الدعاية الواسعة التي قامت بها الحكومة السوفيتية ان وجدت نفسها عاجزة عن رفض طلب الادارة الدينية الخاص بفتح ابواب الجوامع المتبقية فى البلاد ، هذه الجوامع التي يحتاجها حتما المتدينون المسلمون(٢٧) والتي تعد ضرورية للاثبات لزوار الاتحاد السوفيتي ”حرية“ الدين عمليا .

وعقد فى طشقند فى كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٩٤٨ المؤتمر الاسلامى الثاني المكون من الجمهوريات التركستانية المتحدة الخمس حضره ١١١٥ مندوبا عن الطوائف الاسلامية فى تركستان ،(٢٨) وقد انتخب المؤتمر مفتيا ، اى رئيسا روحانيا لمسلمي تركستان ، الشيخ باباخان عبد المجيد خان ، الذى يبلغ من العمر الثمانين عاما ، اعتبرت مدينة طشقند مقرا له(٢٩) . واتخذ المؤتمر فى هذا الاجتماع قرارا يدعو الى طبع القرآن باللغة العربية للتوزيع على عامة الشعب ودلت الحوادث التي اتت فيما بعد ان هذا القرار ايضا لم يكن سوى خديعة يقذف بها فى حقل السياسة الخارجية ، فطبع القرآن باللغة العربية يكاد لا يفيد السكان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي لان احرف

---

(٢٦) عقد المؤتمر الاسلامي فى طشقند فى عام ١٩٤٣ .

(٢٧) (أ) تقول الصحف السوفيتية انه كان فى الاتحاد السوفيتي فى عام ١٩٤٢ ١٣١٢ جامعا و ٨٠٥٢ من أئمة الدين المسلمين ، راجع ”انباء الحرب السوفيتية“ ، لندن ، تاريخ ١٩٤٢/٥/١٦ كما رواها ل. جوروشكو فى ”السياسة الدينية السوفيتية بعد عام ١٩٤٢“ (باللغة البيلوروسية) فى ”بيلاروسكي زبورنيك“ ، المجلد رقم ٣ ، ١٩٥٨ ، صفحة ٤٦ . طبع هذا المعهد ، ميونيخ . والمعلومات التي حصل عليها وفد الباكستان للاتحاد السوفيتي فى عام ١٩٥٧ لا تتفق مع هذه الارقام الاحصائية .

(ب) للوقوف على عدد الجوامع فى روسيا والاتحاد السوفيتي راجع ايضا فنسنت مونتيل : ”رسالة عن الاسلام فى الاتحاد السوفيتي“ باريس ١٩٥٣ .

(ج) مراجعة دراسات مونتيل فى ”تركللي“ رقم ٣١٤ ، ١٩٥٣ ، الصفحات ٤٧ الى ٥٦ ، ميونيخ .

(٢٨) من المهم ملاحظة النقطة الخاصة باعطاء عدد المبعوثين للمؤتمر وليس عدد الطوائف الاسلامية الممثلة ، مما يساعد على وضع غشاء على التطورات الدينية فى المدة الواقعة بين اعوام ١٩٤٢ و ١٩٤٨ .

(٢٩) (أ) ”دائرة المعارف السوفيتية الكبرى“ (باللغة الروسية) المجلد ”الاتحاد السوفيتي“ ، موسكو ، ١٩٤٨ ، العامود ١٧٨٩ .

(ب) برتهولد سبولر ، ”دراسة رابطة المسلمين فى البلاد الروسية منذ عام ١٩٤٢“ فى مجلة ”دير اسلام“ ، العدد ٣/٢٩ ، برلين ، تموز (يوليو) ١٩٥٠ (التي تحتوى على فهرست مراجع جيدة للغاية) .

الهجاء التي كانوا يعرفونها قد طرأ عليها تغيير وتبديل مرتين متتابعتين(٣٠) ، وحرموا من قراءة الادب العربي لمدة تقارب العشرين عاما .

واحتاج هذا التبديل فى اتجاه السياسة السوفيتية الى تفسير رسمي بالرغم مما وراءه من الفوائد المادية الكبرى ، ولهذا نشرت طبعة ١٩٤٨ لدار المعارف السوفيتية الكبرى ، وجهة نظر الحكومة السوفيتية نحو المنظمات الدينية قائلة : ''ان الدستور يضمن حرية الدين وهذا يعني انه بامكان جميع المؤمنين الذين يرغبون فى ذلك ، وبموجب تعاليم ديانتهم ، ان يشكلوا جمعيات دينية وان يجتمعوا فى اوقات معينة لاداء فرائض الصلاة والطقوس الدينية الاخرى . . . وان يباركوا الزواج وان يتناولوا الطعام المسموح به شرعا او الامتناع عنه موقتا (كشهر رمضان) الخ . وسوف لا تمانع الدولة فى تأدية هذه الفرائض بل انها بالعكس ستقوم اذا دعت الضرورة الى تقديم كل مساعدة ممكنة ، مثل الحاجة الى بنايات لتأدية فروض الصلاة بها وتقديم المساعدة الاقتصادية للطوائف المنظمة وتأمين مواد البناء وغيرها المتطلبة لترميم او بناء مبان دينية جديدة . والدولة تشعر جيدا بحاجة المؤسسات الدينية الى تدريب طلاب جدد فى امور الدين وهي لذلك سوف لا تمانع فى افتتاح مدارس جديدة لهذه الغاية بل انها ستساعد فى هذا السبيل بتقديم الابنية والقرطاسية وغيرها . . . وسوف تقدم الحكومة الورق وتسمح باستعمال دور الطبع الخ لطبع الكتب الدينية المقدسة وكتب الصلاة وتعاليم فرائض الصلاة اليومية والمذكرات والمطبوعات الدينية . هذا ولما كان الدين الاسلامى يأمر باداء فريضة الحج — ليس فى جميع الحالات فانها ليست من الفرائض الواجبة بدون استثناء — اى زيارة الحرم فى مكة (فى المملكة العربية السعودية) هذا المكان الذى يقدسه المسلمون ، فلهذا ستقدم الحكومة السوفيتية كل مساعدة ممكنة لهؤلاء الحجاج''(٣١) .

---

(٣٠) كان القرار الذى نص على استعمال احرف الهجاء اللاتينية بدلا من الاحرف العربية المتداولة لدى الشعوب التركية الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي قد اتخذ فى المؤتمر التركي الذى عقد فى باكو فى ٢٦ شباط (فبراير) عام ١٩٢٦ (راجع حياة المشار اليه سابقا، للوقوف على تفاصيل اخرى، الصفحات ٣١٤ — ٣١٨) ، وكان الداعي لهذا القرار هو الزعم بان استعمال احرف الهجاء العربية قد ساعد على تشجيع العقائد الاسلامية وخلق فكرة تركيا الكبرى لدى السكان ، وايضا الاعتقاد بان ادخال الاحرف اللاتينية قد يودى الى القيام بصدمة عنيفة للاسلام .
وعندما استعملت الاحرف اللاتينية بين السكان المسلمين قال عنها لينين ''انها من اكبر الثورات فى الشرق'' وانها قد نزعت من ايدى رجال الدين المسلمين ''سبل فرض الضغط الديني'' على عامة الشعب (راجع الثورة العظمى فى الشرق'' ''برافدا'' العدد الصادر بتاريخ ١٩٢٨/٢/٢٤ ، موسكو) ودام استعمال الاحرف اللاتينية لعشر سنوات فقط .
فقد اصدرت الحكومة السوفيتية فى عام ١٩٤٠ — ١٩٤١ قرارا الغت بموجبه هذه الاحرف واستعاضت عنها باحرف الهجاء الروسية (راجع القانون الخاص بتنظيم كتابة الاحرف التركمانية باللاتينية الى احرف الهجاء الروسية القانون المدني لجمهورية تركمنيان الاشتراكية السوفيتية ، عشقاباد، ١٩٥٥ ، الصفحة ١١٣) .
جاء فى السبب لهذا التغيير الادعاء زورا بانه جرى تلبية ''لادارة العمال'' مع العلم بان المسلمين لم يتقبلوه بطيبة خاطر بل كان ذلك على اثر الضغط الشديد .
وهذا يعني انه فى برهة طولها حياة جيل واحد تعرض المسلمون فى الاتحاد السوفيتي الى تبديل لغتهم الخطية مرتين ، وايضا الى التفرقة بينهم وبين الآداب الاسلامية وبين عاداتهم الوطنية .
(٣١) دائرة المعارف السوفيتية الكبرى ''المجلد الخاص بالاتحاد السوفيتي'' ، موسكو ١٩٤٨ ، العامود ١٧٨٣ .

ولم يرد بالواقع فى هـذه القائمة الخاصة ''بالحقوق'' المضمونة اى نص بالحريـة الحقة ، بل انها سردت فقط الشروط الاولية لوجود الطوائف الدينية . ومن الجدير بالذكر ان مثل هذا التحدث عن الدين كـان من المستحيل قبل الحرب العالمية الثانية حيث اعتبر كل مظهر ديني مهما كـان شكله انـه عمل ''مضاد للثورة'' وجرت معاقبته باعتباره جرما سياسيا بموجب الفقرات الخاصة فى قانون العقوبات السوفيتي . وطبع مثل هـذا فى نشرة حكومية رسمية مثل ''دائرة المعارف السوفيتية الكبرى'' كـان لا يحلم بـه فى ذلك الحين ، وان نشره حاليا يمكن تفسيره بانـه تراجع حاذق (تكتيكي) فرضته الظروف على الحكومة بالقوة بسبب الحوادث القائمة* .

وكـان من الطبيعي ان يؤدى ضعف مقاومة الحكومة الشيوعية فى نضالهـا ضد الدين الى نمو الحركـات الدينيـة مجددا ، اذ نجد مثلا ان المتدينين اخذوا يجرؤون على القيام بواجباتهم الدينية المقدسة ولم يعودوا يخفون اعتقاداتهم الدينية وان القيام بالطقوس الدينية اليومية اصبح عاما .

ومع كل هذا فلا يمكننا اعتبار هذا دليلا ''حقيقيا'' لحرية الدين اذ نرى مثلا ان المادة ١٢٤ من الدستور السوفيتي الصادر فى عام ١٩٣٦ تنص على ما يلي : ''ولاجل تأمين حرية العبادة لجميع المواطنين ، تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتي عن الدولة وتفصل المدارس عن الكنائس ، وانـه لمن حق المواطنين الشرعي القيام بشعائر دينهم وحرية القيام بالدعاية ضد الدين.''(٣٢) وتفسر نشرات الدعاية السوفيتية هذه المادة بانها تشير ''الى حرية اعتناق اى دين كـان او رفض ذلك ، والقيام بالدعاية للالحاد''(٣٣) .

ولما اثبتت الحقيقة على ان الدستور لا يضمن الحق لنشر الدعاية الدينية — هذا الحق الطبيعي لكل دين كشرط اساسي لحريته — يكون جوهر المـادة ١٢٤ من الدستور ان وجهـة النظر السوفيتيـة تتلخص قولا وفعلا فى ضمان حرية ''الابتعاد عن الدين''، وان النشرات القانونية السوفيتية الرسمية تعطي البراهين الكافية على مثل هذا الاعتقاد(٣٤).

تعتمد جميع انواع الدعاية للالحاد بموجب نصوص الدستور الى حماية قانونية تسندها فى ذلك قوى الدولة السوفيتية المادية والمعنوية . وخلافا لهذا فكل عمل من شأنه دعم الايمان ونشر الدين او انتقاد المبادىء المادية يمكن تفسيره فى اى وقت من الاوقات بانـه عمل مخالف القوانين التي تنص على الحد من الاعمال الدينية والسماح فقط ''بالقيام بالفرائض الدينيـة'' . والتفسير الذى اعطـاه الحزب لهذا هو ''. . . تعتبر الحكومة المؤسسات الدينية بانهـا منظمات خاصة تصرف عليها المساعدات المالية المجموعة من قبل المؤمنين انفسهم ، وان غايتها هي اقامة الاحتفالات بالشعائر الدينية فقط'' (مؤشر عليه بالخط مضاف من قبل المؤلف)(٣٥) . وكل ما نشاهده فى الاتحاد السوفيتي هو استعمال الدين كعامل فى خدمة مصالح السياسة .

---

* لم يجر هناك اى زيادة ملموسة فى طبعة عام ١٩٥٨ ''لدائرة المعارف السوفيتية الكبرى'' (المقـال عن الدين والكنيسة ، القسم ٢١ ، الصفحات ٦٤٢ — ٦٤٣).

(٣٢) ''دستور الاتحاد السوفيتي'' مطبعة الحكومة للمنشورات القانونية ١٩٥١ ، المادة ١٢٤ ، صفحة ٢٦ .

(٣٣) مجلة ''العلم والحياة'' العدد ٧ عام ١٩٥٦ ، الصفحة ٣٩ طبع موسكو.

(٣٤) دينيسوف : ''القانون السوفيتي العام'' (بالروسية) طبع موسكو عام ١٩٤٧ ، الصفحة ٣٤١ .

(٣٥) مجلة ''العلم والحياة'' المشار اليها سابقا ، نفس العدد والصفحة .

وحدث اثناء الحرب وفى السنين الاولى التي تلتها ان ابدت السلطات الشيوعية اهتماما خاصا بالاعمال الوطنية (اى الداعية للسوفيت) من قبل السلطة الدينية الارثوذكسية التي تمتعت بالاعتراف الرسمي والتي حازت على امتيازات واسعة بالنظر لخدماتها (كتقديم جميع وسائل النقل الى افرادها وتقديم شكر ستالين الخاص اليها ومنح الاوسمة وغير ذلك). وقد حدث مؤخرا ، على أثر اهتمام الحكومة السوفيتية الخاص بالشرق الاسلامى الواقع خارج حدود الاتحاد السوفيتي، ان دعى هذا الى ضرورة الاعتماد على خدمات الزعماء المسلمين الذين يتمتعون بمراكز يعترف بها القانون السوفيتي .

ورد مؤخرا ان الحكومة السوفيتية قد بدأت باعطاء مساعدات مالية لأئمة الدين الاسلامى لاعادة بناء وترميم الجوامع وهذا(٣٦) الادعاء يناقض تماما ما نشرته الصحف السوفيتية المشار اليها سابقا ، التي قالت ان المؤسسات الدينية ''تعتمد على المساعدات المالية الواردة اليها من المؤمنين''. وهو يناقض ايضا البيان الرسمي الذى اصدره اساقفة الدين الارثوذكسي لبطريكية موسكو القائل بان رعية ابرشيتها هم الذين يقدمون ما تحتاج اليه بطركيتهم من المال وذلك بادائهم المساعدات عن طيبة خاطر(٣٧) . ويلاحظ فى هذه المناسبة ان الزيادة فى الاهتمام برجال الدين فى داخل البلاد قد صحبها المزيد من استخدامهم فى مقاصد السياسة الخارجية .

رجال الدين فى خدمة السياسة الخارجية

لدينا الكثير من الوثائق المتعلقة بالاعمال الواسعة التي تقوم بها مديرية الدين الاسلامى فى الامور المتعلقة بالسياسة الخارجية . فهناك مثلا ''النداء'' الذى وجهه المفتي الشيخ باباخان عبد المجيد خان الى مسلمي العالم والذى طلب فيه التوقيع على ما يسمى بقرار ستوكهولم لدعاة السلام والذى كان الايعاز اليه صادرا من قبل الشيوعيين . ويمكن تقدير القيمة الخاصة لهذا ''النداء'' من اجل حقل الدعاية فى انه قد جرى اذاعته من محطة موسكو للاذاعة فى السادس عشر من آب (اغسطس) عام ١٩٥٠ بجميع اللغات السائدة فى الشرق الاسلامي(٣٨) .

واتبع بالطريقة نفسها ''مؤتمر الدفاع عن السلم لجميع الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفيتي'' ، الذى عقد فى زاكورسك فى عام ١٩٥٢ ، اتبع غايات سياسية بحتة لخدمة مصالح الاتحاد السوفيتي. والمؤتمر هذا الذى قيل انه عقد بمساعي بطريارکية موسكو ، هيء منبرا لجميع الرؤساء الروحانيين لمختلف الطوائف لكي يقولوا بالاجماع عن اتفاق مصالحهم ومصالح الحكومة فى مسعاها ''من اجل السلام'' ، وقد مثل المديرية الدينية لاواسط آسيا وكازاخستان فى هذا المؤتمر نائب رئيسها المحدث الحافظ ضياء الدين باباخانوف، حيث القى فيه خطابا مناسبا(٣٩) .

---

(٣٦) فى حديث مع امام احد الجوامع التركمانية ، كما اذاعته محطة اذاعة موسكو باللغة التركية فى ١٩٥٧/٢/١٦.

(٣٧) كما جاء فى تقرير مراسل خاص من زغرب (يوغسلافيا) بعد زيارة وفد يمثل الكنيسة الارثوذكسية الى يوغسلافيا . ''بوسيف'' تاريخ ١٩٥٧/٢/١٧ .

(٣٨) (أ) جريدة ''برافدا فوستوكا'' ، طشقند تاريخ ١٩٥٠/٥/١٤ .
(ب) مجلة ''ميلليج تركستان'' ، دوسلدورف ١٩٥٠ العددين ٦٨ و ٦٩ .
(ج) مجلة ''تركللي'' ، ميونيخ ١٩٥٣ العدد ٢/١ الصفحة ١٣ .

(٣٩) مؤتمر الدفاع عن السلم لجميع الكنائس والجمعيات الدينية فى الاتحاد السوفيتي ، المعقود فى مدينة زاكورسك فى صومعة القديس سيرجيوس والثالوث المقدس فى التاسع الى الثاني عشر من ايار (مايو) عام ١٩٥٢ . بطريكية موسكو الصفحات ٢١٣ الى ٢١٩ .

والمفتي هذا بصفته عضوا فى اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلم ، اذاع مرارا خطابات موجهة الى مسلمي ايران وافغانستان والباكستان وتركيا والمملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان يطلب مساعدتهم للعمل على ايقاف ''الحرب الشريرة القائمة فى كوريا''.

وعندما انتهى مؤتمر الاتحاد الثالث للدفاع عن السلم هذا من اجتماعاته ، خلف وراءه قرارات واعمال كثيرة تطلبت الكثير من الايضاح والتفسير (٤٠) .

وتستعمل الحكومة دوما صوت رجال الدين لدعم وتأييد الاجراءات السياسية المختلفة التي تتخذها ، وكان ''النداء'' للتوقيع على قرار ستوكهولم من هذا القبيل . ومثال آخر هو البيان الذى اذاعه المفتي الشيخ باباخان من محطة موسكو للاذاعة فى الثاني من نيسان (ابريل) عام ١٩٥٥ من اجل الحملة التي اقيمت فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتي لجمع التواقيع للخطاب الموجه الى لجنة السلم العالمية . وقال المفتي (للاشخاص الذين حضروا لاداء صلاة الجمعة المباركة فى جامع تلاشاه) — ''علينا ان نكرس صلواتنا ونعمل لنساعد الدولة السوفيتية لتصبح اقوى مما هي عليه الآن'' (٤١) . والمفتي هذا يعتقد ان الحكومة السوفيتية تحارب الآن حربا بمفردها لصيانة السلم فى العالم اجمع وان الدول الغربية لا تقوم الا ''بتدبير مؤامرة اعتداء'' (٤٢) .

واذاع ايضا فى الخامس من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٥ خطابا ، بالاشتراك مع مفتي مسلمي سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ''يستنكران فيه السياسة التي ترمي الى اعادة القوى العسكرية الالمانية ويعاضدان بشدة تصريح موسكو'' (٤٣) .

وقامت الحكومة فى ربيع عام ١٩٥٦ بعمل تاكتيكي بارع نحو سوريا حيث منحت اللجنة المناط بها توزيع جائزة ستالين الدولية ''الخاصة بتقوية السلم بين الشعوب'' الى الشيخ محمد الاشمر ، وزار سوريا وفد برئاسة ن.س تيخونوف (٤٤) ، رئيس اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلم للاشتراك بالاحتفال الخاص بتقديم هذه الجائزة ، وقد عقد رئيس وزراء سوريا سعيد الغزى ، مأدبة غداء على شرف هذا الوفد . وكان بين الضيوف السوفيت ، كما ورد بالتقارير الرسمية ، ضياء الدين باباخوف ، نجل المفتي ونائب رئيس الادارة الدينية للمسلمين فى اواسط آسيا وكازاخستان (٤٥) ، وضياء الدين هذا هو عضو فى ''اللجنة السوفيتية لتضامن البلدان الاسيوية'' التي تم تشكيلها فى موسكو عام ١٩٥٦ ، (٤٦) لتقوية النفوذ السوفيتي فى تلك المنطقة من العالم .

---

(٤٠) المصدر ذاته الصفحة ٨٢ .
(٤١) محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٥/٤/٢ — كما هي مدونة فى ملفات المؤلف .
(٤٢) نفس المصدر السابق .
(٤٣) محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٥/١/٢ — كما ورد فى محفوظات المؤلف .
(٤٤) جريدة ''برافدا'' ، موسكو ، تاريخ ١٩٥٦/٣/٢٧ .
(٤٥) تخرج ضياء الدين باباخانوف من المدرسة فى طشقند ونجح فى الامتحان كتلميذ خارجي (مراسل) لجامعة الازهر فى القاهرة ، وشغل لعدة سنين منصب نائب رئيس الادارة الدينية . واذاع فى الثامن من آذار (مارس) عام ١٩٥٧ خطابا باللغة العربية من محطة موسكو ''الى اخوانه فى الدين عن حرية الدين الاسلامى فى الاتحاد السوفيتي'' — (محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٧/٦/١٠) .
(٤٦) ''برافدا'' ، موسكو ، تاريخ ١٩٥٦/٣/٢٧ .

ويفسر زعماء السوفيت تبدل وجهة نظرهم نحو رجال الدين والمنظمات الدينية مدعين ان جميع رجال الدين كانوا قبل الحرب شركاء فى الجرم الخاص "بمناوئة الحركة السوفيتية" ولهذا جرت محاكمتهم والقضاء عليهم. اما الآن فان رجال الدين "مخلصون" للنظام السوفيتي وانهم "يقومون بتأدية واجباتهم باخلاص كمواطنين"(٤٧).

فكلمة "مخلصين" لا تناسب الوضع فى حالة استعمالها لوصف اعمال مديرية الديانة، الاعمال التي ذكرناها سابقا او التي سنأتي على ذكرها حاليا. وانه لمن الامر المعروف ان الحكومة السوفيتية قد رفضت عرض الاخلاص التام الذى قدمه رجال الدين الارثوذكسيون المضطهدون قبل عام ١٩٢٧، بل اعترفت رسميا بفئة معينة من رجال الدين الروس الذين رضوا بشروطها(٤٨).

وقد وجد أئمة الدين الاسلامى انفسهم فى نفس الوضع اذ منذ ان قرر مفتي طشقند التعاون مع السلطات وجد نفسه يقترف عملا شاذا مثل ارسال البرقية التالية بمناسبة وفاة ستالين: رئاسة الادارة الدينية لاواسط آسيا وكازاخستان، وجميع المؤمنين ونفسي شخصيا، نشارككم العزاء الشديد للكارثة التي نكبت بها شعوب بلدنا، وهي وفاة القائد العظيم ومدرس العالم اجمع، والدنا المحبوب ج. ف. ستالين"(٤٩).

وقدمت مثل هذه التعازى فى ذلك الحين جميع الادارات الدينية المعترف بها رسميا فى الاتحاد السوفيتي، وقد لا يحتاج المرء لأي برهان اضافى للدلالة على الدور الثانوى الذليل الذى يلعبه أئمة الدين فى هذه الحالات. ومن المعروف لدى الجميع ان الدين ورجاله قد تعرضوا لافظع اعمال الاضطهاد والارهاب — وخاصة لاتهامات ليست ذات صبغة سياسية — تحت حكم ستالين او بايعاز منه. والحقيقة هي ان "الارهاب الشامل" واعمال "العسف" التي سادت فى ذلك الحين قد اعترف بها رسميا فى الاجتماع السرى للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي زميله السابق كروشوف.

ونرى حقا ان قامت احيانا الدكتاتورية الملحدة بمساعدة أئمة الدين باعطائهم مكافئات رسمية كتعويض لخدماتهم المفيدة. وحدث ان منح بالفعل بطريك روسيا مرتين وسام الراية الحمراء وغيره من الاوسمة، وكذلك قلد المفتي الشيخ باباخان عبد المجيد خان وسام الراية الحمراء فى الثامن من آب (اغسطس) عام ١٩٥٥، وجاء فى قرار المنح الذى اصدره المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي ان هذا الوسام منح اليه بالنظر لخدماته الوطنية والاشتراك الفعلي فى الكفاح من أجل السلم لعدة سنوات"(٥٠).

وبين الادلة البارزة التي تشير الى استعداد المديرية الدينية لمجاراة السياسة السوفيتية الرسمية بعض فقرات من القرار الذى اتخذ فى الاجتماع العام الذى عقدته الادارة الدينية فى آذار (مارس) عام ١٩٥٧، حيث تداولت فيه امور السياسة الخارجية، اذ جاء فيه: "بعد سماع تقرير القاضي ضياء الدين باباخانوف على الجواب الذى تسلمه من رئيس مجلس السلم فريدريك جوليوت كارى، والذى به ذكر المسائل المستعجلة التي تواجه دعاة السلم وحركتهم، قرر المؤتمر العام انه على المسلمين السوفيت القيام بجهود جباره للحد من خطر حرب جديدة... وان اعضاء الادارة الدينية يرغبون ان يصفوا اعمال حكومة النمسا فى رفضها السماح لحركات مجلس السلم العالمي فى فينا بانها غير شرعية.

---

(٤٧) مجلة "العلم والحياة" العدد ٧، ١٩٥٦، الصفحة ٣٩، موسكو.
(٤٨) م. بولسكي: "نظام الكنيسة والرئاسة الكنسية العليا فى الاتحاد السوفيتي وفى الخارج" — جوردان فيل.
(٤٩) مقال كاتب هذا المقال فى مجلة "تركللي" العدد ٤/٣، عام ١٩٥٣ الصفحة ٢٦، ميونيخ.
(٥٠) راديو موسكو فى ٢٥ آذار (مارس) ١٩٥٧.

"وكرس المؤتمر وقتا طويلا لدرس الاحوال الشاذة فى بلدان آسيا والشرق . . . ونعتبر انه من واجبنا ان نسجل ان ما يسمى "بمشروع ايزنهاور" انما يمثل عملا عدوانيا غايته استعباد الشعوب العربية والقضاء على استقلالها الوطني . . . والمجلس العام يتوسل من جميع المسلمين فى العالم ان يحاربوا نشاط اعمال الدعاة للحرب . . ."(٥١) .

يدل هذا على ان المسائل التي تداولها مجلس ائمة الدين العام كانت سياسية محضة بالرغم من قرار الحكومة السوفيتية الذى ينص على فصل الكنيسة عن الدولة والذى يتطلب هذا ، كما يعتقد الكل عدم تدخل أئمة الدين فى المسائل السياسية ، والتدخل هذا على ما يظهر قد يسمح به فيما اذا كان هذا التدخل مفيدا للسياسة السوفيتية الخارجية ، وان نوع اقوال ائمة الدين فى مثل هذه الاحوال لا يختلف عن لغة الدعاية السوفيتية الرسمية .

توفى المفتي المسن باباخان ، رئيس مديرية الشؤون الدينية وعضو اللجنة السوفيتية للسلم فى الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٥٧ ، عن عمر يناهز الثامنة والتسعين عاما ، وجاء بالبلاغ الذى نعى وفاته انه كان مريضا منذ زمن طويل وانه كان تحت اشراف الاطباء منذ عام ١٩٥٥ فى المستشفى الحكومى التابع لوزارة الصحة الازبكية . وهذا يعني بكلمات اخرى ان الحكومة السوفيتية قد استعملت اسم هذا المفتي المسن والمريض ، واجبرته على اعطاء بيانات وتواقيع هي لصالح النظام الشيوعي ، واشارت اللجنة السوفيتية للسلم بالفعل عن فائدته فى هذا المضمار ففي كتابها بالتعزية عندما قالت ان من اهم خدماته هو : "النداء الذى وجهه لجميع المسلمين فى العالم والذى طلب منهم دعم وحدة الصفوف من اجل السلم ، كما وان خطاباته واعماله من أجل السلم هي معروفة للجميع ، ليس داخل بلادنا فحسب بل وفى خارج حدودها ايضا"(٥٢) .

وحبا فى خدمة مصالح الدعاية شيع جثمان المفتي بصفة رسمية ولم تبخس الحكومة السوفيتية بالجهد او بالمصروف ، اشترك فى موكبه وفود اسلامية من كازاخستان وطازخستان وتركمنستان وكركيزستان وداغستان ، ودفن فى مقبرة كفل شاستي المشهورة فى طشقند . وقد حضر الموكب ايضا ل. بريخودكو الذى مثل مجلس الملات الدينية التابع لمجلس الوزراء السوفيتي و. ن. اينوجاموف موفدا عن مجلس الملات الدينية التابع لمجلس الوزراء الازبكي(٥٣) . وهذا يعني ان الشيوعيين قد ادوا واجباتهم الاخيرة للمفتي المسن الذى كانت خدماته ذات فائدة لهم حتى النهاية والذى حمل معه الى قبره اسرار ضميرة الديني . . .

واذاعت فى العاشر من حزيران (يونيو) محطة موسكو للاذاعة البيان التالي عن "تاس" : "بالنظر لوفاة المفتي الشيخ باباخان عبد المجيد خان يقوم ابنه ضياء الدين باباخانوف بوظيفة رئيس موقت بالوكالة لمديرية الديانة الاسلامية فى اواسط آسيا وكازاخستان والى حين ان يلتئم المجلس الملي الاسلامى ، وان هذا القرار قد اتخذته المديرية الدينية للمسلمين فى اواسط آسيا وكازاخستان فى احد اجتماعاتها" .

وقد التأم فى نفس العام المجمع الثالث للمسلمين فى اواسط آسيا وكازاخستان فى طشقند واستمر انعقاده من السادس عشر حتى العشرين من تشرين الاول (اكتوبر) وحضره ما ينوف عن مائة وخمسين موفدا من المسلمين

---

(٥١) رسالة "تاس" من طشقند كما اذاعتها محطة اذاعة موسكو فى ٢٥ آذار (مارس) ١٩٥٧ .
(٥٢) "برافدا فوستوكا" تاريخ ١٩٥٧/٦/٨ ، طشقند .
(٥٣) المرجع السابق .

المتدينين ، كما وحضر الاجماع ايضا رئيس مديرية الدين الاسلامى فى باكو واماما جامعي موسكو ولينننغراد الكبيرين كضيوف .

وبالنظر لوضع المسلمين العام فى الاتحاد السوفيتي والغاية السياسية التي يرمى اليها الحزب الشيوعي ، فان من السهل ان يتنبأ الفرد ان وفاة المفتي وترقية نجله الى وظيفته — هذا الابن الذى برهن عن قيمته الحقة باعماله السابقة — سوف لا يتأتى عنه اى تبدل فى سياسة المديرية الدينية .

ودلت التفاصيل التي وردت عن اعمال المجمع الملي الثالث وخدمات ضياء الدين باباخانوف اليه على انه جارى غيره من المنظمات السوفيتية والمديريات الدينية فى قيامها بخدمة الغايات العامة للدعاية السوفيتية .

وكان بوسع رجال الدين الذين تحملوا جميع انواع الجور والعسف ، ان يتكلموا عن نواقص الحركات الدينية والضرر الحاصل لها غير ان مقرر المجمع لم يتمكن من التكلم عنها (او لم يرغب فى ذلك) عندما قال: ''ان مديريتنا الدينية التي تجمع بين الملايين من المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية الخمس ، والتي خلقت احوالا ملائمة للقيام بالطقوس الدينية ، وقد عملت الكثير لتدريب ائمة للدين . . . وقد افتتحت مؤخرا خمسين جامعا كبيرا . واعيد انشاء سبع اماكن مقدسة يؤمها الحجاج فى ازبيكستان وكازاخستان . ورممت مديرية الديانة ، تحت اشراف الاثريين الباهرين وغيرهم من الخبراء ، المقابر التاريخية الثمينة التي تخص الامام البخارى والخوجا بهاء الدين وعبد الخالق جلدوفاني . وتقوم بالاشراف على هذه المقابر الثمينة المديرية المذكورة . . . وافتتح فى العام الماضي مدرسة ثانية اسمها باراك خان(٥٤) حيث يتلقى بها الطلاب دروسهم لمدة تسع سنوات يصبحون بعدها أئمة دين من ذوى الكفاءة . ويذهب بانتظام عدد كبير من المسلمين كل عام لزيارة الاماكن الاسلامية المقدسة ، وخاصة مكة والمدينة . . .

'' ونمت كثيرا خلال السنوات الاخيرة القليلة العلاقات الدولية بين مسلمي الاتحاد السوفيتي واتسع ايضا تبادل الوفود وزاد كثيرا عما قبل عدد الزائرين الى الاماكن المقدسة فى اواسط آسيا . . .

'' . . . وتعرف الزوار الاجانب على حياة المسلمين فى الشرق السوفيتي وتبادلوا الآراء بحرية فى مسائل متعددة ، بينما قامت وفود اسلامية اخرى بزيارة الى لبنان وسوريا والهند واشتركوا فى المؤتمرات التي عقدت فى دلهي من قبل شعوب افريقيا وآسيا''(٥٥) .

ولم يأل مقرر المجمع هذا جهدا فى الاشادة بخدمات المديرية من اجل السلام حين قال : ''ان المفتي الراحل الشيخ باباخان بن عبد المجيد خان اكتسب الاحترام والتقدير العام كعضو عامل فى اللجنة السوفيتية للدفاع عن السلم . والمديرية الدينية لا تتردد قطعا فى تنفيذ جميع القرارات التي اتخذها مجلس السلام العالمي بالفعل ، وقد طلبت مرارا من مسلمي جميع الاقطار ان يوحدوا الصفوف تحت راية الاسلام المقدسة وان يناضلوا بصبر واصرار من اجل السلام فى العالم أجمع ، وان يطردوا قوات الاستعمار السوداء التي تآمرت للقضاء على حرية واستقلال الشعوب .

---

(٥٤) (ملاحظة المؤلف) انشئت مدرسة باراك خان فى طشقند .

(٥٥) اذاعت محطة موسكو تقرير المجمع الاسلامى باللغتين العربية والروسية بتاريخ ١٩٥٧/١٠/٢٠ .

"وارسلت المديرية الدينية المذكورة مائة الف روبل الى الشعب المصرى الباسل الذى وقع ضحية للاعتداء الغادر الذى قامت بـه قوات المعتدين الانجليز والافرنسيين والاسرائيليين ، واستلمت على اثر ذلك برقيـة شكر شخصيـة من الرئيس جمال عبد الناصر" (٥٦) .

وقالت وكـالة تاس ان الوفود للمجمع هذا قد "وافقت بالاجماع على اعمال المديرية الدينية هذه" (٥٧) .

وحدث ما كـان متوقعا ففي اول اجتماع عام للجنة العليا تم انتخاب ضياء الدين باباخانوف رئيسا للمديرية الدينية لاواسط آسيا وكـازاخستان ، واعطي لقب "مفتي" . وحدث فى نفس الوقت ان وافقت الوفود للمجمع هـذا عـلى "الخطاب" الموجـه الى جميع المسـلمين فى العـالم يناشـدهم فيـه "مضاعفة جهودهم فى النضال من اجـل السلم وسعادة الشعوب" (٥٨)

ولا شك فى ان تقرير "وكـالـة تاس" هـذا سلك مسلكا غايته الدعاية ، كمـا وكـانت الدعاية هي الغاية من المجمع نفسه الذى لم يختلف بالجوهر عن غيره من المؤتمرات والمجالس والاجتماعات التابعة للمديريات الدينية الاخرى التي سبقته. ولم يظهر التقرير بأى شكل من الاشكـال الوضع الحقيقي للحياة الدينية للمسلمي تركستان كمـا وانه لم يعبر عن نوايا وآمال ائمـة الدين ، واهمها هي طرح الاعمال السياسية جانبا وتكريس انفسهم للجانب الروحاني من اعمالهم ، وسوف لا يتمكنون بالطبع من تحقيق هذا الاخير لان الاعمال السياسية هي التي تجلب الشكر لرجال الدين الذين يسيطر عليهم السوفيت وهي التي تساعد هذه الجماعات الدينية على البقاء فى الاتحاد السوفيتي .

ولدينـا الـكثير من الامثلة التي تبين مدى استغلال ائمـة الدين فى خدمة الدعايـة السوفيتية وسوف نذكر فيما يلي بعضها التي حدثت فى عام ١٩٥٧ :

جاء فى مقابلة صحفية لامام جامع موسكو ما يلي : "... تساعدنا الدولة فى كثير من الحالات، اذ كلما احتاج جامعنا الى بعض الترميمات ، نذهب الى الدولة فى طلب المساعدة ، والدولة تسعفنا دوما وتقدم لنا مواد البناء اللازمـة لذلك . وتسمح لنا الدولة ايضا باستعمال ورقها ومطابعها لطبع الـكتب الدينية ، وهـذه الـكتب الدينية (ما هي ؟ — المؤلف) التي تطبع بكميات كبيرة (ما عددها ؟ — المؤلف) فى اوفا وطشقند وغيرها من البلدان التي تحتوى على نسبة عاليـة من السكـان المسلمين (ما هي وما هو عددها ؟ — المؤلف) . وقـد حدث مؤخرا طبع القـرآن فى طشقند (كم نسخة ؟ — المؤلف).

---

(٥٦) المرجع المذكور نفسه — استعملت الحكومة السوفيتية النزاع حول قناة السويس الذى حدث فى تشرين الثاني (نوفبر) عام ١٩٥٦ لزيادة نفوذها فى الشرق العربي . اذ بالاضافة الى تشكيل حملات التبرع قامت بتأليف فرق "متطوعين" من المسلمين لارسالهم لمساعدة "اخوانهم المصريين" وجاء فى نداء المفتي مـا يلي : "نحن نتوسل من مسلمي مصر بأن لا ييأسوا ، فالله الذى هو اله القوة والسلطان يمنحكم النصر". راجع ايضا (أ) مقال الدكتور شيت تحت عنوان "الـكرملين يحاول استعمال الاسلام لغاياته السياسية الخـاصة" فى "راينيشرميركور" تاريخ ١٩٥٧/٥/١٧ و (ب) مقـال ن. كوليكوفتش تحت عنـوان "توسع الفن والثقافة السوفيتية فى الشرق العربي" فى "جورنال معهـد دراسة الشؤون السوفيتية" العدد ٣(٢٤) ، ١٩٥٧ — الصفحات ٩٩ الى ١٠٩ ، طبع ميونيخ .

(٥٧) اذاعة محطة موسكو باللغتين العربية والروسية بتاريخ ١٩٥٧/١٠/٢٠ — محفوظات المؤلف .

(٥٨) نفس المصدر السابق .

"والدولة لا تمنعنا من تعليم وتدريب ائمة الدين ولدينا مدارسنا الخاصة فى بخارى وطشقند التي يتخرج منها سنويا عدد كبير من الائمة (ما عددهم ؟ — المؤلف) . . . ويذهب عدد كبير من المسلمين (ماعددهم؟ — المؤلف) من مختلف مدن الاتحاد السوفيتي سنويا لاداء فريضة الحج ، انني آمل فى حالة استمرار السلم فى العالم ان يزداد هذا العدد من الاتحاد السوفيتي" (٥٩) .

وعندما سئل هذا العالم الديني عن صحة ادعاءآت الدعاية الغربية التي تقول بعدم وجود حرية العبادة فى الاتحاد السوفيتي أجاب بالجواب السوفيتي المعهود قائلا : انه لا اساس لهذه الاقوال بالمرة ، فحرية العبادة فى بلدنا يضمنها القانون وكل شخص له الحق فى تأدية الصلاة او عدم ذلك : فلا المسلمون ولا غيرهم من افراد الديانات الاخرى فى الاتحاد السوفيتي يتدخلون فى اعمال الدولة (؟ — المؤلف) كما وان الدولة لا تتدخل فى شؤون الديانات المختلفة" (؟ ؟ — المؤلف) (٦٠) .

وادعى مثل هذا رجل ديني آخر، وهو امام احد الجوامع التركمانية ، فى مقابلة له اذيعت بالراديو فى انه يوجد هناك حرية دينية كاملة فى الاتحاد السوفيتي وقال : ". . . ان حكومة الاتحاد السوفيتي تقدم لنا مساعدات مالية لترميم وبناء الآثار الاسلامية والجوامع" (٦١) .

وانه لمن الواضح ان سياسة الحكومة السوفيتية الخارجية تستفيد كثيرا من القصص القائلة باعادة الاعمال الدينية الاسلامية ، وقالت الاذاعات ما يلي عن اعمال الترميم الواسعة هذه : "ان اعادة وترميم الكثير من الابنية الأثرية التي يقدسها المؤمنون المسلمون هي جارية على نطاق واسع فى الجمهوريات السوفيتية الشرقية . . . وان ما ينوف عن مائة جامع كبير ومقبرة مقدسة ، يرجع تاريخ الكثير منها الى القرون الوسطى ، قد اجريت لها ترميمات رئيسية، وقد تم بالفعل ترميم ضريح قاف علي حاجي فى طشقند وضريح بالفان أتا فى خيوة وضريح السلطان باتا فى شباز . كما وانه قد اعيد بناء مدرسة باراك خان القديمة فى طشقند . . . وهنالك اعمال واسعة تجرى الآن فى منطقة ترمذ ، حيث تقع بها مقبرة الحكيم الترمذى وهو الشخصية الاسلامية الكبرى الذى توفي فى القرن الثامن للميلاد .

"اما فى بخارى فقد ابتدأ العمل لترميم ضريح الخوجا بهاء الدين النقشبندى، الذى تم بناؤه فى القرن الرابع عشر ، وهذا الامام الاسلامى هو مؤسس الطريقة الاسلامية المشهورة التي تحمل اسمه . . . ونزولا عند رغبة المؤمنين قامت مديرية الشؤون الدينية ببناء عدد كبير من الجوامع الجديدة فى السنين التي تلت الحرب مباشرة ، ويدخل ضمنها جامع راكات الكبير فى طشقند ، الذي يتسع لالف مصلّ ، وجوامع كبرى فى عوش واندیزان وستالين أباد وغيرها من الاماكن . هذا وقد جرى ترميم اماكن العبادة القديمة وبناء الحديثة منها بواسطة المساعدات التي يقدمها المؤمنون ومن المساعدات التي تقدمها مديرية الشؤون الدينية . . . ومديرية الشؤون الدينية تتلقى فى اعمال الترميم والبناء هذه كل مساعدة من المؤسسات الحكومية المختلفة التي تقدم لها لوازم البناء الضرورية" (٦٢) .

---

(٥٩) فى مقابلة لقمر الدين صالحوف ، امام جامع موسكو ، كما اذاعته محطة اذاعة موسكو باللغة التركية فى برنامجها الموجه للشرق الادنى بتاريخ ١٩٥٧/١١/٢٥ .

(٦٠) نفس المرجع السابق .

(٦١) محطة اذاعة موسكو باللغة التركية تاريخ ١٩٥٧/١٢/١٦ .

(٦٢) محطة اذاعة موسكو بتاريخ ١٩٥٧/٣/٢٤ .

وبدا السرور الزائد فى محطة اذاعة موسكو عند اذاعتها التقرير التالى ، هذا التقرير الذى اظهر السياسة السوفيتية فى مظهر ملائم للغاية : ”يقوم البروفيسور شارلس ماكلين ، التابع لجامعة فيلادلفيا ، بدراسة حياة المسلمين فى المناطق السوفياتية الشرقية . وقد قام اثناء زيارته لمدينة طشقند ، بصحبة سواح اميركان آخرين بزيارة جامعها الرئيسي وهو جامع تللا شيخ . وكان بالجامع ٣٥٠٠ مصل يؤدون فرائضهم الدينية المقدسة .

”وقابل الزوار الاميركان رؤساء مديرية الشؤون الاسلامية لاواسط آسيا وكازاخستان ، وقال ماكلين نفسه انه سرّ سرورا كبير لرؤية مثل هذا العدد الكبير من المصلين فى الجامع واضاف قائلا : ”ان الشعب فى الولايات المتحدة كان يعتقد ان الدين قد الغي فى الاتحاد السوفيتي ، وانه قد اغلقت الجوامع فيها“.(٦٣)

ومثل هذا تماما هو اذاعة تقرير تاس من محطة موسكو بمناسبة عيد الفطر [١ أيار (مايو) ١٩٥٧] الذى جاء فيه : ان رئيس جامعة الازهر فى القاهرة ، الشيخ عبد الرحمن تاج ، قد نشر نداء الى العرب وجميع المسلمين للتكتل والاتحاد فى النضال من اجل السلم ، والاستقلال الوطنى وتحرير البلاد العربية نهائيا من سيطرة الاستعمار الغربي . وتقوم الدول الغربية المستعمرة الآن بشن حرب على الشعوب العربية . . . والاستعمار هو اساس كل شر والمسبب لنكبات الشعوب ، وهو لهذا عدونا الحقيقي وعلينا ان نشن حربا شاملة عليه لكي نحبط خططه ونبيد اعوانه. . .“*.

والدعاية السوفيتية يهمها بالدرجة الاولى ان تعلم البلدان الاجنبية عن حدوث احتفالات اسلامية داخل البلاد كما يستدل على ذلك من بيان وكالة ”تاس“ الذى جاء فيه : ”. . . يحتفل اليوم المسلمون الذين يقطنون الاتحاد السوفيتي بعيد الفطر ، وهو عيد المسلمين فى جميع انحاء العالم ، وقد اقيمت الصلوات بهذه المناسبة فى جميع الجوامع . وامتلأت جوامع طشقند وسمرقند وبخارى وخيوه وغيرها من المدن فى ازبيكستان بالمصلين . وقد القى خطبة العيد فى جامع تللا — شيخ فى طشقند القاضي ضياء الدين باباخانوف ، نائب رئيس الادارة الدينية لمسلمي اواسط آسيا وكازاخستان ، وطلب فيها من المؤمنين ان يصلوا لله الاجل لكي يحفظ سلما دائما على هذه الارض وقيام الصداقة بين الشعوب التي تحميه“(٦٤) .

وعندما نشير الى اذاعات محطات الاذاعة السوفيتية يجب علينا ان نلفت النظر الى الحقيقة الواضحة وهي ان هذه التقارير التي تشير الى تطور الاعمال الدينية فى الاتحاد السوفيتي والتي ترددها هذه الاذاعات الخارجية ، وخاصة تلك الموجهة الى بلدان الشرق الاسلامى ، لا يجرى اذاعتها من قبل محطات الاذاعة الداخلية او فى الصحف السوفيتية . وهذا اكبر دليل على مدى التزوير والرياء فى وجهة نظر الحكومة نحو الدين ، فنرى مثلا ان الحرب ضده قائمة على قدم وساق ضمن البلاد ، باستثناء اعادة بعض طقوس دينية طفيفة يجرى تضخيمها واذاعتها لاطلاع الاجانب عليها . ومن المعروف ان مديرية الشؤون الدينية هي الآن فى مركز تعتمد فيه كليا على السياسة السوفيتية التي تستعملها اداة فى يدها ، وان رجال الدين ليسوا سوى ابواق يرددون الدعاية الشيوعية .

وان هذه المناورات المعقدة ، وتوزيع المهمات بعد التأكد من الاشراف على تحقيقها ، وكذلك ”تشجيع“ ابقاء القليل من الكنائس والجوامع ، والكبح المفروض على المؤمنين الراغبين فى اعادة الدين الى سابق اوجه — كل هذه

---

(٦٣) تقرير ”تاس“ الذى اذاعته محطة موسكو باللغة الانجليزية بتاريخ ١٩٥٧/٣/٢٣ .

* المصدر نفسه .

(٦٤) تقرير وكالة ”تاس“ المذاع من محطة موسكو بتاريخ ١٩٥٧/٥/١ .

الاعمال يديرها بنجاح ''الهيئة الاستشارية'' للحكومة ، اى مجلس الملات الدينية ، الذى جاء ذكره سابقا ، وهو المجلس الملحق بمجلس الوزراء السوفيتى . ومركز ادارة هذا المجلس فى موسكو ويتوزع ممثلوه فى جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي وحتى بين طبقة الموظفين المدنيين الصغار . هذا وهؤلاء الممثلون هم مدراء المسارح الذين يقومون بتمثيل الرواية المعقدة لصالح المتفرجين الاجانب .

ومن اهم المسائل التي هي ''برسم التصدير'' خاصة والمقصود منها الدلالة على مدى ''حرية'' الاسلام فى الاتحاد السوفيتي هما :

الاولى : المدارس الاسلامية العامة الخاصة بتدريب ائمة الدين .

والثانية : حج المسلمين الى مكة .

المدارس الاسلامية

حدث فى عام ١٩٤٨ ، ولأول مرة منذ عهد الاضطهاد والهدم ، ان افتتحت مدرسة فى بخارى ، وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة من نوعها فى الاتحاد السوفيتي ، وسميت هذه المدرسة ''مير العرب'' (أى أمير العرب)(٦٥) ويجرى التدريس بها لخمس سنوات ويلتحق بها اولائك الطلاب الذين انهوا دراسة امدها سبع سنوات فى المدارس الابتدائية وكان منهاج دراسة هذه المدرسة لعام ١٩٥٣ — ١٩٥٤ الدراسي ما يلي :

---

(٦٥) تم بناء مدرسة مير العرب فى القرن السادس عشر للميلاد من قبل عبيد الله خان ليقوم الشيخ والعلامة المشهور عبد الله من بلدة تمن (عبد الله التميني) بالتدريس فيها . وكانت هذه المدرسة التاريخية الثمينة ، التي تحتوى على بوابة عالية وقبتين زرقاويتين ، قبل مجيء الشيوعية للحكم من اهم المدارس التي يؤمها المسلمون من جميع انحاء روسيا القيصرية لتلقي علومهم الدينية فيها (راجع ''جوامع ومدارس بخارى وسمرقند'' فى تاريخ جمهورية ازبك الشيوعية الاشتراكية ، المجلد ١ ، الكتاب ١ ، طشقند ، ١٩٥٥ ، الصفحة ٤٥١ وما يليها . راجع ايضا ''شعوب الاتحاد السوفيتي'' نشرة دائرة الصحافة التابعة لسفارة الاتحاد السوفيتي فى النمسا ، عام ١٩٥٧ ، المجلد ١٠ (٨٢) .
ومما هو جدير بالذكر ان ''دائرة المعارف السوفيتية الكبرى'' ، طبعة عام ١٩٥٤ (موسكو المجلد ٢٧ ، الصفحة ٥٧١) ذكرت كون هذه المدرسة اثرا تاريخيا فقط .

الموضوع	عدد الساعات				
	السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
اصول الدين	٩٦	٧٢	—	—	—
اللغة العربية (محادثة)	٩٦	٧٢	٩٦	٩٦	٩٦
صرف اللغة العربية	٧٢	٩٦	٩٦	١٢٠	٩٦
علم النحو	—	٧٢	٧٢	٩٦	٩٦
قراءة القرآن	٩٦	٧٢	٧٢	٧٢	٩٦
الحديث الشريف	—	—	٧٢	٩٦	١٢٠
تفسير القرآن	—	—	—	—	٧٢
تاريخ الاسلام	—	—	—	—	٧٢
اللغة الفارسية	٧٢	٧٢	٧٢	٩٦	٧٢
المفردات	—	—	٢٤	٢٤	—
اللغة المحلية (ازبكية)	٩٦	٧٢	٤٨	٤٨	—
املاء وتهجئة	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
الخط العربي	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨
الانشاء	—	٤٨	٤٨	٤٨	—
دستور الاتحاد السوفيتي	٤٨	—	—	—	—
الحساب	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٢٤
التاريخ	٤٨	٤٨	٤٨	—	—
الجغرافيا	٤٨	٤٨	٤٨	—	—
اللغة الروسية	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨	٤٨

فيكون مجموع ساعات الدراسة فى السنة الدراسية الواحدة ٣٩٢ ٤ ساعة يضاف اليها ٣٦٠ ساعة للتكرار والمراجعة (٦٦).

ويظهر لاول وهلة ان المواضيع التي تدرس فى مدرسة مير العرب توازى تلك التي تدرس فى اى مدرسة اسلامية فى العالم الاسلامي الحر*، غير ان الامر المهم فى هذه الحالة هو معرفة فحوى هذه الدراسة، وليس لدينا اى معلومات عنها مطلقا.

ولكن عند اجراء دراسة سطحية لهذا البرنامج يتبين لنا على انه عمل خصيصا لكي يناسب بعض متطلبات معينة على ائمة الدين المتخرجين من هذا المعهد حيازتها. فنرى مثلا انه يتطلب منهم ان يمضوا ساعات عديدة فى دراسة اللغة العربية العامية (الدارجة) واللغة الفارسية، واننا نعلم ان اللغات هذه لم تلاق فى مثل هذه المدارس اهتماما كهذا فى المدة الواقعة قبل الثورة. فالامر الواضح اذا هو ان المتخرجين من هذه المدارس والذين يتكلمون اللغات العربية والفارسية يمكن الاستفادة منهم فى خدمة السياسة السوفيتية فى الشرق. وساعات الدراسة المكرسة لدرس هذه اللغات جرى زياداتها على حساب تدريس مواضيع مبادىء الدين وتاريخ الاسلام وتفسير القرآن. ويتوقع الفرد أن دراسة مثل هذه المواضيع الاخيرة درسا عميقا يلائم ملائمة تامة دراسة اصول الدين للافراد الذين سيتطلب منهم القيام

---

(٦٦) مجلة ''الشرق الحديث'' روما لشهرى آب — ايلول (اغسطس — سبتمبر) ١٩٥٤، الصفحة ٤٥١ وما يلها.

* تدريس ''دستور الاتحاد السوفيتي'' ضمن الدروس الاخرى لا ينافي ما جاء فى هذه الجملة، لان الدستور المحلي للبلاد يجرى تدريسه فى جميع الكليات الدينية فى جميع انحاء العالم.

بالارشادات الدينية ، كما وانها المواضيع التي هي اكثر ملائمة لتعليم الشعب قواعد مبادىء الاسلام . ومن هذا يستدل على ان دائرة المراقبة والاشراف التابعة للحزب الشيوعي ، هذه الدائرة المناط اليها الموافقة على منهاج الدراسة فى هذه المدرسة ، كان رائدها اعتبارات اخرى .

وبالرغم من تبديل احرف الهجاء فى المنطقة مرتين (استعمال الاحرف اللاتينية عوضا عن الاحرف العربية ثم الاحرف الروسية بدلا من اللاتينية) نرى ان منهاج هذه المدرسة قد كتب بالاحرف العربية .

وكان مدير مدرسة مير العرب فى عام ١٩٥٣ هو البروفيسور شهاب الدين مؤمنوف ، وهو علامة مشهور بحفظ القرآن ، وقد لاقت كفاءته العلمية كل اعجاب فى مصر عندما زارها فى طريق عودته من الحج فى ذلك العام . اما رئيس هذه المدرسة فى عام ١٩٥٤ فكان الحافظ المدرس الحاج اسماعيل ابن صدرخان.(٦٧) ومن الغريب ان المدرسة وطلابها لا يأت ذكرهم فى الصحافة التركستانية او فى صحافة موسكو السوفياتية .

وافُتتح فى عام ١٩٥٦ مدرسة ثانية اسمها بارك خان فى طشقند وليس لدينا اى معلومات عن برنامج الدراسة المتبع فيها او عن عدد طلابها وغير ذلك . وكان الداعي لانشائها هو عدم مقدرة مدرسة مير العرب على تدريب العدد الكافي من أئمة الدين . واخبرنا الزوار الاجانب الذين زاروا الاتحاد السوفيتي فى عام ١٩٥٧ ، ان عدد الطلاب فى مدرسة باراك خان هو قليل جدا .

الحج الى مكة

لقد استعمل حج المسلمين الى مكة ، هذا الحج الذى صرّح به نظريا فى عام ١٩٤٧ ، فى خدمة مقاصد الدعاية السوفيتية ايضا وخدمة نفوذها المتقلص فى البلدان الاسلامية .

يتحتم على الراغبين فى الحج الى مكة الحصول على اذن خروج من قبل السلطات السوفيتية بعد حصولهم على التوصيات المناسبة من قبل الفئات الدينية . وثم يجرى تدقيق فى الكفاءة السياسية لكل طالب للحج قبل منحه سمة الخروج(٦٨) ، وهذا يعني انتقاء حجاج ''مناسبين'' يرأسهم عادة رجل شيوعي او رجل ديني يؤتمن منه يعمل كطابور خامس فى بلدان الشرق الاجنبية طبقا للتعليمات المعطاة اليه من قبل الحكومة السوفيتية . وعلى الحجاج اثناء قيامهم بالحج ان يقنعوا غيرهم من المسلمين ان شعائر الدين الاسلامى يجرى اقامتها بحرية فى الاتحاد السوفيتي وعليهم ان يمثلوا الاتحاد السوفيتي بانه ''حام للشعوب المضطهدة'' .

وحدث فى عام ١٩٥٣ ان اصدر المفتي الشيخ باباخان تعليمات الى الحجاج التركستانيين المتوجهين الى مكة طالبا منهم ''أن يصلوا هناك ايضا من اجل السلم''(٦٩) .

---

(٦٧) محطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٤/١١/١٨ .

(٦٨) (أ) اخبرنا الجنرال طوبر فى كتابه المعاصر للسوفيت ''جمهورية ازبيكستان السوفيتية'' باريس ١٩٥١، الصفحة ١٢٨ ، انه من بين المائتي مسلم التركستاني الذين تقدموا بطلب للذهاب الى مكة لاداء فريضة الحج ، ارسلت طلبات سبعة عشر منهم فقط الى موسكو للموافقة عليها نهائيا .
(ب) يحدث فى بعض الحالات ان يحجر على بعض الحجاج وهم فى طريقهم بالطائرات الى مكة (راجع ''الحج الى مكة'' فى ''المصالح المشتركة للمسلمين فى غربي اوروبا'' ميونيخ ١٩٥٧) .

(٦٩) محطة اذاعة موسكو ، وتاس ، تاريخ ١٩٥٣/٩/٣ .

وعند عودة الحجاج من مكة قام رئيس موكب الحجاج القاضي ضياء الدين باباخانوف ، الذى كان حينذاك لا يزال يشغل منصب نائب رئيس الادارة الدينية ، باعطاء الحديث التالي لمراسل ''تاس'' : ''فى اثناء محادثاتنا مع مشايخ الدين فى البلدان الشرقية اخبرناهم عن الحياة الدينية فى الاتحاد السوفيتي وعن حرية العبادة التامة لجميع الطوائف بما فيهم المسلمون''(٧٠) .

وعندما تكلم هذا العلامة الديني فى خارج البلاد عن ''حرية'' الدين المعلن عنها بكثرة ، لم يقل بالطبع لمستمعيه انه قبل مغادرة الحجاج كتبت جريدة ''كيزيل ازبيكستان'' بسخط فى مقالها الافتتاحي ما يلي : لا يزال السكان فى بعض الاماكن فى طشقند وخاصة فى حي اكتوبر ، يمارسون عقائدهم الدينية''(٧١) .

اما عبد الله عثمانوف ، رئيس الحجيج الذى ادى فريضة الحج فى عام ١٩٥٤ ، والذى تالف من حجاج من اواسط آسيا وكازاخستان ، فقد اعطى حديثا عند عودته الى مراسل ''تاس'' تكلم فيه فقط عن الاهمية الدينية للحج وزيارة رهطه الى الاماكن الاسلامية المقدسة''(٧٢) .

وانه لمن الامر المعروف جيدا ، استنادا على مصادر صحفية اجنبية ، ان الحجاج هؤلاء لم يحصروا حديثهم فى ''المحادثات فى المسائل ذات الصبغة الدينية'' ، بل قاموا أثناء عودتهم بعقد مؤتمر صحفي فى القاهرة ، عمل الترتيبات اللازمة له السفير السوفياتي هناك . وفى خلال هذا المؤتمر ألقى المتحدثون كلمات عن ''حرية'' العبادة فى الاتحاد السوفيتي ، هذا الادعاء الذى له طبعا صبغة سياسية بالنسبة لما يقوم به الموظف السوفيتي الرسمي هناك .

وعدد الحجاج الذين يغادرون الاتحاد السوفيتي الى مكة هو ليس بكثير ففي عام ١٩٥٣ بلغ هذا العدد ثمانية عشر حاجا ، وفى عام ١٩٥٤ بلغ واحدا وعشرين حاجا وفى عام ١٩٥٦ عشرين حاجا ومثل هذا العدد ايضا فى عام ١٩٥٧ . وهذه الارقام هي ليست ذات أهمية كبرى فيما اذا ذكرنا انه كان يزور مكة قبل قيام النظام الشيوعي المئات والالاف من المسلمين من تركستان وحدها فى كل عام .

ونكرر هنا ان القيام بفرائض الحج تلاقي الكثير من الاهمية من قبل السلطات ، فنرى مثلا ان الاشخاص المشتركين فى هذا الموكب يودعون بحفل رائع ، وكان فى وداع الحجاج فى مطار فنوكوفو فى موسكو فى عام ١٩٥٧ ، رئيس الادارة الدينية للمسلمين فى اوروبا وسيبيريا المفتي شاكر خيال الدينوف ، وامام جامع موسكو ول. بريكودنو ، عضو مجلس الملات الدينية التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي(٧٣) .

الوفود الاجنبية فى الاتحاد السوفيتى

من الواضح ان الدعاية السوفيتية حول ''حرية'' الاسلام فى الاتحاد السوفيتي لم تعتبر كافية ولهذا وجد من الضرورى دعوة عدد من رجال الدين المناسبين الى الاتحاد السوفيتي لكي يحكموا على الوضع بانفسهم . ويظهر ان الحكومة

---

(٧٠) نفس المرجع السابق .
(٧١) جريدة ''كيزيل ازبيكستان'' ، طشقند ، تاريخ ١٩٥٣/٨/٦ .
(٧٢) فى حديث مع عبد الله عثمانوف كما اذاعه تقرير ''تاس'' من محطة موسكو للاذاعة بتاريخ ١٩٥٤/٨/٣٠ (من ملفات المؤلف) .
(٧٣) (أ) جريدة ''كيزيل ازبيكستان'' ، طشقند ، تاريخ ١٩٥٧/٧/٤ .
(ب) ''الحج الى مكة'' المشار اليه سابقا فى المرجع رقم ٦٨ ، عام ١٩٥٧ .

السوفيتية رأت ان مثل هذه الدعوات قد تأتي بالنتائج المرضية للاتحاد السوفيتي كما أتت الدعوات التي وجهت الى بطاركة المذهب الارثوذكسي الاجانب .

في عام ١٩٥٧ زار الاتحاد السوفيتي وفد من جمعية العلماء المسلمين فى الباكستان بناء على دعوة رسمية وجهتها اليهم الادارة الاسلامية لاواسط آسيا وكازاخستان ، وكان الغرض من هذه الزيارة ، كما زعم "ان يطلع اعضاء هذه الجمعية اطلاعا واسعا على حياة السكان فى الاتحاد السوفيتي" . وقد لقيت هذه الزيارة اهمية كبرى واقامت السفارة السوفيتية فى الباكستان حفلة استقبال على شرف هؤلاء العلماء قبل مغادرتهم بلادهم متجهين نحو الاتحاد السوفيتي . وكان هذا الوفد يتألف من بدايوني ، رئيس جمعية العلماء المسلمين فى باكستان ، كرئيس له ، وعبد المؤمن عدوي سكرتيرا ، والعلماء محمد جلمي صديقي واحمد نوراني وراغب احسان وعبد الوهاب ، وقد اصطحب هذا الوفد افتخار علي ، أحد الموظفين الكبار التابعين لوزارة الخارجية الباكستانية (٧٥) .

وصل وفد علماء الباكستان الى طشقند فى الثلاثين من حزيران (يونيو) عام ١٩٥٧ وقام اعضاؤه بزيارة سمرقند وستالين آباد وموسكو ولينغراد بالاضافة لزيارتهم لمدينة طشقند . وأقام اليكسيس بوتسين ، رئيس مجلس الملات التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي ، فى السابع عشر من تموز (يوليو) عام ١٩٥٧ حفلة غداء "على شرف وفد العلماء الباكستانيين بمناسبة وصولهم الى موسكو" . وقد حضر هذه الحفلة بالاضافة للزوار رئيس الادارة الدينية لمسلمي أواسط آسيا وكازاخستان ، ورئيس الادارة الخاصة بالقسم الاوروبي للاتحاد السوفيتي وسيبيريا ، كما وحضرها امام جامع موسكو وغيره من زعماء الدين ، وحسين اختر سفير جمهورية الباكستان الاسلامية للاتحاد السوفيتي .

وبالرغم من جميع المحاولات التي قامت بها الحكومة السوفياتية وموظفو الدين الرسميون للتأثير على اعضاء الوفد ، نرى ان الفكرة التي اخذها هؤلاء الاعضاء عن الشؤون الدينية فى الاتحاد السوفيتي ، اتفقت والرأى السائد فى الباكستان وهو ان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي يلاقون شتى اعمال الاضطهاد ، ورأي علماء الوفد هذا نشرته الصحف حينذاك .

ونرى مثلا ان مولانا عبد الوهاب وهو احد اعضاء الوفد قد ادلى بالبيان التالي بعد رجوعه من الاتحاد السوفيتي: "ان ملاحظاتي الشخصية لحياة المسلمين فى الاتحاد السوفيتي اقنعتني بان الحكومة السوفيتية لم تكتف بان جعلته من المتعذر على المسلمين القيام بواجباتهم الدينية ومنعت تدريس العلوم الدينية للنشيء الحديث فى البلاد ، بل انها قامت بمحاربة الثقافة الاسلامية بانتظام" (٧٦) .

ونشرت فى نفس الوقت أحدى جرائد كراتشي مقالا مطولا عن وضع المسلمين فى الاتحاد السوفيتي . وجاء فى هذا المقال نقل لحديث وفد العلماء القائل ان وضع السكان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي يمكن ان يعتبر انذارا للعالم الاسلامى الحر ، لما قد تجلب الشيوعية معها فى حالة انتشارها(٧٧) .

والقى الزعيم الديني والسياسي مولانا راغب احسان ، وهو عضو آخر فى هذا الوفد ، خطابا فى المعهد الباكستاني للشؤون الدولية فى كراتشي قال فيه انه بعد زيارته عدة مدن فى الاتحاد السوفيتي ، حيث كان الاسلام بها فى اوجه

---

(٧٥) (أ) جريدة "كيزيل ازبيكستان" ، طشقند ، تاريخ ١٩٥٧/٦/٢٩ .
(ب) جريدة "ازفستيا" ، موسكو ، تاريخ ١٩٥٧/٧/٢ .

(٧٦) باكستان اوبزفر "كما نقلته عنها "نشرة الاخبار اليومية" الرقم ١٤٤ تاريخ ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ .

(٧٧) "الاسلام" ، كراتشي ، ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٥٧ .

فى الايام الغابرة ، وبعد محادثات عدة مع ممثلي المسلمين فى الاتحاد السوفيتي ، كوّن فكرة على انـه لا يوجد هنـاك حريـة للعبادة فى الاتحاد السوفيتي . وقال راغب احسان ايضا انه لحقيقة ان بعض الجوامع قد افتتحت ابوابهـا مرة ثانية غير ان المسلمين لا يزالون يضطهدون وان النشيء الجديد ينشأ حاليا على مبادىء الالحاد وانه يدرّب على السخرية بالشيوخ والاله عز وجل والقرآن(٧٨) .

وذكر مولانا راغب احسان فى حديثه تفاصيل ممتعة عن زيارته تتلخص فيما يلي : أخذت السلطات الباكستانية عدة شهور لتشكيل هذا الوفد وانتقاء اعضاء مناسبين له ، لانهم سعوا ، بالنظر لاعتراضات قوية من بعض العناصر ، فى ان يضمنوا دراسة حياة المسلمين فى الاتحاد السوفيتي بلا تحيز ايا كـان نوعه .

وبالاضافة لذلك وبالرغم من التأكيدات التي اعطتها السفارة السوفيتية فى كراتشي بخصوص حرية التجول من قبل اعضاء الوفد فى الاتحاد السوفيتي ، نرى ان الطلبات المتكررة التي قدمها اعضاء هذا الوفد للسماح لهم بزيارة الاماكن التي يعتبرونها ذات اهمية لم تلاق الموافقة ، وان الوفد قد اعطي مقدما برنامج الزيارة والسفر ولم يسمح له بتغيير هذا البرنامج .

قضى اعضاء الوفد احد عشر يوما فى زيارة مدن طشقند وسمرقند وستالين أباد من مجموع مـدة زيارتهم للاتحاد السوفيتي البالغة ٢٢ يوما ، وقـد نظم لهم زيارة موسكو ولينغراد فى المـدة الباقيـة . ولم يسمح للوفـد زيارة مدينـة بخارى التي هي ذات اهمية خاصة لهم لكونهـا المركز التاريخي للمدنيـة الاسلامية ولكونها مركز المقاومـة الفعالـة للغزو الشيوعي لتركستان .

ورفضت السلطات ايضا السماح لاعضاء الوفد زيارة كـازاخستان وتركمينستان وكيركزستان واذربيجان والتتر وباشكيريا وداغستان وشبه جزيرة القرم . ولم يسمح للوفـد زيارة قبر الامام الحكيم الترمذى فى مدينة ترمذ ، هـذا الامام الذائع الصيت فى العـالم الاسلامى ، بالرغم من ان الوفد ابدى رغبته عـلى الفور فى زيارة هـذا القبر عندمـا هبطت طيارتهم فى مطار ترمذ .

وذهب اعضاء الوفد فى زيارة منظمـة الى جوامع ومقابر وكـانت جميع هـذه الجوامع قديمة حيث جرى ترميمهـا حديثا او انه اعيد بناؤها ، وقد شاهدوا جامعا جديدا واحدا فى طاجيكستان . وكـانت حالة بعض هذه الجوامع رديئة للغاية ولم يجرؤا اعضاء الوفد الدخول اليها ، بينما وجدوا بعضها ، كتلك الواقعة فى قرية خورتابنج بالقرب من مدينة سمرقند ، وقرية الخوجا يعقوب — التي هي حاليا فى مزرعة لينين الجماعيـة ، وجدوها لا تزال تستعمل كمستودعات ، واضطر اعضاء الوفد ونائب المفتي ضياء الدين باباخانوف ، الذي اصطحبهم فى هذه الزيارة ، الى تأدية فريضة الصلاة فى هاتين القريتين فى الخلاء .

ولقد لفت انتباه اعضاء الوفد الاهمال الذى وصل اليه مقامات وقبور ائمة المسلمين المشهورين (مثلا مقام امام بخارى بالقرب من سمرقند اى قبر الخوجا يعقوب وريث الخوجا بهاء الدين النقشبندى) .

واستمع الوفد من موظف سوفيتي مسؤول ، سمح لهم بمقابلته فى الثاني عشر من تموز (يوليو) عام ١٩٥٧ ، انـه ''لم يبق فى الاتحاد السوفيتي سوى مائة جامع فقط'' (٧٩) .

---

(٧٨) نقل هذا الحديث عن النسخة التي ارسلتها وكـالة البرقيات كما اذاعتها محطة اذاعة كراشي (الباكستان) بتاريخ ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٧ .

(٧٩) هـذا الحديث يناقض مـا جاء فى الصفحة ٧ فى هذا المقال عن عدد الجوامع فى الاتحاد السوفيتي فى عام ١٩٤٢ .

وزار الوفد اثناء اقامته فى الاتحاد السوفيتي تسعة عشر جامعا منها عشرة جوامع فى مدينة طشقند واربعة فى سمرقند وثلاثـة فى ستالين أباد. اما فى موسكو التي يوجد بها حاليا ٤٠٠٠٠ مواطن مسلم فانه يوجد فيها جامع واحد فقط من مجموع الاربعة التي كـانت فيها سابقا، ويفتح هـذا الجامع ابوابه للمصلين فى ايام الجمع فقط. ويوجد ايضا فى ليننغراد، التي يقطنها ٣٠٠٠٠ مواطن مسلم جامع واحد ايضا، والامر الغريب ان اعضاء الوفـد الباكستاني لم يشاهدوا شابا واحدا بين المصلين فى هذه الجوامع.

ووجد اعضاء الوفد ان المدارس المشهورة مثل بيبـي خوام وتللاكار وشيردار وكذلك مدرسة اولاق بك فى سمرقند هي فى حالة شبه مهدمة تقريبا. اما الثلاثمائة والثمانون مدرسة فى بخارى، التي كان يؤمها ٤٠٠٠٠ طالب فى السابق، فقـد هدمت جميعا واصبح طلابها فريسة للاضطهاد المضاد للدين الاسلامى. وقد جرى ايضا هدم المدارس فى انديزان وكوكند وخودزنت ومارجيلان ونامانجان وغيرها من المدن. واطلع ايضا اعضاء الوفد على اعمال هـدم الجوامع من المعلومات التي استقوها من السكـان المحليين، وكذلك مصادرة الكتب الدينية واتلافها بالجملة والوضع الحقيقي المتعلق بحج المسلمين الى مكة.

وعجب اعضاء الوفد لعدم السماح لاى احتفالات عامة او ذبح الضحايا المعتاد بمناسبة عيد الاضحى المبارك.

وعبّر اعضاء الوفد الباكستاني عن رأيهم فى الوضع السائد فى البلاد الى وزير معارف ازبيكستان قادروف والى ناظر شاه دادخوداييف، رئيس وزراء طاجيكستان والى مرزا محمود رئيس وزراء ازبيكستان. وطلبوا منهم فتح ابواب المدارس الدينية لتدريس الاطفال وتكلموا عن عيـد الاضحى المبارك وضرورة السماح بالاحتفال بطقوسه كما كـانت العادة القومية فى البلاد فى السنين السابقة، غير ان هؤلاء الرؤساء والاسياد الشيوعيين لزموا موقف الالحاد الذى يتصف به الحزب الشيوعي ورفضوا السماح او قبول مطاليب اعضاء الوفد او اسئلتهم.

والنتيجة التي وصل اليها علماء الباكستان، بعد ان ذكروا كل ما شاهدوه فى الاتحاد السوفيتي، هي ان الحرية الدينية فى البلاد قد تلاشت ولم يبق لها اى اثر بعد اربعين عاما من الحكم الشيوعي.

وقد شعر اعضاء الوفد بان مديرية الشؤون الدينية التي مركزها طشقند انما هي مؤسسة حكومية تعمل بواسطتها الحكومة على السيطرة على الاعمال الدينية للمسلمين التركستانيين، وقال الوفد فى بيانه انه تبين لهم من الوجهة الدينية ان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي يعيشون "وكـأنهم فى السجون" (٨٠).

ورغب مؤتمر الادباء المسلمين الاندنوسي، الذى عقد بالمبانج من الثامن حتى الثاني عشر من تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٧، تحذير العـالم الحر من الاخطار الكامنة له فيما اذا سمح لنفسه بان يخدع، ولهـذا اتخذ هـذا المؤتمر قرارا احتج فيه على الاستعمار الشيوعي لتركستان وجاء فى هذا القرار الفقرات التالية:

اولا: نشارك أسى جميع المسلمين فى تركستان ونعطف عليهم من صميم قلوبنا فى كفاحهم هذا.

ثانيا: نلح على جميع الاحزاب الاسلامية فى اندونيسيا وعـلى جميع الحكومات الاسلامية ان تساعد بقـوة كفاح الشعوب التركستانية من اجل الحصول على استقلالها.

---

(٨٠) نشرت صيغة كـاملة لبيان راغب احسان فى المجلة التركستانية "ترجماني افكـار"، كراتشي، ١٩٥٧، تحت عنوان "آراء حول زيارة الى تركستان".

ثالثا : نلتمس من جميع اعضاء المؤتمر الافريق — الاسيوى ان يدرسوا بتمعن تام المذكرة المرفوعة الى المؤتمر من قبل الوفد التركستاني .

رابعا: اننا نشجب بشدة ونحتج على الاستعمار السوفيتي والصيني فى تركستان .

خامسا: نتوسل من هيئة الامم المتحدة درس مسألة ابادة الاف الارواح وصراخ الملايين من الشعوب الذين يعيشون تحت نير الاستعمار الشيوعي(٨١) .

وختاما نرى ان الحقائق التي وقفت عليها مؤخرا الوفود الاجنبية التي زارت الاتحاد السوفيتي قد ايّدت آراء الخبراء القائلة بعدم وجود حرية العبادة فى الاتحاد السوفيتي .

الدعاية المضادة للدين

لا هم للحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية بالنسبة للدين الا استعماله فى الحالات الضرورية المناسبة ، فهما من حيث الجوهر يرغبان فى القضاء على الدين كليا ، وهذا المبدأ لم يغيرا فيه ولم ينكراه ، لانه يدخل فى برنامج الحزب الشيوعي الذى يرمي الى محاربة ''جميع الخدع الدينية'' كما قال عنه لينين .

وبدأت الدكتاتورية الشيوعية فى عام ١٩٤٦ فى التهجم على الدين ، اى فى تلك المدة التي بدا بها النصر الاكيد فى الحرب التي كانت اثناءها تستخدم رجال الدين كقسم من ''الحركة الوطنية'' ، وكان فاتحة هذا نشر قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الخاص بالعقائد ، والذى طلب الكفاح بلا شفقة ضد ما يسمى ''بعقيدة الطبقة الوسطى ، وفقدان المبدأ والشعور السياسي''(٨٢) ، واعطيت منظمات الحزب ورابطة الشبيبة الشيوعية (كومسومول) مهمة شن الغارة على الدين ومقاومة كل اشارات تدل على قيام حركات داعية للاسلام او التركية فى الادب او الفن .

وتم فى عام ١٩٤٧ تأسيس ''جمعية لتنمية المعارف السياسية والعلمية'' وكان القصد منها بعث حياة جديدة للدعاية للالحاد ، وقد افتتحت لها فروعا فى جميع المقاطعات والمناطق التابعة للجمهوريات التركستانية ، وعينت لها محاضرين برواتب ، بعضهم دائميون والآخر موقتون .

وقد جرى استعمال جميع الوسائل ، خطيا وشفويا ، للتأثير على عامة الشعوب — بما فيها الراديو والسينما — والقيام بدعايات مناوئة للدين ، وتمركزت هذه الدعايات حول ''البرهان'' القائل بوجود تناقض بين الآراء الدينية والمعلومات العلمية وعدم تناسبها ، ووصف المتدينون بأنهم ''متأخرون'' ''وغير مثقفين'' .

وافتتح فى طشقند فى عام ١٩٤٩ متحف جديد للدعاية ضد الدين . وكان بين الواحد والعشرين الف محاضرة التي القيت فى كيرغيستان فى ذلك العام اربعة الآف كان فحواها مباحث مناوئة للدين(٨٣) . واقيم فى ازبيكستان

---

(٨١) نشر النص الكامل للقرار هذا فى تقرير عنوانه ''حركة التحرر التركستانية'' جاكرته ، تاريخ ١٩٥٧/٢/١١ .

(٨٢) راجع ن. ا. سميرنوف ''مقالات عن تاريخ الدراسات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي'' ، الصفحة ٢٤٨ وما يليها ، طبع موسكو عام ١٩٥٤ .

(٨٣) جريدة ''سوفيتسكايا كيركيزيا'' تاريخ ١٩٥٠/٢/٢٥ ، فرونز .

عشرة آلاف اجتماع القيت فيها خطابات مناوئة للدين ، غير انها اثبتت بانها لم تكن كافية كما يستدل على ذلك من احتجاجات الصحف المحلية التي قالت : ''ان سواد الشعب لا يزال يمارس علنا شعائر دينهم''(٨٤) . اما فى تركمنستان التي التي فيها الف وثلاثمائة خطاب فى برهة ثمانية اشهر فى عام ١٩٥٤ ، كان فحوى سبعماية منها المواضيع المناوئة للدين الاسلامى.

وفى آب (اغسطس) من عام ١٩٥٤ قرأ دورديفا ، سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التركماني ، تقريرا فى اجتماعها العام الثالث عنوانه : ''عمل المنظمات الادبية والثقافية الريفية التابعة للجمهورية والوسائل المقترحة للتحسين عليها'' اشار فيه الى ضرورة القيام بالمزيد من الدعاية للالحاد شفويا وخطيا بين السكان. واضاف دورديفا هذا قائلا : ''وانه لمن الضرورة بمكان ان تقوم جميع منظمات الحزب ونقابات العمال بمحاربة الخرافات الدينية ، وعليها ابراز المعنى الرجعي والمضاد للدين لجميع الاعتقادات الدينية ، بلا استثناء(٨٥) .

وطلب دورديفا من مؤتمر الكتاب التركمانيين ''الكفاح ضد اعادة الاعتقادات الدينية وضد الخرافات'' وانتقد مجلة ''طوقق'' لانها ''لم تستعمل قلمها للتهجم على رجال الدين المتجولين الذين هم حفظة العادات الواردة من الشرق''(٨٦).

نشرت جريدة ''تركمنسكايا اسكرا'' فى الخامس من ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٤ مقالا افتتاحيا بعنوان ''ضرورة تنمية الدعاية للالحاد العلمي'' جاء فيها الكلمات التالية : ''ان التحزبات والانحرافات الدينية هي من الامور التي تقضي وقتا طويلا فى دور نزاعها وهي التي تكون خطرا كبيرا فى حال بقائها فى الوجود ، اذ هي تحط من مركز الانسان وتحوله الى كسيح معنوى ، والتحزبات الدينية هي التي تسمم عقول بعض الافراد من شعبنا.... وتعيقهم عن لعب دورفعال ومفيد فى بناء الشيوعية. فاهمال الدعاية المناوئة للدين قد ادت الى الحقيقة المدهشة وهي وجود عدد كبير من السكان فى جمهورينا الذين يقومون بالاحتفالات الدينية بانتظام. والاحتفالات بالاعياد الرسمية هذه يصطحبها غالبا ذبح الضحايا وجمع المال (كالفطر) الذى يسبب الضرر الكبير للاقتصاد الوطني والى صحة العمال عامة ، وانها تلهى الشعب عن القيام بعمله ، كما وانها مضعفة لنظام العمل.

''وانه لمن واجب الشيوعيين ، وواجب كل فرد سوفيتي يريد المصلحة العامة ، ان يشن حربا عقائدية ضد الدين وان يساعد على مقاومة التحزبات الدينية بين العناصر المتاخرة من السكان . . . هذا ومهما كانت دعاية الالحاد العلمي هذه ، غير انه ينقصها احيانا الروح الوثابة التهجمية وانها غريبة عن الحياة الطبيعية.

''واللجنة المركزية للحزب تطلب من منظمات الحزب ان تاخذ على عاتقها مسؤولية اكثر فعالية لنشر الدعاية للالحاد العلمي وان لا تهتم بالنظم والرسميات ، وان تظهر انفسها بأحسن ما عندها من المظهر بانها عدو عنيد للتحزبات والخرافات الدينية''.

---

(٨٤) جريدة ''كيزيل ازبيكستان'' تاريخ ١٩٥٢/٣/١٨ ، طشقند.
(٨٥) جريدة ''تركمنسكايا اسكرا'' تاريخ ١٩٥٤/٤/٢٤ ، عشقاباد.
(٨٦) (أ) المصدر الاخير (السابق) تاريخ ١٩٥٤/٨/٣١.
(ب) مقال ل. كليموفتش ''الاسلام ومعانيه الرجعية'' فى ''كيزيل اوزبيكستان'' تاريخ ١٩٥٢/٤/٤، طشقند.
(ج) ل. كليموفتش فى ''تركمنسكايا اسكرا'' تاريخ ١٩٤٤/١٠/١٤ ، عشقاباد.
(د) ل. كليموفتش فى ''كوميونست طاجيكستانا'' تاريخ ١٩٥١/٤/٢٩ ، ستالين آباد.

واستمرت هذه الجريدة مقترحة على جميع اعضاء الحزب، ووزارة الثقافة وجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية التابعة للجمهورية انه عليهم من اجل رفع مستوى الدعاية الالحادية : ”. . . ان يستعملوا جميع الوسائل وضروب الاعمال العقائدية بين عامة الشعب — كالقاء المحاضرات والتقارير والمحادثات والصحافة والاذاعة والسينما والآداب والفن“.

ويوجد فى العدد نفسه من هذه الجريدة قصة صغيرة كتبها الشيوعي الشيكي جولياس فوسيك بعنوان ”الجراد والديانة“، وهذه القصة كتبها فى عام ١٩٣٠ واحتوت على استهزاء برجال الدين التركمانيين.

نشرت جريدة ”تركمنسكايا اسكرا“ فى عددها الصادر فى العاشر من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٤ مقالا بمناسبة عيد الفطر المبارك تحت عنوان ”المبحث العادى للدين فى الشعر التركماني“ جاء فيه: ”ان افضل ممثلي الشرق — مثل الشعراء والفلاسفة — قد شنوا هجوما شديدا على غموض وتعصب الدين الاسلامي، وثاروا على تعاليم القرآن، ورفضوا السلاسل الثقيلة التي فرضتها عليهم الشريعة.

واستشهد هذا المقال بالقصيدة المناوئة للدين التي نظمها الشاعر التركماني مولا مورنا التي بها ذم عيد الفطر لدى المسلمين حيث قال :

”فى السنين السالفة ، فى السنين القديمة السيئة
كان رمضان لأئمة الملا خير جواد
والآن ترى الفلاحين قد عرفوا معناه الحقيقي
لأن رمضان كان خبز الماكرين
ليدعو الملا فيه الرجال للصلاة
ويجمعوا منهم المال باسم الاله
ولهؤلاء الرجال الذين نهبوا الشعب
كان رمضان كالمتبلات لطعامهم
ومثل هذه البضاعة ليس مرغوب فيها الآن
لذا تفتت شملهم واصبح رمضان العظيم
المعصم الاخير لأئمة الدين والاغنياء“.

وهنالك شعر اخر للشاعر شالي كيكيلوف الذى تهجم فيه على عيد الفطر — عيد الضحيات — والذى جاء فيه :

لا لبعض سنين ، بل ولأجيال بعيدة
كان هذا العيد حمل ثقيل على اكتافنا
ولا يمكن يا اخواني ان اصبر عليه
فاصغ لي يا عيد الاضحى :
علم الأغنياء والملا انه عليهم
ان يخدروا الفقراء
وان يتحدوا لكي ينتفوهم
كنتف الدجاجة المجهزة للشيّ

فـا هـو إذاً فـائـدة الـعـيـد؟
ونـبـغـاه كـابـتـغـائـنـا لـلـطـاعـون
فانصرف وابتعد عنا يا عيد الأضحى" (٨٧)

وقـد اذيع البيان التالي من عشقاباد فى اذاعة استمرت نصف ساعة حيث تداولت موضوع "الاسلام والدور الرجعي الذى يلعبه" جاء فيه: حدث اثناء الثورة الاشتراكية والحرب الاهلية ان تآمر الملا وائمة الدين ومدرسي الدين الاسلامى بالاشتراك مع العناصر المعادية للثورة والعناصر المتربصة بالحكومة السوفيتية وبمساعدة المتدخلين بالامور التي لا دخل لهم فيها، حين شنوا الحرب على الجيش الاحمر باسم محمد وتعاليمه(٨٨).

ورجال الدين الرجعيون هم اعداء العقائد الداعية للاخوة بين شعوب الاتحاد السوفيتي، هذه الاخوة والصداقة التي هي حجر زاوية الوطن المتعدد القوميات، والعهد الذى يضمن نجاح الشعوب السوفيتية.

"... ورجال الدين الذين يقومون بالدعاية من اجل الاسلام الذى يحتوى على مبادىء دينية وسياسية... يجربون ان يفصلوا تركمانستان السوفيتية عن الاتحاد السوفيتي اجمع وخاصة ابعادها عن الشعب الروسي العظيم الذى هو الاخ الاكبر للشعب التركماني..."

"... والميول التي تدعو الى الدعوة للاسلام والتركية والعربية وغيرها من الحركات الرجعية قد ساعدت المعتدين (الهتلريين) اثناء الحرب الوطنية الكبرى. وبعد قهر الفاشستية الالمانية والاستعمار الياباني قامت جميعا فى خدمة رؤساء جدد — هم المستعمرون البريطانيون والاميركان... ونرى حاليا ان المحتكرين فى الولايات المتحدة هم الآن جادون فى تشكيل احلاف عسكرية عدوانية فى البلدان الاسلامية فى آسيا تحت زعامة تركيا والباكستان. وهذا الحلف العدواني هو بالطبع موجه ضد الاتحاد السوفيتي...

"... ومن اجل حفظ نواة الشعور الديني فى عقول العناصر المتأخرة بين السكان، نرى ان رجال الدين الاسلامى يتوسلون اليهم بالمحافظة على العادات المتعلقة بدفن الموتى، وزيارة القبور وذبح الضحايا عن ارواح الموتى، ودعوة المسلمين للصلاة.

وكان من يتبع هذه التعاليم التي يدعو اليها الدين الاسلامى انما هم شعب متأخر، والقيام بهذه الطقوس يأتي بالضرر الفاحش على الاعمال اليومية لفلاحي المزارع الجماعية ومصالح المزارع الجماعية اجمالا... فالائمة والمؤذنون وغيرهم من رجال الدين يجربون بشتى الوسائل تحميس الشعب ودعوته الى ضرورة المحافظة على شعائر عيد الفطر وغيره من الاعياد الدينية، وقد يحدث ايضا ان يقع بعض المثقفين التركمانيين فريسة لهذه المحاولات، اذ هم لا يمكنهم التمييز بين اعادة الحياة الماضية وبين العادات الوطنية للشعب التركماني، فعادات الشعب التركماني الوطنية ليس لها اى صلة باعادة العادات الدينية التي كانت سائدة فى الماضي" (٨٩).

وقد نشرت الصحف واذاعت محطات الاذاعة فى غيرها من الجمهوريات التركمانية مقالات واحاديث تحتوى على مثل هذه الاقوال.

---

(٨٧) جريدة "تركمنسكايا اسكرا"، تاريخ ١٩٥٤/٩/١٠، عشقاباد.
(٨٨) قارن "ملاحظات عن ائمة الدين التركمانيين" فى "تركمينوفيدني" (التركمانية) العدد ٣/٤ (٧/٨) عام ١٩٢٨، الصفحة ١٧، عشقاباد.
(٨٩) اذاعة محطة مدينة عشقاباد بتاريخ ١٩٥٤/٨/١٢ والمجموعة من قبل المؤلف.

ويجب ان لا يتصور الفرد ان مثل هـذه الدعايات الشيوعية الـتي تتهجم على الاسلام عامّة وعلى القيام بطقوسه هي تابعة للعهد الماضي (١٩٥٤) ، ويجب ان لا يخامر نفس الافراد اى وهم حول الحرية الحقيقية للدين فى الاتحاد السوفيتي ، فالحملات عليها هي تماما ما كـانت عليه فى السابق . ومثال نموذجي لذلك هو المقال الذى نشرته جريدة ''تركمنسكـايا اسكرا'' بتاريخ السادس الى العاشر من نيسان (ابريل) عام ١٩٥٧ ، الخاص بالتمسك بواجبات الصوم.

ويدل القرار الذى اتخذتـه اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بتاريخ العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ انـه لا يمكن اهمال الدعايـة المضادة للدين . وبينما اعترف هـذا القرار ، ونظر نظرة غير مستحسنة للحوادث الخاصة ''بالتدخل الادارى'' باعمال الجمعيـات والجماعات الدينية ''والسلوك الفظ نحو رجال الدين'' ، نرى انـه اكد بصفة خاصة على ''ان الدعاية العلمية الالحادية تشكل جزءا رئيسيا فى نمو الشيوعية ، ويجب ان لا يجرى اى تهاون بها''(٩٠) ، ويتوقع اذا فى حالات ''العمل نحو الشيوعية'' ان تتسع ''وتتحسن'' الدعاية ضد الدين . وهذا ما حدث فعلا كما برهنت عليـه المقالات المناوئة للدين التي نشرتها الصحف التي صدرت بعـد اتخاذ هذا القرار من قبـل اللجنـة المركزيـة ، فنشرت الصحف السوفيتية مثلا فى عام ١٩٥٥ قصيدة للشاعر الازبكي جعفر جوليام الـتي نظمها بناء على امر صدر اليه من قبل الحزب قال فيهـا :

عليـكم عـدم التمسـك بفـرائض الصـوم
لأن محمد بقي جوعان فى الصحراء العربيـة
وما هو دين محمد للشعب الازبكي المتقـدم
الشبعان والمترعرع . (ترجمت عن اللغة الازبكية)(٩١)

وطبع ايضا فى طشقند فى عام ١٩٥٥ مجموعة مقالات مناوئة للدين لمؤلفين ازبكيين بلغ مجموع صفحاتها ٢٠١ صفحـة ، تحت عنوان ''خرافاتدن معرفتكه'' (من الخرافات الى المعرفة) ، ورددت المجلـة الادبية ''شرق يلدزى'' فى استعراضها لهذه المجموعة مثل ماركس المشهور القائل ''ان الدين هو مخدر (افيون) للشعب'' وادعت ان كتاب الادب الازبكيين الذين عاشوا فى المدة الواقعة بين القرن السابع عشر الى التاسع عشر قاموا بدورهم بالتهجم على الدين(٩٢).

قالت جريدة ''كيزيل اوزبيكستان'' الصادرة فى ٢٢ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٦ انه اثناء السنوات القليلة الاخيرة ، جرى نشر عشرين الف كتاب وكرّاسه مناوئة للدين فى اوزبيكستان وحدها ، وان اكثرها كانت مترجمة عن الروسية ، وقالت الجريدة ان من رأيها هذا ليس بكـاف ، وانه يجب طبع المزيد من مثل هذه المطبوعات .

امـا كتاب ن. كولييف الذى عنوانـه ''الحرب ضد التحزبات الدينية فى عقول الرجال فى تركستان السوفيتية'' فانه يعطينا مثالا آخر للدعايـة التي اطلق عنانهـا. ومـا هو جدير بالذكر ان هـذا الـكتاب الذى طبع بعـد القرار الذى اتخذته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، المشار اليه سابقا ، نراه مملوّا بالتحقير لرجال الدين والسخرية بهم(٩٣) .

---

(٩٠) انظر نص القرار الذى اتخذته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي تحت عنوان ''عن الاخطاء التي اقترفت اثناء القيام بالدعاية العلمية الالحادية بين السكـان'' ، فى ''برافدا'' و ''ازفستيا'' بتاريخ ١٩٥٤/١١/١١ .

(٩١) كما نشرتها مجلة ''شرق يلدزى'' (نجمة الشرق) العدد ٧ ، ١٩٥٨ ، الصفحة ١٠٦ ، طشقند .

(٩٢) نفس المرجع السابق ، العدد ٣ ، عام ١٩٥٦ ، الصفحات ١١٩ الى ١٢٢ .

(٩٣) اكبراديف فى المقال ''الماركسية واللينينية فى الدين بجريدة ''كوميونست تركمينستانا'' العدد ٥ ، عام ١٩٥٥ ، الصفحات ١٠ الى ٢١ ، عشقاباد.

وقد نشر فى الصحف الازبكية فى اوائل عام ١٩٥٧ مقالات تدعوا معلمي المدارس الازبكية الى السعي لتكييف كل موضوع نحو الدعاية الالحادية وان يستعملوا هذا ''ليفسروا لطلابهم اكاذيب الاراء الاسلامية''(٩٤) .

كتبت مجلة ''كوميونست تركمينستانا'' التي تنطق باسم اللجنة المركزية للحزب التركستاني الشيوعي تنتقد جريدة ''كومسومولتس تركمينستانا'' قائلة انها '' سهت ان تتكلم عن التعليم الالحادى العلمي للجيل الجديد ، ومن اجل ذلك وقع مرارا طلاب معهد التعليم فى خرزون وايضا طلاب المدارس فى نبيت داغ تحت نفوذ المؤمنين وذهبوا الى بيوت العبادة لتأدية الفرائض الدينية''(٩٥) .

احتوى تقرير بابابيف على انتقاد مر ''لجمعية تنمية المعارف السياسية والعلمية'' لأنها خفضت ''عدد المحاضرات فى المواضيع العلمية والالحادية'' ، وكان بابابيف هذا هو السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب التركماني الشيوعي ، وقد رفع تقريره هذا الى اللجنة المركزية الكاملة فى شباط (فبراير) عام ١٩٥٧ ، وقال فيه : ''على الدعاية المضادة للدين ان تبقى دوما الشغل الشاغل لجميع منظمات الحزب . . . لأن اعادة الحياة للتحزبات الدينية بين العمال فى الجمهورية لا تزال قوية وان رجال الدين يستغلون كل فرصة يظهر بها اى تهاون فى المجهود لنشر افيون (مخدر) الدين . . . . وحقا ان المستوى الواطيء الذى وصلت اليه الدعاية المناوئة للدين ، وجميع عملنا العقائدى بين شباب بلدنا ، لهما الظاهرة التي تفسر الحقيقة الواقعية وهي رحيل بعض الشبان الذين تعلموا فى مدارسنا السوفيتية الى الدراسة فى الكليات الاسلامية''(٩٦) .

ويحدث ان تأتي الدعاية الالحادية فى بعض الحالات بنتائج مضادة لما كان يتوقع منها ، اذ انها تقوى لدى المستمعين الاهتمام بامور الدين كما وانها تقوى ايمانهم وهذا ما قاله ش. شامراييف ، المحاضر فى الدعاية الالحادية ، فى جريدة ''تركمنسكايا اسكارا'' الصادرة فى عشقاباد بتاريخ السابع من شباط (فبراير) عام ١٩٥٨.

وابتدأ فى اواسط عام ١٩٥٧ الهجوم القوى مجددا فى جميع جمهوريات تركستان بناء على طلب الحزب ، ونشر مقال تحت عنوان ''الدعاية العلمية الالحادية'' فى الجريدة الرسمية للجنة المركزية للحزب الشيوعي بارتينايا زيزن''(٩٧) .

وردد المقال الرئيسى فى جريدة ''سوفيت تركمنستانا'' بتاريخ ١٩٥٧/٦/١٦ الطلب الداعي الى ''شن حملة دعاية واسعة وعنيفة للالحاد العلمي'' ، واشار المقال الى القرار الذى اتخذته اللجنة المركزية لكامل الحزب الشيوعي التركماني فى شباط (فبراير) عام ١٩٥٧ الذى طلب تقوية الدعاية ضد الدين ، مبدية ملاحظتها على ان هذه الدعاية قد خفف من حدتها ، هذا الامر الذى استفاد منه ''رجال الدين لأجل انعاش نشاطهم الديني''. كما وان الجريدة ''كازاخستانسكايا برافدا'' تبعت هذا بمقال رئيسي تحت عنوان ''على الدعاية المضادة للدين ان تُبدى روحا محاربة'' احتجت به على ''النشاط القوى الواسع فى اعمال رجال الدين وزيادة تأثيرهم بين السكان'' قائلة : ''انها لحقيقة ثابتة ان المؤمنين بالدين يدخل بين تعدادهم الكثير من النشيء الجديد وطلاب المدارس والجامعات ، وحتى بين اعضاء

---

(٩٤) راجع مثلا المقال تحت عنوان ''اهمية التدريس العلمي الالحادى فى دروس الجغرافيا'' المنشورة فى جريدة اوكيتوفسيلار جازيتاسى (جريدة المدرسين) تاريخ ١ آذار (مارس) ١٩٥٧ ، طشقند .

(٩٥) ''كوميونست تركمينستانا'' العدد ٦ عام ١٩٥٧ الصفحات ٧٢ الى ٧٧ عشقاباد .

(٩٦) راجع تقرير بابابيف ''العمل العقائدى وواجباته المنشور فى ''تركمنسكايا إسكرا'' بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢٧ عشقاباد .

(٩٧) ''بارتينايا زيزن'' العدد ١٢ ، حزيران ١٩٥٧ ، موسكو .

رابطة الشبيبة الشيوعية وبعض الرواد"(٩٨) واضافت قائلة : "ان عددا من الجماعات تشكلت فى هذه المناطق واخذت تفلح الاراضي البكر وغالبية هؤلاء العمال هم من الشباب ، وهذه الفئات تعمل بموجب برنامج مناوىء للشيوعية وانهم يجذبون الى عضويتهم الشباب والشابات(٩٩) . وذكرت الجريدة هنا قراءها بالقرار الذى اتخذه مؤخرا المجلس السابع التام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الكازاخستاني الذى حتم على لجان الحزب الكائنة فى النواحي والمدن والمحافظات بان لا تقلل من اهمية الدعاية المضادة للدين ، وانه عليها ان تنمي اعمال الالحاد العلمي الواسعة بين السكان . . . وان يكون القصد من جميع عملنا المناوىء للدين فصل العمال ذوى الميول الدينية بالقوة عن المنظمات الدينية وتدريبهم فى الروح المادية(١٠٠) .

وجاء فى المقال الرئيسي فى جريدة "برافدا فوستوكا" التي صدرت بتاريخ ١٩٥٧/١٢/١٧ تحت عنوان "على الدعاية العلمية الالحادية ان تمتد جذورها" انه يجب شن حملة واسعة وشاملة ضد الحركات الدينية . كما والقي فى الاشهر السبع الاولى من عام ١٩٥٧ الف وخمسماية محاضرة مضادة للدين فى طشقند وحدها . واتخذ المؤتمر الرابع عشر للحزب الشيوعي التركماني فى كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٥٨ قرارا يدعو فيه الى الاكثار من الدعاية الالحادية فى البلاد(١٠١) .

لقد استشهدنا بالجزء القليل مما نشرته الصحف السوفيتية فيما يختص بتشجيع رسل الالحاد ، والحملة التي هي الآن فى اوجها لا تستهدف بطبيعة الحال حماية رجال الدين من الاضطهاد ، ثم انها تبدى بلا شك موقف الحزب والحكومة المعادى لاعادة النشاط الديني ، خلافا للاعتقاد الذى تحاول السلطات السوفيتية نشره بين البلدان الاجنبية الشرقية وبين ممثليها .

الخاتمة

يكشف سجلنا هذا ، للحوادث الواقعية المخفية وراء تمويه الدعاية حول الاعمال الدينية للمسلمين فى الاتحاد السوفيتي ، يكشف الستار عن حقيقة الموقف ويلقي نورا على الاحوال الشاذة التي تتعرض لها الديانة فى الاتحاد السوفيتي. فنرى من جهة واحدة "السياسة الدينية" ذات الوجهين للحزب والحكومة السوفيتية ، ومن جهة اخرى نشاهد صلابة الاعتقادات الدينية فى البلاد .

اولا : ان وجود سياسة سوفياتية ذات وجهين امر ليس مشكوك فيه ، فالكفاح العقائدى المرير الذى يتغير شكله اعتمادا على متطلبات السياسة الداخلية والخارجية ، له اتصال وثيق بالحاجة الى اتخاذ وجهة نظر متسامحة للمؤمنين بالدين .

---

(٩٨) "كازاخستانسكايا برافدا" تاريخ ١٩٥٧/٧/٢٧ ، الما آته .
(٩٩) المصدر السابق نفسه .
(١٠٠) نفس المصدر السابق .
(١٠١) "تركمنسكايا اسكرا" تاريخ ١٩٥٨/٢/٢ عشقاباد .

اما الحكومة التي مبدأها الالحاد ، والتي تشعر بضعف مركزها داخل البلاد والتي يهمها وجهات نظر السياسة الخارجية ، وجدت نفسها مضطرة للكف عن اتخاذ الوسائل الادارية لمحو العقائد الدينية ، هذا والنظام الشيوعي يجد نفسه فى الوقت الحاضر مضطرا لمراعاة وجود المؤمنين بالدين والسماح بالمظاهر الخاصة باحتفال المواطنين بشعائرهم الدينية معتبرا ذلك ''شرا موقتا'' ، غير ان الحكومة والحزب يعملان كل ما فى وسعهما للحد من انتشار الشعور الديني الطفيف بين عامة الشعب ، وذلك بواسطة الطريقة الشيوعية الخاصة بالتعليم وبواسطة منظمات الدعاية الحسنة التدبير ، ولا يمكن طبعا التنبوء بوجه التقريب الى متى سيستمر هذا الدور من التسامح النسبي للدين والمؤمنين به.

وقد تمكنت الحكومة السوفيتية حقا من جني بعض الفائدة من اتباع مثل هذه السياسة ، وهي تستعمل فى هذا الدور الدين وخدمته كعامل واداة سياسية لتنفيذ ''برنامج لينين النهائي'' وهو البرنامج الذى يرمى الى كسب عطف البلدان فى العالم الحر ثم السيطرة عليها . وهذا البرنامج نفسه لا تزال متمسكة به اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. فهي من اجل تنفيذ هذا البرنامج نفسه تنادى عاليا بشعار ''حرية الدين'' وتسعى دوما الى التودد للاجانب الذين يعطفون على مثل هذا الشعار، وهذه هي طبعا حيل الحزب الشيوعي فى هذه الايام .

وكان تقرير العلامة م.ب ميتين الطويل صريحا فى هذا الموضوع ، هذا التقرير الذى رفعه فى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الى مؤتمر كافة اعضاء الاتحاد عن وسائل الدعاية الالحادية قائلا : ''علينا ، عندما نظهر الصفة الغير علمية للدين الاسلامى ، ان نأخذ فى نفس الوقت علما بالدور الذى يلعبه هذا فى الوقت الحاضر عندما نرى الكثير من الحركات التقدمية تجرى تحت رايته (الكلمات المؤشر باسفلها مضافة من قبل المؤلف ومثال ذلك هو كفاح الشعوب العربية ، التي ترأسها مصر ، من اجل الحصول على استقلالها . . .) .

''وهنالك الكثير من الشعوب فى بلدان الشرق يندمج شعورهم الديني بشعورهم الوطني ، وعلينا فى الوقت ذاته ان لا يغيب عن نظرنا الحقيقة الواقعية وهي سعي المستعمرين لاستعمال الاسلام فى خدمة مصالحهم الخاصة''(١٠٢)

ويعتبر هذا القول احسن تفسير قدم لحركة التودد نحو الاسلام التي حدثت بالسنين الاخيرة ، ولا يستطيع الا المراقب الساذج ان يقول ان هذه الامتيازات الطفيفة والاستثناءات المعمولة لمنفعة المؤمنين بالدين يمكن ان تعتبر برهانا لحرية الدين فى الاتحاد السوفيتي .

ثانيا : انه لمن الواضح للعيان عدم امكانية نزع الاعتقادات الدينية من قلوب المؤمنين فى تركستان بالرغم من سنوات الارهاب ، والدليل عل ذلك هو تكرار دعوة الصحافة السوفيتية الى استعمال طرق دعائية علمية فعالة ودعاية الحادية مدعية ان ''الدين لا يمكن ان يموت من تلقاء نفسه'' (تقرير م. ميتين) ومشيرة بذلك الى عدة حوادث عن اقامة طقوس دينية من قبل النشيء الحديث والطلاب واعضاء حزب الشبيبة الشيوعي . واعربت الصحف ايضا عن استيائها من ان الشبان الذين ينهون دراستهم فى المدارس السوفيتية يتممون دراستهم بعد ذلك بالكليات الدينية.

وبالرغم من جميع المناورات الباهرة التي يقوم بها النظام الشيوعي يمكننا ان نصف هذه المسألة العقائدية فى سؤال واحد هو : ''من سيقهر الآخر ؟'' وهو السؤال الذى يواجه الاتحاد السوفيتي وجها لوجه . فهل سيكون النصر فى النهاية للمبدأ المادى السوفيتي الذى يفرضه التعليم الشيوعي بشتى الوسائل والذى يدعمه الارهاب المسلط

---

(١٠٢) مجلة ''فوبروسي فيلوسوفي'' العدد ٥ عام ١٩٥٧ الصفحة ٢٢٤ طبع موسكو.

على المنشقين عليـه ، او بالعكس هل سنرى نصر الرأى القائل بوجود الالـه الدائم ، هـذا الرأى الذى يرفع الانسان ويهذبه بروح الادب والعدل والحرية ؟ .

لقـد برهنت اعمال وافعال الدكتاتوريـة السوفيتية الشيوعيـة فى جميع موارد الحيـاة خلال الاربعين سنة الاخيرة — فى مرافق الحقول الدينية والسياسية والوطنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية — برهنت على ان السياسة السوفيتية والنظام السوفيتي هما كلاهما مشبعان بالروح الاضطهاديـة وبروح الاستعمار ، وانه لا يوجد بينهما وبين الاسلام ، او مصالح الشعوب الاسلامية ، اى مصلحة مشتركة . فالمسلمون الذين يؤمنون بالله الاجل والذين يطلبون بشدة حرية حقيقية واستقلالا وطنيا وسياسيا لن يحالفوا اللا الاهيين والدكتاتورية الكلية التي يتصف بها الحزب الشيوعي ، على الرغم من سعيه المستمر فى اظهار نفسه كحام وزعيم للشعوب المضطهدة .

الإسلام في اذربيجان

بقلم: ميرزا بالا

الباب الأول

توغل الاسلام فى اذربيجان فى اواسط القرن السابع للميلاد ولعب منذ ذلك العهد ، بفضل عقائده ومبادئه العاليه فى العدل والاخلاق ، دورا هاما فى حياة وتاريخ سكـان اذربيجان .

فالاسلام كدين قـد اتى بتنظيم العلاقات الاجتماعية والقانونية ومسائل الملك والمسائل العائلية والعلاقات الشخصية والاخلاقية للمجتمع الاذربيجاني كـافـة ، وهو كنظام اجتماعي وثقافى ، قـد لعب دورا هاما فى الحيـاة اذ نرى ان كل مظاهر الحياة الثقافية والاعمال السياسية التي لها صلة متينة بالحياة القومية للشعب لم تكن لتتم الا كقسم من الاعمال الدينية التي تقع تحت مسؤولية الادارة الروحية الاسلامية، تلك الهيئة التي تتكون من رجال دين جرى انتخابهم بحرية.

ولما كـانت القوميات المختلفة التي تتكون منها روسيا الامبراطورية لا تتمتع بحق تشكيل مدارس لها يتم التدريس فيها بلغتهم الخاصة وجدنا ان المسلمين كـان لديهم المعاهد الدينية (كـالمكـاتب والمدارس التابعة للجوامع) والتي كـانت هي المعاهد الوحيدة التي يتلقى بها الشعب الاذربيجاني دراسته القومية ويعبر فيها عن قوميتهَ .

وكـان التجدديون الذين قدمـوا الـكثير لرفع المسـتوى الثقافى فى البـلاد ، والذين تخرجوا فى هـذه المدارس ، هم المتقدمون فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، وكـانوا فى تاريخ اذربيجان اول من نظّم التعليم العام فى المكـاتب بموجب المتطلبات الحديثة .

وكـان كـل من الادب القـومى والصحافـة والمسارح الشـعبية فى ذلك الوقت منهمـك فى الحديث عن الحركـة "التجديدية" وعمل الدعاية لها وكـان اتباعها يؤمنون بالاسلام بينما كـانوا فى الوقت ذاته ، ولاجل مصالح الاسلام والمجتمع الاذربيجاني ، يحاربون الغموض الروحاني والتعصب الديني الاعمى والخرافات .

وقـد ازعجت هـذه الحركة التجددية التقدميـة ممثلي الحكومة كما وانها ازعجت بعض أئمة الدين الاسلامى وبعض المسلمين الرجعيين ، وكـان يعاضد هؤلاء الاخيرين السلطات القيصرية ، اذ نرى انه فى عام ١٩٠٥ ، اتُخذ قرار فى مؤتمر عقد فى وزارة الداخلية الروسية حيث ترأسه ماكلاكوف ، أوصي فيه استعمال أئمة الدين المتأخرين لمحاربة هذه الحركة الاسلامية الحديثة بدلا من استعمال قوات الشرطة لهذا الغرض (١) .

---

(١) ل. كـليموفتش "الاسلام فى روسـيا القيصريـة" الصفحات ٢٢١ الى ٢٢٦ موسـكو ١٩٣٦ جريـدة "باكو" تاريخ ١٩١٣/٤/٢٤ .

م. ى. رسول زاده "الجمهورية الاذربيجانية" (باللغة التركية) الصفحات ٣٠ الى ٣٢ طبع اسطنبول عام ١٩٢٣ .

وجد الشيوعيون السوفيت فى اذربيجان تراثا ثقافيا واسعا خلفه التجدديون ، الذين لا زال آخر ممثليهم ينشرون المقالات فى مجلة "ملّا ناصر الدين" التي تأسست فى عام ١٩٠٦ ، من قبل الشخصية الادبية المعروفة جليل محمد كلي زاده .

ولاسباب اخرى ، وهي محاربة الدين الاسلامى وأئمته عامة ، نرى ان الشيوعيين قرروا الاستفادة من الحركة "التجددية" ومن رجالها والادب الذى انتجوه ، وكان جل قصدهم هو دفع جليل محمد كلي الى الاشتراك بالحزب، وكان جليل هذا فى ذلك الوقت يقطن تبريز عاصمة اذربيجان الايرانية حيث لجأت اليها جميع هيئة تحرير مجلة "ملا ناصر الدين" بعد احتلال السوفيت لبلاد اذربيجان السوفيتية (٢) .

وكانت اذربيجان فى هذا الوقت فى هياج قومى عام ضد الاحتلال الشيوعي ، هذا الهياج الذى لعب فيه الاسلام وأئمته دورا هاما ، ورئيسيا فى بعض الاماكن ، ولهذا رأى الزعماء الشيوعيون انه من المستحسن تغيير سياستهم نحو الاسلام رغبة منهم فى ايجاد حلفاء لهم من بين أئمة الدين الاسلامى .

الباب الثاني

اجبرت الاوضاع الجغرافية والسياسية وميول المسلمين الوطنية والدينية ، وخاصة فى تركستان والقفقاس (بما فيها اذربيجان) اجبرت السلطات الشيوعية للتضحية بالعقائد المناوئة للدين والاستعاضة عنها بالسياسة الواقعية عند اتخاذها اى قرار خاص بهذه المناطق .

تحاذى اذربيجان حدود ايران وتركيا وتقوم بينها وبينهما علاقات جنسية ووطنية ولغوية وثقافية ودينية وتاريخية وكانت ايران وتركيا اثناء احتلال البلاشفة للحكم معادين للحلفاء وروسيا القيصرية معا وهذا يعود الى ان ايران كان قد تم تقسيمها الى مناطق نفوذ بين روسيا وانجلتره وكانت جيوشهما بالواقع تحتل بعض اراضيها ، بينما كانت تركيا التي تحتل مركزا ادبيا كبيرا فى العالم الاسلامى بوصفها حامية الخلافة فى حرب مع روسيا وحلفائها .

وكان المسلمون فى روسيا اثناء الحرب العالمية الاولى يتتبعون الحوادث الجارية فى الجبهة الآسيوية بانتباه تام ونرى انه فى ايار (مايو) عام ١٩١٧ أثناء انعقاد مؤتمر موسكو لجميع المسلمين فى روسيا، الذى كان يرأسه اذربيجانيون والذى تم عقده للبحث فى دستور لروسيا الجديدة ، اتخذ قرار طلب فيه عقد صلح على الفور وعدم اضافة اراضي جديدة او فرض تعويضات ، ولكن الحكومة الموقتة لم تأبه لهذا الطلب فى ذلك الوقت (٣) .

قام زعماء السوفيت توا بعد الاستيلاء على الحكم فى تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧، وعند ادراكهم مدى فائدة التعاون مع مسلمي الشرق وضرورة كسب رضاء مسلمي روسيا ، قاموا باصدار ندائهم

---

(٢) ميرزا بالا "الصحافة الاذربيجانية التركية (باللغة التركية) ، طبع باكو عام ١٩٢٢ ، وظافر خودان "الملا ناصر الدين" طبع باكو عام ١٩٥٦ .

(٣) قرار المؤتمر الاسلامى لروسيا (أيار ١ — الى ١١ عام ١٩١٧) فى التقرير المختزل للمؤتمر الاسلامى الروسي (باللغة التركية) طبع موسى باكييف ، بتروغراد عام ١٩١٨ .

المشهور الموجه "الى جميع المسلمين العاملين فى روسيا وفى الشرق" حيث قالوا فيه لمسلمي روسيا : "الى مسلمي روسيا — تاتار الفولجا وشبه جزيرة القرم ، الى كراغزة وسراطية سيبيريا وتركستان الى اتراك وتتر ما وراء جبال القفقاس ، الى شراكسة وسكان مرتفعات القفقاس ـ الى جميع هؤلاء الذين تهدمت جوامعهم وبيوت عبادتهم وعبثت بعاداتهم وعقائدهم قياصرة روسيا .

"اعتبروا من الآن فصاعدا ان عاداتكم وايمانكم ، ومؤسساتكم الوطنية والثقافية هي حرة وغير قابلة للنقض . وعليكم تأسيس حياتكم الوطنية بحرية وبدون عائق مهما كان نوعه . . . ولكم الحق فى عمل مثل هذا . وعليكم ان تدركوا ان حقوقكم وحقوق جميع شعوب روسيا هي محمية من قبل جميع قوات الثورة واعضائها — (التوقيع) مجالس مبعوثي (سوفيت) العمال والجيش والفلاحين" (٤) .

وجاء فى النداء الموجه الى المسلمين العاملين فى الشرق على الشكل التالي : "الى مسلمي الشرق — الايرانيين والاتراك ، العرب والهنود ، والى جميع من استعملت رقابهم واملاكهم لمئات من السنين كسلع يتمتع بها تجار اوروبا الطامعون والسالبون ، والى جميع هؤلاء الشعوب التي يرغب مسببو الحرب اقتسام بلادهم فما بينهم .

"اننا نعلن للملأ ان الاتفاقيات التي وقّع عليها القيصر المخلوع عن عرشه والخاصة باحتلال اسطنبول والتي وافق عليها كرنسكي المخلوع قد جرى تمزيقها واتلافها . والجمهورية الروسية وحكومتها — مجلس مبعوثي الشعب — لا توافقان على اغتصاب اراضي البلدان الاجنبية ، ويجب ان تبقى اسطنبول فى ايدى المسلمين .

"واننا نعلن علنا ان الاتفاقية الخاصة بتقسيم ايران قد مزقت واتلفت وان جنودنا سوف تنسحب من ايران توا بعد انتهاء القتال وسوف تترك للايرانيين حق تقرير مستقبلهم السياسي" (٥) .

هذا وحق "تقرير مستقبلهم السياسي" ("تقرير المصير الذاتي بما فيه الانفصال") قد جرى الوعد به لجميع شعوب الامبراطورية الروسية السابقة . وجاء فى "اعلان حقوق شعوب روسيا" المؤرخ فى الخامس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ ، الذى وقع عليه لينين وستالين ما يلي :

"المساواة وحق السيادة لشعوب روسيا وتكوين دول مستقلة وازالة كل عائق سببه قومى او ديني ، وتطور حر للاقليات الوطنية والجماعات الجنسية الذين يقطنون اراضي روسيا" (٦) .

وبينما كان البلاشفة يتلفظون بهذه الوعود القاطعة لم يخفوا غاياتهم الحقيقية فترى مثلا ان جوابهم على قرار مؤتمر مسلمي روسيا الذى طلبوا فيه استقلالا ذاتيا للشعوب الاسلامية جاء على لسان عضو رسمي من بلاشفة باكو فى صيف عام ١٩١٧ قوله بانه سوف يحول اراضي اذربيجان الى كوم من الخراب .

وقد عمل البلاشفة تماما كما تكلموا في شهر آذار (مارس) عام ١٩١٨ ابادوا فى ظرف ثلاثة ايام ١٤٠٠٠ نفس اذربيجانية فى باكو وحدها ، بما فيهم النساء والاطفال والعجزة ، وحوّلوا المدينة الى كوم من الخراب . وكل

---

(٤) تأسيس الاتحاد السوفيتي ، مجموعة الوثائق ، الصفحات ٢١ الى ٢٢ نشر معهد العلوم السوفيتي ، موسكو عام ١٩٤٩ .

(٥) "مراسيم وقرارات حكومة العمال والفلاحين" الرقم ٦ عام ١٩١٧ — موسكو .

(٦) "قرار حقوق الشعوب" فى "دائرة المعارف السوفيتية الكبرى" عام ١٩٥٢ ، المجلد ١٣ صفحة ٦٠٣ .

هـذا لأن الاذربيجانيـين الـذين طالبـوا بحقـهم بالتعبـير عن رأيهم الحر، تجرأوا فى طلب حق تقرير المصير الـذاتي (٧) .

وقامت السلطات الشيوعيـة المحليـة فى ايام آذار (مارس) السوداء هـذه بهدم او حرق جميع المؤسسات التي مثلت بأى شكل من الاشكـال الثقافة الوطنية او الدينية وكـان ضمن هذه الجوامع الـكبيرة بما فيها جامع طازه بير الـكبير. وتعرضت كثير من مناطق شرقي اذربيجان التي رزحت تحت نير البلشفيك لمدة خمسة أشهر، لنفس المصير، حيث هدم ما ينوف عن عشرين جامعا فى باكو وضواحيها — فى مدينة شمخ المشهورة .

واستمرت المقاومـة المسلحة حتى ايلول (سبتمبر) عام ١٩١٨ ولم يتمكن الشيوعيون من اقامـة الحكم السوفيتي فى اذربيجان ، وخرجت القوات الاذربيجانية الوطنية الـتي دافعت عن مبادى الحرية والمساواة والعـدل والحقوق الوطنية والايمان بالله ، ظافرة من هذه المعركة .

هذا وبعد الحصول على النصر ضد البلاشفة وتأسيس حكومة ديموقراطية مستقلة فى اذربيجان ، نقل مركز الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس من تفلس الى باكو وبقي هذا المركز فى تلك المدينة حتى الآن . وكـان انشيء هذا المركز فى تفلس سابقا لأن تفلس كـانت مركزا للادارة ومقاما لمعتمـد القفقاس ، وحصل بعـد تقسيم القفقاس الى جمهوريات وطنية مختلفة ان فقدت تفلس اهميتها كمركز ادارى لجميع القفقاس .

وحصل بعـد نقل الادارة الدينية هـذه ان قضى على الحكم من قبل سلطتين مستقلتين فى ادارة الشؤون الدينية اذ رأينا انه اثناء الحكم القيصرى كـان يشرف عـلى المسلمين الشيعيين والسنيين (٨) مجلسان مستقلان بالرغم من الطلب الملح لهاتين الفئتين وقرارات المؤتمرات الاسلامية المختلفة الداعية الى تشكيل ادارة موحدة لهما (٩) . وحدث فى هـذه البرهة التي هي تحت البحث ان تم فعلا تشكيل ادارة دينية موحدة وسميت ''المشيخـة الاسلاميـة'' وكـان يرأسهـا بالتناوب شيخ الاسلام ، الذى هو رئيس الشيعيين ، والمفتي الذى هو رئيس السنيين .

وقد شمل هذا التغيير جميع الادارة الدينية ، اذ قد استبدل جميع ائمة الدين الذين كـانوا يتقاضون راتبا من الحكومة ، حيث كـانوا بالفعل موظفين حكوميين ، بأئمة منتخبين من بين العلماء . وقد جرى ايضا الغاء الاسماء المختلفة للفئات واستعيض عنها بكـلمة ''المسلمين'' لجميعهم .

هـذا وعلى الرغم من ان الدين كـان مفصولا عن الدولـة فان الديانات ، بمـا فيهـا الديانـة الاسلاميـة ، كـانت تتمتع بحمايـة قوانين الدولة وكـان تدريس الديانـة اجباريـا فى جميع المعاهد الدراسية ، وكـانت هنالك ادارة خاصة تابعة لجمهورية اذربيجان الديموقراطية للاشراف عـلى الامور الدينية .

---

(٧) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩١٧/٧/٢١ — باكو . مطاليب وفد السلم القوقازى الاذربيجاني ، المقدمة لمؤتمر السلم فى باريس فى عام ١٩١٩ الصفحات ١٨ و ١٩ .
م. ى. رسول زاده ''الجمهوريـة الاذربيجانية'' فى عدد خاص من مجلـة ''استقلال'' بمناسـبة ذكرى استقلال اذربيجان ، باكو، ايار (مايو) عام ١٩١٩ .
''من الماضي الـذى ليس ببعيد'' باكو، تاريخ ١٩١٩/٣/٣٠ فى مجلـة ''ازيرى ترك'' طبع اسـطنبول عام ١٩٢٨ ، الصفحات ٥ الى ٧ والصفحات ٩ و ١٠ .

(٨) كـانت نسبة احدهما الى الآخر فى اذربيجان السوفيتية كنسبة ٦ الى ٤ .

(٩) مجلة ''كورتولوش'' العدد ٢ — كـانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٣٥ ، برلين (راجع المقالات المنشورة بمناسبة ذكرى وفاة علي مروان بك طبجي باشيى) . ''تركيللي'' (النشرة السنويـة التركية) اسطنبول عام ١٩٢٨ . (راجع مقالات يوسف اكشور وم. ى. رسول زاده وظافر سعيد احمد وغيرهم) .

الباب الثالث

ولاق غزو جمهورية اذربيجان الديموقراطية من قبل الجيش الاحمر الحادى عشر فى شهر نيسان (ابريل) عام ١٩٢٠ مقاومة وطنية مستميتة واخذت هذه المقاومة شكل حرب منظمة واستمرت كثورة شعبية مسلحة لعدة سنين.

اعترف الشيوعيون رسميا انه اثناء السنين الاولى القليلة من احتلال اذربيجان حدث ٥٤ ثورة مسلحة حدت موسكو الى تأجيل تحويل جورجيا وارمينيا الى مناطق سوفيتية (١٠).

واضطر الشيوعيون بغية اخماد هذه الثورات ومنع تكرارها فى المستقبل الى الاشارة الى نفوذ تركيا التي كانت فى ذلك الحين منهمكة فى حرب مع قوات الحلفاء للدفاع عن استقلالها.

في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٠ عقد الكومنتيرن (المجلس الدولي للحزب الشيوعي) مؤتمرا لشعوب الشرق فى مدينة باكو وبحث هذا المؤتمر فى امر تحرير شعوب الشرق الاسلامية (التي كانت تئن تحت نير "المستعمرين الاوروبيين) بمساعدة الحكومة السوفيتية، هذا ولم يأت هذا المؤتمر او الخطابات التي القيت فيه من قبل انور باشا ولا النداءات التي اذاعها والوعود الخلابة للمستقبل بتهدئة الرأى العام الاذربيجاني او التأثير عليه بالمرة، هذا الشعب الذى كان شاهد عدوان السوفيت على بلاده واستعبادها من قبلهم. ولم يأت هذا المؤتمر بنتائج مرضية للسوفيت.

ولجأ الزعماء الشيوعيون بعد هذه التجربة الفاشلة الى "وسائل نهائية" كانوا يلجأون اليها فى المواقف السياسية الحرجة التي كانت تهددهم بالفشل فى الحقل الدولي. فنرى مثلا انهم بينما قاموا بالغاء الديانات بكاملها، وخاصة الديانة الاسلامية، حيث تعرض أئمتها الى وسائل التعذيب اكثر من غيرها من الديانات، عادوا وطلبوا المعونة من هؤلاء الأئمة، فاصدر هؤلاء نداء الى الاذربيجانيين طالبين منهم مساعدة الحكومة السوفيتية لتركيز اقدامها فى اذربيجان مدعين انه بهذا ستتمكن من تحرير امم الشرق الاسلامية، بما فيها تركيا، من المستعمرين الاوروبيين. وقد احتاج السوفيت الى برهة طويلة مشبعة بالارهاب الوحشي للحصول على هذه "الخدمة" من أئمة الدين الاسلامى.

وتلى على الفور احتلال اذربيجان مصادرة الاوقاف ولم يعد بامكان الادارة الدينية الانفاق على المعاهدة الدينية التي كانت تابعة لها فى الماضي، او توزيع الصدقات او دفع رواتب الموظفين، وبالاضافة الى هذا فقد أئمة الدين حقهم فى استعمال تعاليم الشريعة لحسم الخلافات العائلية والمدنية، وقد الغيت الشريعة بالمرة واغلقت المكاتب والمدارس وحظر على أئمة الدين تدريس اصول الدين للاطفال والشبان. وقد سحبت الحقوق المدنية من العلماء والشخصيات الدينية البارزة والمؤذنين والخطباء والمدرسين وغيرهم من رجال الدين. وحظر ايضا عقد الزواج بموجب اصول الشريعة. وتعذر ايضا زيارة أئمة الدين من تركيا وايران والعراق (مراكز الشيعة الروحية)، وحظر السفر الى الخارج من اجل القيام بدراسات دينية. اما ما يختص بالجوامع فانها الحقت بالمراكز البلدية، غير ان القانون الذى ينص بعدم القيام بأعمال دينية منظمة داخل هذه المراكز البلدية نتج عنه ان تركت هذه الجوامع بدون رعاية وخدمة مما اضطر السلطات

---

(١٠) "كوميونست" (جريدة تصدر باللغة التركية) العدد ٣٢ عام ١٩٢٥ باكو. (راجع تقرير م. دزه تحت عنوان "باجيروف فى مؤتمر باكو السادس عشر للحزب الاذربيجاني الشيوعي". ومقال ميرزا بالا تحت عنوان "الحركة الاذربيجانية الوطنية" الصفحات ٢١٣ و ٢١٧ الى ٢٢٠ طبع برلين عام ١٩٣٨.

المحلية الى اقفالها او هدمها ، واعتبر أئمة الدين بانهم طبقة ''غير عاملة'' وفرضت عليهم الضرائب الباهظة التي لا طاقة لهم على ادائها.

وخسران الحقوق هـذه من قبل أئمـة الدين حط من مكـانتهم فلم يتمكنوا من ابداء الاحتجاج على النداء الذى وقع عليه خمسة من الائمة فى عام ١٩٢٩ ، هذا النداء الذى احتوى على الفقرة التالية :

''تدين الامة التركية ، وربما الطائفة الاسلامية بكـاملهـا ، لوجودها هذا للمساعدة المعنويـة والمساعدة المسلحة الـتي اعطاها الاتحاد السوفيتي اذ لولاهما لهلك الاتراك. لهـذا يدين كـل مسلم يعيش فى أى زاوية من العـالم بفضل الحكومة السوفيتية وعليهم سداد هـذا الدين باعطاء النظام السوفيتي مساعدتهم التامـة وابداء المساعدة اللازمة لتقويتـه. وعلينا نحن الاذربيجانيين خاصة ، مهما كـانت ميولنـا الدينية والوطنية ، ان نساعد حكومتنا السوفيتية من اجل وطننا العزيز مهما بلغ الثمن المعنوى والمادى. وعلينا ايضا ان لا نخدع بالكـلمات المعسولـة التي يفوه بهـا اعداء الاسلام اللدودون وخاصة كـلمات انجلتره وفرنسا وايطاليـا. وعلينا ان نراقب اعمالهم وحركـاتهم وان لا نضعف تحصينـات بلدنا ولو لدقيقة واحدة'' (١١) .

واستمر النداء قائلا : ''. . . تمـد انجلتره المفترسة الآن ايديهـا للاستيلاء على ايران وتركيـا آملـة ان تبتلعهما ايضا ، ولولا قلب الحكومة القيصرية لجرى هذا بكل سهولة الآن غير ان اعلان النظام السوفيتي قد حول عنهما النتيجة السيئة التي خبأتها لهما القيصرية الروسية. . . فان تأسيس النظام السوفيتي قد نجى هاتين الدولتين'' (١٢) .

وتطرق النداء الى شعور مسلمي الاذربيجان الديني وتكـلم عن احتلال البريطانيين لمكة والمدينة والنجف وغيرهـا من البلدان المقدسة حيث وجدنا ان العـدو ''سوف لا يتوانى فى اراقـة الدمـاء الاسلامية بينما يقـوم بالاعمال الغير انسانية هذه'' .

ويذكر النـداء الطرق المختلفة التي اتبعها البريطانيون لاثارة حقد أئمـة الدين الاسلامى وطلب من المؤمنين ان لا يضعوا ثقتهم بالعدو . وقال ناشرو النداء : ''انـه منذ ظهور الجمهوريـة السوفيتية عـلى المسرح العـالمي ، وجدنا ان المعتدين قد فقـدوا كل امل كـان لهم فى البلدان الاسلاميـة وقاموا بكبح شهواتهم ، فمنذ ان نجت تركيا بمساعدة الاتحاد السوفيتي لم يبق هناك اى شك فى ان جميع البلدان الاسلامية سوف يجرى تخليصها من مخالب العدو'' (١٣).

واجبر أئمة الدين التركستانيون فى عام ١٩٢٤ الى التوقيع على نداء موجه ''الى جميع مسلمي الشرق'' جاء فيه ''انه خلافا لما يدعيه الاستعماريون الذين سعوا لمدة مائة سنة مضت للحد من تطور ثقافة وطنية قومية للشعوب الاسلامية، نجد ان الحكومة السوفيتية قد منحت المسلمين حريـة دينية ومنحتهم فرصة تأسيس دولـة وطنية . والحكومـة السوفيتية تجلب الحرية للشرق بينما يجلب لهم مستعمرو انجلتره الاستعباد. . .'' (١٤) .

وكلا هذين النداءين ليسا الا مثالا للخديعة والاكـاذيب التي يتلفظ بها الشيوعيون ، اذ نرى انه اثناء نشرها كـانت شعوب تركستان واذربيجان فى صراع مسلح للدفاع عن استقلالهم من الاستعمار السوفيتي . واتخذ المؤتمر الثـاني عشر

---

(١١) جريدة ''زاريا فوستوكـا'' تاريخ ١٩٢٣/٨/١٧ — تفلس .
(١٢) نفس المرجع السابق .
(١٣) نفس المرجع السابق .
(١٤) ''برافدا'' تاريخ ١٩٢٤/١٢/٢٨ .

للاتحاد السوفيتي (المنعقد فى عام ١٩٢٣) فى نفس الوقت الذى نشر فيه هذين النداءين ، قرارا طلب فيه الكفاح ضد الاسلام ''مع الاخذ بعين الاعتبار الصفات الخاصة لكل من القوميات'' (١٥) .

وعند اخذ الاعتبار لهذه ''الصفات الخاصة'' قام مكتب مبعوثي الاقليات القومية فى عام ١٩٢٢ بتصنيف الشعوب الاسلامية فى الدولة السوفيتية الى فئات خاصة بالنسبة ''لاستعدادهم'' او ''درجة نضوجهم'' فى حقل ''التخلي عن الاسلام'' واعتناق الآراء الالحادية . وقد اتخذت الميزات التالية للدلالة على معنى هذا ''النضوج'' : التطور الصناعي ووجود طبقة عامة صناعية ، اول ظهور لصحافة دورية ، واخيرا ''مدى الاستقرار'' فى حياة البداوة. (١٦) (وكان مستشارو سكرتيرية الاقليات القومية يعتبرون ان القبائل الرحل عامة لا تحوز على ميول دينية تعصبيه ولذلك فهي سهلة التعرض لقبول الالحاد) .

وقد اعتبر تاتار الفولجا بانهم قد ''وصلوا منتهى درجات النضوج'' ، كما واعتبر الازبكيون القاطنون فى تركستان اكثرهم تأخرا ، وشغلت اذربيجان المرتبة الخامسة بعد مناطق التاتار والباشكير والكرغيزستان (وكان هذا اسم سكان كازاك وكرغيز فى ذلك الحين) وسكان شبه جزيرة القرم (١٧) .

هذا ولما كان الاذربيجانيون ''غير حائزين على استعداد كاف لقبول الالحاد'' لذلك تم وضعهم فى المرتبة القبل الاخيرة بين الجمهوريات الاسلامية التركية بينما نرى انه قد جرى اعتبارهم من الاوائل عندما طبقت عليهم معادلة ''النضوج'' (١٨) و (١٩) .

---

(١٥) قرارات واحكام اللجنة المركزية لمؤتمر الحزب الشيوعي ، القسم الاول ، الطبعة السابعة ، صفحة ٧٤٤ ، موسكو ١٩٥٣ .

(١٦) م. سلطان جالييف : ''طرق الدعاية المضادة للدين بين المسلمين'' نشر مكتب ممثلي الشعب للاقليات القومية ، موسكو عام ١٩٢٢ .

(١٧) نفس المرجع السابق .

(١٨) راجع التقويم القفقاسي لعام ١٩١٧ ، تفلس عام ١٩١٦ .

عدد العمال الصناعيين

بلغ عدد العمال الصناعيين فى باكو فى عام ١٩١٦ ٤٤ر٠٠٠ يدخل ضمنهم

تركيين — اذربيجانيين	١٥٠٠٠ عامل	٢٨٠٠٠ عامل مسلم
تركيين من الفولجا والاورال	٩٠٠٠ عامل	
داغستانيين مسلمين	٣٥٠٠ عامل	
روسي	٩٠٠٠ عامل	
أرمني	٧٠٠٠ عامل	

(١٩) الفئات الاجتماعية

	النسبة المئوية من السكان
فلاحين اذربيجانيين	٨١ر٦٦ ٪
صناعيين واصحاب مصانع	٤ر٧٠ ٪ (فى جورجيا ٤ر٣٦ ٪)
تجار	٥ر٦٠ ٪ (فى جورجيا ٣ر٧٧ ٪)
عمال	٤ر٠٠ ٪ (فى جورجيا ٣ر٣ ٪)

(راجع كتاب محمد حسين بهرلي ''الاذربيجانيون — ملخص جغرافى وجنسي واقتصادى'' طبع باكو عام ١٩٢١) .

أما ما يختص بالصحافة الدورية فاننا نرى ان الاذربيجانيين قد حازوا السبق بين جميع السكان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي واول جريدة نشرت باللغة التركية ضمن حدود الامبراطورية الروسية السابقة كانت هي التي طبعت فى باكو فى عام ١٨٧٥(٢٠) .

وانه علاوة على هذا كله وجدت اذربيجان نفسها فى نفس المرتبة القبل الاخيرة التي وضعت بها تركيا ، وبعبارة اخرى ان هاتين الامتين لم يوجد من المناسب تحويلهما الى مقاطعتين سوفيتيتين الا بعد الانتهاء من تحويل جميع الشعوب الاسلامية التركية الاخرى ، والسبب الرئيسي لهذا يعود بالطبع لانهما تقعان على حدود الشرق الاسلامى وان عليهما جلب هذا الشرق الى منطقة نفوذ الاتحاد السوفيتي .

وحدث فى هذا الوقت تغييرات اساسية فى تركيا وايران ، فجرى مثلا فى تركيا بعد الانتهاء من حرب الاستقلال التي خاضتها وتخلصها من الخلافة والسلاطين تحت ادارة كمال باشا ، ان قررت الاشتراك مع الديموقراطيات الغربية بدلا من اتباع النظام الشيوعي الشائع فى الاتحاد السوفيتي . وكذلك الامر فى ايران التي حكمها الرجل الفولاذى بهلوى ، الذى قضى على الجمهوريات السوفيتية التي تشكلت فى مقاطعات ايران الشمالية والتي اقامها الجيش الاحمر فى صيف عام ١٩٢٠ ، وخلّص ايران من البلاشفة كليا ، كما وانه نقض الاتفاق البريطاني — الايراني المعقود فى عام ١٩١٩ وبهذا نجى بلده من الشكل الشبه استعمارى .

وهذه الحوادث قضت على آمال زعماء الشيوعيين فى تحويل جيرانهم المسلمين فى الشرق الى مناطق سوفيتية. ودعا هذا الى تبديل رئيسي فى السياسة السوفيتية نحو الدين الاسلامى فى اذربيجان واصبح الاسلام عدوا للاتحاد السوفيتي بدلا من كونه "الحليف" الحديث .

الباب الرابع

وبينما كان الدين الاسلامى يستعمل كأداة من قبل الشيوعيين فى الشرق الاسلامى زعما منهم انهم يحمون المصالح التركية والايرانية ضد "المستعمرين الاوروبيين" كانت الدعاية المضادة للدين فى اذربيجان قائمة بشدة ادعاء بأن الغاية منها هي محاربة التعصب الديني والخرافات والميول الغير مرغوبة . وكان هذا النوع من الدعاية الرسمية يستند الى الماضي التاريخي الذى يعود الى حركة التجديد التي قام بها التجدديون والتي ذكرناها سابقا، ولم تعمد الى التهجم على جوهر الاسلام وطقوسه الاساسية.

ولكن الدعاية هذه سرعان ما نفدت صفتها "التقدمية" واتخذت شكلا شيوعيا واضحا واصبحت من الآن فصاعدا تصطحب بهجوم فظ على رجال الدين وانها بعد فشلها فى سياسة "الاستفادة من الاسلام" بدأت الحرب علنا على الطقوس الدينية الاساسية وعلى الاحتفالات والعادات الدينية والوطنية واصبحت بعد هذا موجهة ضد جوهر الاسلام وفلسفته .

---

(٢٠) ميرزا بالا "الصحافة التركية الاذربيجانية" طبع باكو فى عام ١٩٢٢ .

وحصل هـذا العمل فى الوقت الذى انتهت فيه السياسة الاقتصادية الجديدة وفى اوائل المدة التي بدأت بها الاعمال الجماعية جبرا ، ولم يكن هذا عرضا لان الشيوعيين كـانوا فى هذا الوقت يحاربون الاسلام لانهم اعتبروا وجوده عبارة عن ثورة اجتماعية ''تسعى'' ليس لاعطاء أئمة الدين الاسلامى قوة روحانية عظمى فحسب بل وقوة اقتصادية ايضا(٢١) .

وقد اعترف النظام القيصرى بالدين الاسلامى رسميا رغبة منه فى منع قيام الحركـات الوطنية من قبل المسلمين تحت ستار الدين ولهذا فقد شجع رجال الدين الذين ليس لهم ميول وطنية قوية ضد هذه الحركـات . اما تحت حكم الحكومة السوفيتية فقد وجد الدين نفسه وجميع مؤسساته وأئمته خارجين عن حماية القانون .

واعتبر الاذربيجانيون المسلمون قيـام هـذا النظام الوحشي والالحادى واغتصابـه للحكم السـياسي فى اذربيجان بانه ''هجوم من قبل قوة اجنبية وغير مسلمة'' واصبحت الاعتبارات الدينية محبوكة مع الميول الوطنية والسياسية والاجتماعية والاقتصاديـة . هـذا واتخذت مقاومـة الفلاح الاذربيجاني لتحويل اراضيه الى مزارع جماعيـة صفة حرب نظاميـة واستمرت هـذه المقاومـة طيلـة اعوام ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١ . وليس من الغريب ان نرى ان الوسائل الـتي اتخذتها الحكومة السوفيتية لفرض نظام اجنبـي على الاذربيجانيين ينافى مبادىء الاسلام لاقت مقاومة شديدة من قبل أئمة الدين .

ومن وجهة نظر زعماء جماعة الشيعة الاذربيجانيين لا يمكن اعتبار وجود ما يسمى بالشيوعي ''المحلي'' اى انـه ''احد افرادهم'' بل اعتبروا جميع الشيوعيين بانهم موظفو النظام السوفيتي ، وقد لمس الشيوعيون وجهة النظر هذه التي اتخذتهـا أئمـة الدين الاسلامى ولهـذا اخذوا فى الضرب على ايديهم فورا بعد احتلال اذربيجان ، وعلى اثر كل ثورة مسلحة حدثت فى هـذا البلد لم يبدوا اى رحمة فيها مدعين ان أئمـة الدين كـانوا هم المتزعمون لحركـات المقاومة ضد الحكومـة هـذه . وبالاضافة الى هذا فقد سن السوفيت قوانين مجحفة فى حقهم مما خلقت لهم مشاكل ماليـة طائلـة مزعجة ، اضطر أئمـة الدين هؤلاء بموجبها الى اللجوء الى كسب الرزق من مداولة اعمال اخرى ، والدليل على هـذا مـا فاه به ناريمانوف ، رئيس وزراء اذربيجان ، الذى قال ان جميع أئمة الدين اصبحوا معلمي مدارس بعـد فترة سنتين من تحويل اذربيجان الى منطقة سوفيتية(٢٢) .

هذا وعند البدء بالهجوم المناوىء للاسلام وحظر استعمال احرف الهجاء العربية التي كـان يستعملها الاذربيجانيون منذ القديم (وكذلك جميع الشعوب الاسلاميـة التركيـة الاخرى) التي تسبب عنها فصل الصلـة بـين الجيل الحاضر والآداب الدينية والوطنية القديمـة الثمينـة ، اصبح المجال مفتوحا للحركـات المضاده للاسلام والاعمال المضادة للدين . وكثرت من الآن فصاعدا التصفيات المنظمـة بين موظفي التعليم وطرد بالجملة أئمـة الدين السابقون — الذين اصبحوا الآن اساتذة — مع انهم خبراء فى الاداب الاسلامية وعلى سبيل المثال نرى انه قد ''صفي'' فى مدينة شمخ وحدها ١٧ من أئمـة الدين الذين كـانوا يشغلون مناصب معلمي مدارس فى اوائل عام ١٩٢٦ الدراسي(٢٣) .

وامتلأت الصحافـة الاذربيجانية عند انتهاء السياسة الاقتصادية الجديدة بالمقالات والقصائد والصور الهزليـة التي من شأنها الضرر بسمعة أئمـة الدين ، واصطحبت هذه الحملـة بنشر قرارات اتخذت فى اجتماعات ''للعمال'' يطلبون

---

(٢١) ''بزبوزنيك'' تاريخ ١٩٥٢/٢/١٥ — راجع مقال ياروسلافسكي المنشور بها .
(٢٢) راجع الحديث الذى ادلى به ناريمانوف الى مراسل جريدة ''التايمس'' الافرنسية بتاريخ ١٩٢٢/٥/١٩ .
(٢٣) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩٢٢/٩/١٢ — باكو.

فيها اقفال الجوامع ''وكشف القناع'' عن اعمال ائمة الدين المناوئة للثورة ، واظهارهم بأنهم ليسوا سوى ''طفيليات'' وانهم ''اعداء'' للشعب العامل . هذا وكثرت عرض الحفلات المضاده للدين الاسلامى على المسارح الاذربيجانية . ولم تكن الدعاية ضد الدين منظمة قبل عام ١٩٢٤ بل انها كانت متقطعة وغير مستقرة. اما فى اواخر عام ١٩٢٤ فقد ظهرت هناك ميول واضحة حيث جرى وضعها على قواعد منظمة (٢٤) وحملت الجرائد اقتراحات تدعو الى انشاء لجان خاصة ملحقة بلجنة باكو للحزب الشيوعي ، مع اعطائها سلطات كاملة لتنظيم وعمل المزيد من الدعايات المضادة للدين ، ووضع التأكيد فى هذه المناسبة على الدور المهم الذى ستلعبه الشبيبه الشيوعية (٢٥) ويمكنا القول بان الكفاح ضد الاسلام قد اصبح كامل التنظيم عند ظهور ''اتحاد المحاربين الالحادى'' (الذى كان اسمه التركي ''جنك اوار الله سزاتفاق'') فى اذربيجان .

وفى اواخر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٥ وصفت جريدة ''كوميونست'' التي تصدر باللغة التركية ، اعمال الملحدين فى احد احياء العمال فى باكو. وفى نيسان (ابريل) نشرت الصحافة نبأ تأليف جمعية الحادية يرأسها مجلس موقت سنت لنفسها انظمة ووافقت على برامج اعمالها. وكان غاية جمعية الملحدين هذه هي توحيد العمال والفلاحين المفكرين تحت راية الالحاد المحارب والعمل على تخليص الفئات العاملة من ''مخدرات (افيون)'' الدين وايجاد ''عقيدة مادية مستندة الى العلم الطبيعي''(٢٦) وتم هنا تاليف ثلاث لجان احدها للدين الاسلامى وثانيهما للدين المسيحي وثالثهما للدين اليهودى. وكان الغرض من هذه اللجان هو ايجاد طرق ووسائل ملائمة للدعاية المضاده لهذه الديانات (٢٧) .

وفى المؤتمر الذى عقده دعاة الدعاية ضد الدين فى آب (اغسطس) عام ١٩٢٥ وجد المؤتمرون ان ما نسبته ١٥ ٪ فقط من الـ ١٩٨ جريدة المناوئة للدين المعلقة على الحيطان كانت ''تستحق'' بأن توصف كذلك . وتم فى هذا المؤتمر ايضا الاشارة الى ضعف الدعاية المناوئة للدين الاسلامى واتخذ المجتمعون قرارا طلبوا فيه العمل على تقوية القسم الخاص المطبوع باللغة التركية فى هذه الجرائد واصروا على طبع ''كتب دراسية باللغة التركية خاصة بمناوئة الدين'' كما ودعوا الى السماح بطبع مجلة باللغة التركية (٢٨) .

وقامت جمعية الملحدين بمساعدة الحكومة السوفيتية والحزب الشيوعي ، باعطاء دروس مضاده للدين باللغة الروسية . هذا ولما كانت غالبية التركمانيين* فى الحزب يلمون باللغة الروسية الماما كافيا ، فقد استطاعوا ان يتلقوا دراساتهم عن طريق هذه المحاضرات . وقد شمل برنامج التدريس عدة مواضيع ، مثل ابتداء الكون وعلم الحيوان وتاريخ الثقافة وتطور العقائد الدينية والدين وعلاقته بتنازع الطبقات الخ .

---

(٢٤) انظر ''كوميونست'' (الجريدة المطبوعة باللغة التركية) باكو ، للمعلومات الخاصة باعوام ١٩٢٥ و١٩٢٦ و١٩٢٧ و١٩٢٨ .
(٢٥) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩٢٤/١٠/٢١ — باكو .
(٢٦) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩٢٥/٤/١٤ — باكو .
(٢٧) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩٢٥/٨/٢٦ ، وتاريخ ١٩٢٥/٩/٢ .
(٢٨) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩٢٧/٩/٢ الصادره فى باكو .
* الاسم الرسمي للاذربيجانيين فى ذلك الحين .

وقـد اشترط فى القبول لهـذه الدروس ان يكون الفرد ''مناسبا لاعمال الدعاية'' و ''المقـدرة عـلى تكلم اللغـة الروسية قراءة وكتابة جيدا'' ومعرفة كيفية ''استعمال الكتب'' (٢٩) .

وقـد اشتمل البرنامج المعـد للمسلمين اللادينيين عـلى مواضيع اضافيـة هي : تاريخ العرب قبـل محمد ، وعوامل واسباب قيـام الاسـلام ، وماذا يحتوى القرآن ، والخلاف فى عصر الخلفاء الاربعة ونوع حكومتهم ، عصرا معاويـه وعـلي ، السبب الرئيسي لحرب حسين (بن علي) مع يزيد (بن معاويـه) ، وتشكيل الاحزاب السياسـية فى الاسلام ، الخلاف بين السنيين والشيعيين واسبابه ، السياسة الفارسية والبهائية (٣٠) .

وتم التآم اول مؤتمر للملحدين من جميع باكو فى آذار (مارس) عام ١٩٢٦ والقيت فيه محاضرات عن المواضيع التالية : ''المجتمع الاشتراكي'' و ''الكفاح ضد التحزبات الدينية'' .

وقد اصدرت جمعية الملحدين نداء بينت فيه ما لباكو من الاهمية لكونها ''واقعة بين نقطة التقاء الشرق والاتحاد السوفيتي'' (٣١) . وقـد جاء فى هـذا النـداء ان عدد اعضاء جمعيـة الملحـدين بلغ فى ذلك الحين من ٢٠٠ر١ الى ٤٠٠ر١ شخص . وعددت الجمعية ما احرزته من النصر كما وانها فى نفس الوقت اعترفت ببعض القصور فى اعمال مكتبها حيث قالت : ان الكثير من الخلايا (وكـان هناك اربعـة عشر منها) لم تعمل شيئاً ، وكـانت ايضا طريقة العمل بين الاذربيجانيين ، (التركمـانيين) على حد التعبير السوفيتي ، ''فيهـا نواقص بالغـة''. وابدت الجمعيـة ايضا ملاحظتها عل نشاط الاشخاص المتدينين ووصفته بانه خروج عن الاجراءآت التي اتخذتها الحكومة الملحدة .

هـذا مـا كـان الوضع عليـه فى باكو المركز الصناعي المهم والذى تقطنه طبقة عاملة متعددة الجنسيات . اما فى الارياف فقد قامت فرق الجرارات الميكـانيكية بتوزيع هذه الجرارات فى المناطق التي توجد بها خلايا ملحدة ، هذا ولمـا لم يكن لدى هؤلاء العمال الزراعيين الحق فى امتلاك وسائل الانتاج هـذه او الحصول عليها بطريقـة اخرى عاد عليهم هذا العمل الماكر بضرر كبير .

وتمكن المؤتمر الثاني للملحدين الذى عقد فى باكو فى عام ١٩٢٧ ، بعد القيام باعمال الضغط والارهاب هـذه ، بان يقول ان جمعيـة الملحدين تشمل الآن ٣ر٠٠٠ عضو يشكـل ٢٥٪ منهم اعضاء اذربيجانيين تركيين (٣٢) . هـذا ولمـا التـأم مؤتمر باكو الثالث فى عام ١٩٢٨ قيـل ان عـدد الملحدين الذين كـانوا ينتمون لجمعيـة الملحدين بلغ ٤ر٥٠٠ عضو منهم ٢٩٪ اذربيجانيون و ٥٤٪ من الروس . وفى عـام ١٩٢٧ حيث الـتي ٢٣٠ حديثـا مضادا للدين قرأ ستون منها باللغة التركية ، كما وان العشرين نشرة المناوئة للدين التي تم طبعها باللغة التركية كـانت قد ترجمت عن اللغة الروسية .

وحدث بعـد تشكيل جمعية الملحدين بخمس عشرة سنة ان احتجت الصحافة الاذربيجانيـة قائلة : ''ان الطبقـة الوطنيـة الوسطى قد حطمت اتحاد الملحدين المحاربين'' وانه ''لا يوجد الآن خلايا شيوعية فى الكثير من المؤسسات

---

(٢٩) جريدة ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٦/٥/٩ الصادره فى باكو .
(٣٠) جريدة ''كوميونست'' نيسان (ابريل) ١٩٢٦ — باكو .
(٣١) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٧/٩/٢٥ — باكو .
(٣٢) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٨/٦/٤ .

والمزارع الجماعية والمزارع الحكومية" وقـد اتضح ان البروفيسور ولي خلوفلو ، رئيس المؤسسة الاذربيجانية لاتحاد الملحدين المحاربين ، هو بالفعل عدو للشعب (٣٣) .

وانه لمن السهل علينا فهم هذا اذا علمنا ان الاذربيجانيين الشيوعيين لم يكونوا يوما ما ملحدين ، هذا وقد كتب الدكتور ناريمان ناريمانوف ، رئيس الشيوعيين الاذربيجانيين واول رئيس وزراء لاذربيجان ، كتابا ادبيا قبل ثورة عام ١٩١٧ عنوانه "الفائدة الصحيحة للصوم" . ومثل هذا العمل يكشف الستار عن النظرة الروحانية للاذربيجانيين الشيوعيين ووجهة نظرهم تجاه "المنطق المادى" .

وكتب م. س. افندى زاده ، مدير المعارف ، مقالا فى جريدة "كوميونست" فى عام ١٩٣٧ عزا فيهـا فشل الاعمال المناوئة للدين وظهور الدين ثانية فى اذربيجان الى ما يسمى بدستور "ستالين" الذى اعطى، على حد اعتقاده، فرصة واسعة لأئمة الدين الاسلامى. واقترح افندى زاده هذا اتخاذ خطوات حازمة للضرب على ايدى رجال الدين الذين ظهروا للعيان (٣٤) .

وحدث على اثر هذا اعطاء محاضرات مناوئة للدين مجددا وكـانت هذه فى هذه المرة خاصة للمعلمين ، وتم تحويل قصر شرفنشاه فى باكو الى "متحف الحادى" وبني ايضا قصر للملحـدين كمقر لجمعيـة الملحدين المحاربين وكـان ضمن هـذا القصر مكتبـة تحتوى عـلى مطبوعات مناوئة الدين وقاعات لالقـاء المحاضرات وخطابات ولاقامة حفلات واجتماعات ليلية ، وانشئت ايضا دائرة خاصة للمنشورات المناوئة للدين (٣٥) .

ونرى انـه بالرغم من هـذه "الاجراءآت الفعالة" قالت جريدة "كومسومولسكـايا برافدا" التي تتحدث باسم الشبيبه الشيوعيـة بلهجة مليئة بالمرارة وفى تاريخ متاخر كعـام ١٩٥٤ ان الحركـة الدينية هي قوية فى اذربيجان وخاصة بين النشىء الحديث بما فيهم الشبيبة الشيوعية (٣٦) .

الباب الخامس

كتب فى عام ١٩٢٨ مصطفى كولييف ، مدير معارف اذربيجان ، وهو الشـخص الشديـد الالحاد ومن الدعـاة المحبذين لمبدأ ستالين الذى يدعو الى نكران وجود ثقافة وطنية (التي هي "وطنية فى الشكـل واشتراكية فى الفحوى") كتب مقالا فى جريدة "كوميونست". وكـان عنوان هذا المقال "الحزب والدين" حيث اخبر قارئيه انه لا يزال هناك فى اوائل عام ١٩٢٨ (١ر٣٦٩) جامعا فى الوجود وانها "تحارب بقوة السوفيت والحزب الشيوعي" (٣٧) . وكـانت هذه الجوامع هي الموجودة خاصة فى المدن الكبرى والتي دافع المؤمنون فيها لمدة تتراوح من ثمانية الى تسعة اعوام عن اعتقاداتهم الدينية وتمسكهم بمراكز عبادتهم .

---

(٣٣) جريدة "باكنسكي رابوشي" تاريخ ١٩٣٧/٤/١٢ .
(٣٤) "باكنسكي رابوشي" تاريخ ١٩٣٧/٥/٩ — باكو .
(٣٥) "كوميونست" تاريخ ١٩٣٧/١٢/٢٠ — باكو .
(٣٦) جريدة "كومسومولسكـايا برافدا" تاريخ ١٩٥٤/٧/١ — موسكو .
(٣٧) "كوميونست" تاريخ ١٩٢٨/٧/٦ — باكو .

ولما كانت الجوامع هي ''بيوت الله'' ومكان تبادل الافكار الدينية والاجتماعية بين المسلمين لهذا جلبت لنفسها اهتمام البلاشفة منذ ايام احتلالهم الاولى للبلاد ، ومانعت احيانا ''السياسة الاسلامية الخاصة'' للحكومة السوفيتية الشيوعيين من العمل على اغلاقها عنوة ، غير ان الشيوعيين انفسهم قاموا بحملة غير رسمية منذ عام ١٩٢١ — ١٩٢٢ باغلاقها ، وخاصة فى القرى الاذربيجانية (٣٨) .

ولا يعرف بالضبط حاليا عدد الجوامع التي تم اغلاقها اثناء هذه ''الحملات'' غير ان المعروف ان الاجراءآت الادارية التي اتخذت لاغلاقها قد جلبت غضب الشعب المتدين على الحكومة الى درجة ان اضطر المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي الذى عقد فى عام ١٩٢٤ الى الانتقاد بشدة ''الاجراءآت المتخذة لمحاربة التحزبات الدينية بطرق ادارية ، كاغلاق الكنائس والجوامع'' الخ فى المناطق الريفية (٣٩) .

وبالرغم من هذا القرار فقد استمرت الحملة على الجوامع ليس فى القرى فحسب بل وفى المراكز الكبرى مثل شماخي وكوشكاى واجداش وغيرها ، وقيل فى هذه المناسبات ان الجوامع هناك قد اغلقت ابوابها ''اختيارا'' وبموجب ''رغبات السكان المحليين'' ، وتمكن الشيوعيون الملحدون ''العاملون'' من الحصول على وثائق تدل على هذه الموافقة المزعومة ، وقد حصلوا على التواقيع من منظمات وافراد بتهديد من الحزب ولجانه المحلية .

وقد تم تحويل الجوامع التي صودرت من المؤمنين الى مدارس ونواد وغرف مطالعة ومسارح ، وقد جرى هدم القديم منها بالرغم من توسلات ''جمعية حفظ الاماكن الاثرية'' وقد هدم فى شماخي وحدها ثلاثة عشر جامعا واستعملت حجارتها لبناء دار للتمثيل (٤٠) ، كما وتم ايضا تحويل ٣٦ جامعا فى منطقة اجداش الى ''معاهد ثقافية'' (٤١) .

وفى هذا الوقت كانت ''الحملة الرسمية'' فى اوجها اى انها بعبارة اخرى حدثت اثناء برهة تأسيس المزارع الجماعية حين كان الشعب ''والسلطات'' فى حرب مسلحة ضد بعضهما البعض . وقد افتتحت الحملة الرسمية بالشعار التالي : ''لا نرغب الاله وبيوته وعليه فيجب هدم جميع الجوامع واقامة المدارس والنوادى بدلا منها'' (٤٢) .

وقد اعترف الدكتور مجيد افندى زاده ، رئيس اللجنة التنفيذية المركزية الاذربيجانية اثناء مدة السياسة الاقتصادية الجديدة وفى الايام الاولى من العمليات الجماعية (والذى تم القضاء عليه من قبل الشيوعيين فى عام ١٩٣٧) انه خلافا لاقوال الصحف الرسمية ، لم يكن هناك اغلاق ''طوعي'' للجوامع وانما كان هذا فعلا عنوة . واضاف قائلا: ''وبدلا من محاربة الدين بطرق منطقية ومعقوله نرى ان العملية بكاملها كانت عبارة عن مصادرة للجوامع لدرجة ان القرى اصبحت تتنافس بعضها مع بعض فى ايها اغلق العدد الاكبر منها'' (٤٣) .

وبعد هذا ''الاعتراف الصريح'' من قبل شخصية رسمية يمكن القول بدون ريب ان عدد الجوامع التي بقيت مفتوحة فى اواخر عام ١٩٢٨ والتي بلغ عددها ١٣٦٩ جامعا ليست هي الا جزء طفيفا من العدد الذى كانت عليه

---

(٣٨) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٧/٦/٢٤ — باكو.
(٣٩) ''قرارات واحكام المؤتمرات والاجتماعات الكاملة للجنة المركزية للحزب الشيوعي'' ، الطبعة السابعة ، الصفحات ٥٢ و ٥٣ ، مطبعة الحكومة الرسمية عام ١٩٥٤ .
(٤٠) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٨/١٢/٣٠ — باكو.
(٤١) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٩/٢/١٣ — باكو.
(٤٢) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٩/٢/١٣ — باكو.
(٤٣) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٢٩/١٠/٢٢ — باكو.

قبل الغائها (اى ما بين اعوام ١٩٢٠ و ١٩٢٩)، ويستدل من المعلومات الموجوده لدي ان عدد الجوامع فى اذربيجان قبل تحويلها الى منطقة سوفيتية كان ينوف عن خمسة الآف جامع وهذا العدد يتفق والرقم الوارد فى مجموعة الاحصاءات السنوية لعام ١٩١٤(٤٤). (ولم اتمكن من تقدير عدد الجوامع المغلقة والتي ما زالت قائمة ابنيتها فى جورجيا وارمينيا).

وقد حدث اثناء تجميع المزارع الاجبارى وتصفية ملاكي الاراضي (١٩٢٩ الى ١٩٣٣) وخاصة اثناء مدة ارهاب ييزوف (١٩٣٦ — ١٩٣٧) ان اغلقت تقريبا جميع المساجد وصفي البقية الباقية من أئمة الدين. وكانت اقوال مدير المعارف مصطفى كولييف فى عام ١٩٢٨، و م. س. افندى زاده فى عام ١٩٣٧ هي اعتراف صريح بان الجوامع قد اغلقت ووصف صريح لكيفية استمرار برنامج الاغلاق هذا. وهما اللذان قالا لنا ان بين الجوامع التي اغلقت فى باكو فى ذلك الوقت كان الجامع الملحق بقصر شرفنشاه (فى المدينة القديمة) وعشرون غيرها بينها جامع الجمعة الكبير. وقد تم فى عام ١٩٣٥ اغلاق الجوامع الرئيسية خارج القلعة وهي: جامع تازه بير ومحمد لي وحجي بابا وقاسم بك وغيرها، وحوّلت ابنيتها الى منشاءآت اخرى(٤٥).

هذا وقد سمح فى عام ١٩٣٦ بافتتاح جامع واحد فى باكو (٤٦). اما جامع شاه عباس فى مدينة غنجه (المعروفة حاليا بكيروفاباد)* الذى تم بناؤه فى القرن السادس عشر، فقد اغلقت ابوابه فى عام ١٩٣٥ وحول بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ الى متحف يحتوى على معروضات مناوئة للدين ومتحف للدراسات الاقليمية. هذا وقد تم هدم مدخل هذا الجامع وحطمت افريزاته الجميلة الصنع — عمل شائن حقا — وغطي قوس بابه بالجص.

اما جوامع غنجه الاخرى، مثل الجامع الكائن فى شارع بولادباجفولار وجامع طويقشي وجامع شاهوان وجامع درت يول والجامع الاخضر الذى بني فى القرن الثالث عشر والذى يقع على بعد سبعة كيلومترات عن المدينة والذى يحتوى على ضريح الشاعر الاذربيجاني نظامى، فانها اقفلت فى المدة التي تم فيها تحويل الاراضي الى مزارع جماعية (اى ١٩٢٩ الى ١٩٣٣).

وجرى بالاضافة الى اغلاق الجوامع فى المدن اغلاق الكثير من الجوامع فى المنطقة الواقعة حوالي غنجه فى البرهة الواقعة قبل تجميع المزارع الاجبارى ومن بين هذه الجوامع جامع قرية بقجة كورد الذى اغلق فى عام ١٩٢٨ وجامعان فى مدينة كوزاك اللذان اغلقا فى عام ١٩٣٠ وحوّلا الى مستودعات وجامع قرية سيفاللي فى منطقة شامخور الذى اغلق فى عام ١٩٣٠ وحولت عمارته الى مدرسة. اما بناء جامع قرية سافى كورد فقد حول الى مكتب لمزرعة جماعية (٤٧). وتم ايضا اغلاق خمسة عشر جامعا اخرى فى مدينة نوخا (شيكي) وضواحيها وحولت ابنيتها الى نواد

---

(٤٤) مجموعة الاحصاءآت السنوية ١٩١٤ — عند سرد عدد الجوامع فى مناطق تركستان والفولجا والاورال وشمال القفقاس لم تذكر هذه المجموعة مناطق اذربيجان وشبه جزيرة القرم. وذكرت هذه المجموعة فى نفس الوقت وجود ٦٫٥٨٦ جامعا ولم تعط كيفية توزيعها بين المناطق، ويظهر ان هذه الجوامع تتوزع بين اذربيجان وجورجيا وارمينيا وشبه جزيرة القرم، وهذا التوزيع يتفق والعدد المقدر لها من قبلي.

(٤٥) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٣٥/٦/٢٧ — باكو.

(٤٦) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٩٣٧/٤/١٢ — باكو.

* وكانت تعرف سابقا بـ ''اليزابتفول''.

(٤٧) ج. منيجلي جيرى: ''هدم واغلاق الكنائس فى الاتحاد السوفيتي'' فى ''هيراد'' نشرة معهد دراسة الشؤون السوفيتية العدد ٣ (١٦) الصفحات ١٠٤ و ١٠٥ طبع ميونيخ عام ١٩٥٥.

ومدارس(٤٨) . وفى عام ١٩٣٦ تم اغلاق الجوامع الباقية فى منطقة طوس . هـذا وحولت جميع الجوامع الكـائنة فى قرى ينلي واشاغي وعينباش الى مستودعات لتخزين الالآت الزراعية(٤٩) .

امـا الجوامع التاريخية الثمينة فى كراباغ (اقـدم وبرده وترتر وشوشه وكرابولاق وخانقندلي ولاشين وغيرها) وجوامع جمهوريـة ناخيشوان المستقلة (ناخيشوان واوردوباد وجلفه وشاهنختي وغيرها) فقد لقيت نفس المصير . هذا وقـد تم اغلاق او هـدم مقابر السلاجقة (الذين حكموا فى القرنين الحادى عشر والثاني عشر) ومقابر آل الخان (الذين حكموا فى القرنين الثـالث عشر والرابع عشر)(٥٠) . ويعتبر تغيير او هـدم هـذه الآثار القديمة بانه قـد قضى على الآثار الدينية والتاريخية لهذه المدنيات .

وقد استشهدنا بهذه الامثال لنرى مدى التنافس بين الشيوعيين بخصوص عدد الجوامع التي تم القضاء عليها .

الباب السادس

مـا دام الاسـلام فى اذربيجان وغيرها من اجزاء الامبراطوريـة القيصريـة السابقـة يستعمل دوما لدعم النظام السوفيتي ، كـانت الصحافة الشيوعية تقول ان حل الامور الاجتماعيـة والاقتصادية بموجب تعاليم الاسلام لا يختلف عن الحلول المقترحة لهـا بموجب المبادىء الماركسية . هذا وبعد انتهاء الحرب الاهليـة وظهور النظام السوفيتي وثبات اقدامه بدل زعماء السوفيت حججهم . ونرى مثلا ان مصطفى كولييف (وهو الذى قضي عليه فى عام ١٩٣٧) ، مدير معارف اذربيجان ، قال قبـل قيامه بالحملة عـلى الملاكين الصغار التي بدأت فى بزوغ النظام الاقتصادى الجديـد فى عام ١٩٢٨ ما يلي : ''يدعي بعض المثقفين الاتراك (الاذربيجانيين) بان محمدا كـان رجلا اشتراكيا ويقال ان ماركس وانجلس ولينين قد استوحوا آراءهم من القـرآن. ويوجد ايضا بعض الافراد السذجين فى حزبنا الذين هم من البداهة بمكـان بحيث يدعوا انه بامكـاننا الان تطبيق بعض الحقائق الموجودة فى القرآن على حياتنا اليـومية . ويمكن القول هنا ان هؤلاء الاشخاص لم يتمكنوا فى السنين الثماني الاخيرة من تفقه دروسهم الاولية''(٥١) .

واستدرج كولييف قائلا : ''ان الاسلام يعبر عن مبادىء الرأسمالية التجارية المحاربة . . . وان الحركة الاسلامية هي فى الاساس تمثـل عاملا اجتماعيا وسياسيا . . . فعبادة الاصنام قـد اضمحلت فى شبه الجزيرة العربيـة ولم يكن هذا بفضل الاسلام او اليهودية او النصرانية . . .'' .

وقال كولييف ان العرب لم يدينوا باليهودية التي كـانت فى متناولهم لان ''فكرة اليهوديـة القديمة كـانت تعتمد على الزراعة بينما عقائد محمد الجديدة جرى وضعها موضع التنفيذ تحت تأثير الرأسمالية المحاربة . . .'' واستمر كولييف الملحد هـذا قائلا : ''وقد اصبح الاسلام دعامة الاقطاعية واقام حائطا منيعا كحائط الصين بين الشعوب الاسلامية

---

(٤٨) ''ازيرى ترك'' العدد ١٩ ، تاريخ ١٩٢٨/١١/١ طبع اسطنبول، مشتقة الخبر من جريدة ''كوميونست'' .
(٤٩) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٣٦/٧/٢٠ — باكو.
(٥٠) م. ا. اوسينوف ''آثار الهندسة الاذربيجانية'' — موسكو ١٩٥١ .
(٥١) فى مقال عنوانه ''الثـورة الثقافيـة والاسـلام'' قرأه مصطفى كولييف فى باكو فى حزيران (يونيو) عام ١٩٢٨ والذى نشر فى عدد جريدة ''كوميونست'' الاذربيجانية فى شهر حزيران (يونيو) .

وبين العالم المتمدين وبهذا وضع حدا لتطورهم الثقافى وقتل فيهم كل رغبة لاتباع حياة متمدنة. وكان نتيجة ذلك ان الدول الاسلامية التي تشكلت بموجب الغموض الاسلامى هذا كان عمادها عقائد وخرافات تعزى الى العصور الوسطى، وانها اصبحت سجينة فى ايدى الاستعمار الاوروبي. والاسلام قد قوّى الروح الطاغية بين الشعوب... وحولهم الى عبيد... والقرآن ما هو الا مرآة تنعكس فيها الملكية الخاصة والرأسمالية التجارية الفردية"(٥٢).

الباب السابع

كان الممثلون الرئيسيون لائمة الدين الاذربيجانيين بين الاشخاص الذين دعوا لاستماع حديث مصطفى كولييف هذا الذى كان عنوانه "الثورة الثقافية والاسلام"، وكان بينهم شيخ الاسلام ورئيس الاداره الدينية الملا آغا علي زاده وايضا قاضي باكو مير محمد كريم والقارىء الحاج عبد الرحيم والحاج ميرزا مهدى والشيوخ حسن وغني وميرزا ابراهيم وملا تقي اصفهاني وملا عبدالله سيف الدين وموسى ايوب وسيد مير جلال وغيرهم(٥٣).

وقد جرى القضاء على الكثير من هؤلاء الشخصيات الهامة اثناء تحويل الاراضي الى مزارع جماعية واثناء مدة ارهاب يزوف (اى فى برهة اعوام ١٩٢٩ الى ١٩٣٨)، وكان بينهم الشيخ غني الذى استمر لوقت طويل فى القاء المواعظ التي كان يصب اللعن بها على الشيوعية والالحاد الغاشم(٥٤).

واستمر الملا على زاده أغا فى المحافظة على مركزه قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها وخرج سالما من الايام العصيبة التي لاقتها اهالي اذربيجان. وكان علي زاده يشغل منصب شيخ الاسلام اثناء النضال الشديد ضد البلاشفة (فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨) وطيلة حياته اثناء سيادة النظام السوفيتي (بين اعوام ١٩٢٠ الى ١٩٥٥)، وكل محاولة للاستفادة من مركزه اثناء قيام الدولة الاذربيجانية الجنوبية (الايرانية) وكداعية لسياسة "السلم" السوفيتية قد باءت بالفشل. وجاء نبأ وفاته عرضا وكان هذا عندما نشرت وكالة البرقيات الاذربيجانية نبأ تعيين شيخ اسلام جديد ورئيس الاداره الدينية للمسلمين القاطنين فيما وراء جبال القفقاس فى شهر آذار (مارس) عام ١٩٥٦(٥٥).

ولم يكن الشيخ محسن حكيم زاده، شيخ الاسلام الجديد ورئيس الادارة الدينية من الشخصيات البارزه والمعلومات التي لدينا تدل على انه ولد فى مدينة شمخ فى عام ١٨٨٢ وتلقى علومه فى مشهد (فى ايران) وعين ملا فى صبر اباد (فى منطقة الكورة) فى عام ١٩١٤. وقد جرى انتخابه عضوا فى المديرية الدينية فى عام ١٩٤٧. وحدث بعد وفاة علي زاده ان انتخبه المؤتمر الديني الذى انعقد فى يومى الخامس عشر والسادس عشر من شهر أذار (مارس) عام ١٩٥٦، شيخا للاسلام ورئيسا للادارة الدينية، وعين أسعد الله افندى ديبيريف نائبا له ومفتيا للمسلمين السنيين. هذا وقد بلغ عدد اعضاء الادارة الاسلامية الجديدة تسعة اعضاء(٥٦).

---

(٥٢) "كوميونست" تاريخ ١٩٢٨/٦/٢٦ — باكو.
(٥٣) "كوميونست" تاريخ ١٩٢٨/٦/١٣ — باكو.
(٥٤) "درجي" العدد ٥ عام ١٩٥٦، الصفحات ٦٥ الى ٦٧ طبع ميونيخ.
(٥٥) "كوميونست" تاريخ ١٩٥٦/٣/١٨ — باكو.
(٥٦) نفس المرجع السابق.

اما سكرتير الادارة الاسلامية المسؤول فكـان علي عباس رضاييف ، وهو عامل محرض معروف فى خدمة البوليس السرى وعمل لنفسه شهرة عندما كشف القنـاع عن الخلايا المناوئة للسوفيت الـتي كـانت تعمل سرا فى اذربيجان فى السنين التي تلت اعوام ١٩٢٠ و ١٩٣٠ (٥٧) .

ولما كـان شيخ الاسلام هذا تحت اشراف البوليس السرى الروسي دوما كـان عليه بالطبع ان تكون اعماله دوما فى خدمـة الدعاية السوفيتية اكثر من كونه رجلا دينيا ورئيسا للمسلمين ، ولا غرو فانه من الاشخاص الذين كـانوا شاهدى عيان لارهاب ييزوف الذى قضى على ١٢٠ر٠٠٠ مثقف اذربيجاني (اى ٤ فى المائـة من مجموع السكـان) وشاهد بعينه تصفية جميع سكان ''القفقاس''(٥٨) ، وهو بهذا يعتمد على رحمة الحكومة وليس له اى ثقة بمستقبل بلاده.

وكـان شيخ الاسلام هذا كسلفه عضوا فى القسم الاذربيجاني ''للجنة السوفيتية للدفاع عن السلم'' وتكلم باسمها فى أذار (مارس) عام ١٩٥٥ عندمـا كـان يشـغل منصب نائب رئيس الادارة الدينيـة حيث قـال : ''باسم المؤمنين المسلمين فى القفقاس — اعرب عن عطفنا التام نحو النداء الذى اصدره مجلس السلم العالمي والذى دعا فيه الى انهاء الاستعدادات لشن حرب ذريـة . . . ومستعمرو الولايات المتحدة ومنظمو حلف شمال اميركـا العدواني ومحرضو اتفاق باريس لا يأبهون بمطاليب شعوب العالم وتعاليم القوانين الروحانية بل انهم يتآمرون ليقذفوا الانسانية فى لهيب حرب جديدة . . .'' (٥٩) .

وقال بصفته شيخ الاسلام لمنطقة اذربيجان : ''ان المسلمين فى بلدنا السوفيتي يوافقون بكـل قلوبهم على سياسة الحكومـة السوفيتيـة الخارجيـة . . .'' وهو ايضا ''كرشـد روحاني لمسـلمي القفقاس'' وقع دون تردد عـلى النـداء الذى وجهه مجلس السلم العالمي وطلب من جميع المسلمين اقتداء اثره .

وقد استعمل شيخ الاسلام هـذا فى النـداء الموجه الى اللاجئين الاذربيجانيـين الـذى نشر فى عام ١٩٥٧ باسم الادارة الدينية لمسلمي ما وراء القفقاس حديثا نبويا يقول ان حب الوطن من الايمان . وقد كتب هذا النداء باللغة الاذربيجانية وبالاحرف العربية واللاتينية ، اى بعبارة اخرى انه كـان موجها الى اللاجئين ''القدماء'' و''الجدد'' ونشر فى هـذا النداء صورة لجامع طازه بير الـكبير فى باكو. وهـذا النداء لم يحمل تاريخا ، ووقع عليه شيخ الاسلام حكيم زاده والمفتي اسعد الله افندى ديبيروف واعضاء الادارة الدينية الاتيـة اسماؤهم : الملا عـلي عكـا سليمان زاده وفضيلة الملا اكـا بابا زاده وميرعبـد الخالق وميرعبد الباقي زاده والسكرتير المسؤول عـلي عباس رضاييف (بموجب الصوره الفوتوغرافية له). وطلب النداء هذا من جميع اللاجئين الاذربيجانيين العودة الى بلادهم الـتي قال عنها النداء انه على كل مسلم مؤمن محبتها لان الاسلام يقول ان حب الوطن هو من الايمان .

---

(٥٧) يعرف كـاتب هذا المقال الذى كـان يقطن اذربيجان بطريقة غير مشروعة فى اعوام ١٩٢٠ وما بعدها، علي عباس رضاييف هذا شخصيا وقد حاول هذا الاخير باستمرار معرفة المكان الذى كـان يسكنه المؤلف. ولما كـان علي عباس رضاييف هذا عضوا فى البوليس السرى وعميلا محرضا كـان يعرفه ايضا رئيس المركز الوطني الاذربيجاني عبد الوهاب يورتسيفر .

(٥٨) كتاب اورالوف تحت عنوان ''ستالين لمن يقصده'' الصفحات ١٦١ الى ١٧١ طبع باريس عام ١٩٥٧.

(٥٩) ''كوميونست'' تاريخ ١٩٥٥/٣/٢٦ — باكو ومحطة اذاعة موسكو تاريخ ١٩٥٥/٣/٢٦ .

وحكيم زاده هـذا عندما استشهد بالحديث النبوى سهي عن باله الآيـه القرآنية التي تقول ”واطيعوا . . . اولي الامر منكم“ (٦٠) ، اى من بين المسلمين المستقيمين ، وهذا يعني ان القرآن امر بوضوح وبصورة قطعية انه على كل مؤمن مسلم ان يرفض طاعة من تبع غير دينه وطاعة الكـافرين والملحدين . ونرى ان شيخ الاسلام الاذربيجاني لم يذكر هذه الآية بل لزم الصمت الحكيم . ونعلم مثلا انه قد مرّ زمن على أئمة الدين الاذربيجانيين دافعوا فيه عن هـذه العقيدة المقدسة وجعلوها حجر أساس عقائد شعبهم الخالده(٦١) . وسبق ان تمكن رجال الدين الاذربيجانيون من مقاومـة مساعي الموظفين القيصريين فى النصف الاول للقرن التاسع عشر عندمـا سعوا للتدخل فى العادات الدينية للمسلمين كما وانهم ساعدوا ايضا الشعب الاذربيجاني حاليا فى نضاله ضد تحويل بلاده الى منطقة سوفيتية .

وليس لدى رئيس الادارة الدينيـة الحالي اى نوع من الشجاعـة اذ هو يوقع طوعا عـلى جميع مطاليب السلطات الملحدة . وكـان الشعب اثناء العصر القيصرى والعصر الحالي يميز الفارق بين ”ملا الدفتر“ — اى الذى تستخدمه الدولة الاجنبية — والملا الذى يجرى انتخابه بحرية من قبل الشعب . وكـان هذا الاخير فيما مضى هو الوحيد الذى يقـوم بقيـادة الصلاة وغيرها من الطقوس الدينية بينما المللـه الذين هم فى خدمـة الحكومـة كـان واجبهم الاحتفاظ بالسجلات (ولهذا اكتسبوا لقب ”ملا الدفتر“) . وكـان واجبهم تسجيل المواليد والوفيات والزواج . وهذا الامر هو جار فى الواقع حاليا فالشعب لا يزال مستمرا فى اتباع حياتـه الدينية بينما تقـوم الادارة الدينية وأئمتها الـتي تتمتع بالاعتراف الرسمي من قبل السلطات ، والمحظر عليهم تسجيل المواليـد والوفيات والزواج فى السـجلات الرسمية ، تقـوم بأمر واحد : وهو التوقيع على نشرات الدعاية والظهور فى الاجتماعات السوفيتية والقيام فى خدمة السياسة السوفيتية العدوانية .

ويعطينا التقرير الآتي الذى ورد فى جريدة ”ليتاراتورنيا جازيتا“ الـتي صدرت بتاريخ ١٩٥٨/١/٣٠ صورة واضحة للاعمال الدينية فى اذربيجان يقول التقرير : ”وهنالك الاحجار والاشجار والقبور المقدسة فى جميع الاماكن ايضا ، ويؤمها الحجاج كما كـانوا يفعلون منذ مئات من السنين ، ويأتي اليهـا الحجاج حاليـا بسيارات خاصة او سيارات رسميـة — سيارات موسكفيتش او بوبيدا . ونرى قافلـة طويلـة من السيارات اللامعة فى الاعيـاد الرسميـة متوجهة الى ضواحي باكو لزيارة قبر الرجل الذى لا عظام لـه“ ، آت اغا المشهور ، ومن من سكـان باكو الذى لم يسمع بهذا الاسم ؟ . وانه لمن مضحكـات الزمن ان نرى ”الرجل الذى لا عظم له“ والذى اكتسب هذا الاسم بسبب وجود عاهة بدنية فيه ، قد عاش بالقرب من معهد العلوم التابع للجمهورية . وقد حاز هذا ”الرجل المقدس“ على قوى خارقة للعادة ، ويقال ان مجرد لمس ثيابه كـانت تكفي لتحقيق رغبات الفرد(٦٢)“.

حدث كل هذا فى باكو فى عام ١٩٥٨ ، اى بعد مضي ٣٨ سنة على النظام السوفيتي فى اذربيجان ، وان معهد العلوم الذى يقطن بجانبه ”الرجل الذى لا عظام له“ شرع الآن على حد قول وكـالة انباء ”تاس“ بالعمل على اقناع الشرق الاسلامى ان ”الدين والعقائد الدينية لم تكن يوما ما جوهرا هاما فى التطور الثقافى للشـعوب“(٦٣) .

---

(٦٠) سورة النساء الآية ٦٢ .

(٦١) ”السياسة القيصرية الاستعمارية فى اذربيجان“ من معلومات مستقاة من محفوظات الدولة والتي تم طبعها من قبل معهد العلوم السوفيتي ، المجلد ١ موسكو عام ١٩٣٥ .

(٦٢) ”ليتاراتورنيا جازيتا“ تاريخ ١٩٥٨/١/٣٠ — موسكو .

(٦٣) محطة اذاعة موسكو بتاريخ ١٩٥٨/٢/٢٢ .

وقال عبد الكريم علي زاده ، رئيس معهد العلوم الاذربيجاني ، فى حديث له مع مراسل وكالة انباء ''تاس'' انه يجرى الآن تاسيس معهد للبحوث العلمية لدرس تاريخ وثقافة وتقدم الشرق الاقتصادى ، وسوف يبحث هذا المعهد ايضا المسائل التي تتعلق بالوضع الحالى فى البلاد الواقعة فى تلك المنطقة .

ويحتوى هذا المعهد المذكور على اربع دوائر : دائرة خاصة بالبلدان العربية واخرى بايران وثالثة بتركيا ورابعة بتصنيف البحوث وطبع المصادر . وسوف يصدر هذا المعهد نشرته الخاصة . هذا وقد وصف صمد وارجون ، نائب رئيس هذا المعهد ، فى عام ١٩٥٥ غاية المعهد وواجباته ، وكان ذلك عندما اقيمت الاحتفالات بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيسه وجاء فى تقريره الفقرة التالية : ''على ادبائنا — المؤرخين والفلاسفة والخبراء بالآداب وعلماء اللغات الخ — اثارة مواضيع جديدة فى حقل الدراسات الشرقية . واود ان اذكر فى هذه المناسبة بايجاز ان علمي الاجتماع والفلسفة الخاصين بالطبقة الوسطى الحالية لا يالوان جهدا فى تفسير تاريخ الثقافة العالمية عامة والشرقية منها خاصة ، وما لها من اتصال بالاعتقادات والطقوس الدينية وبالتحزبات المثالية . . . ونحن الذين نؤمن بمبادىء الماركسية لا يمكننا ان ننكر ان الدين قد حاز لنفسه فى تاريخ كل دولة على مقام خاص ، وقد ظهر هذا فى الوقت الذى كان فيه الانسان عاجزا عن مغالبة عوامل الطبيعة . ونحن نقول ان الدين والعقائد الدينية لم تكن تؤلف يوما ما جوهر التطور الثقافى للشعوب . . . (٦٤)'' .

وهنا نرى ان الدين على زعم صمد وارجون لم يلعب اى دور فى تاريخ تطور الثقافة عامة وثقافة الشعوب الاسلامية خاصة ، وهذا الرأى يناقض مناقضة صريحة الحقائق الواقعية والغاية من اقواله هي التقليل من اهمية الدين ونفوذه فى اذهان المثقفين المسلمين الذين يقطنون الاتحاد السوفيتي .

---

(٦٤) ''السنين العشر الاولى لمعهد العلوم التابع للجمهورية الاذربيجانية الاشتراكية السوفيتية'' ، الصفحة ١٣٣ — باكو عام ١٩٥٧ .

الإسلام في سيبيريا والقسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي

بقلم: مصطفى ايتوجان

يتحدث هذا المقال عن الحالة الحاضرة للدين الاسلامى ضمن المفتيات الاربع التابعة لمديرية الشؤون الدينية التابعة للاتحاد السوفيتي والتي مركزها اوفا (فى جمهورية باشكريان الاشتراكية السوفيتية). واسم هذه المديرية الرسمي هو "المديرية المتحدة للمسلمين فى سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي*".

وغاية هذا المقال هو التحقيق فى المدة التي حصل ضمنها اضطهاد مكشوف للاسلام، حيث تعرض اثناءها رجال الدين الى الابادة بالجملة وحيث هدمت الجوامع واغلقت الكليات الدينية. وسوف نسعى فى هذا المقال الى ان نفسر الوضع الحالي للدين الاسلامى فى المنطقة التى تقع تحت ادارة مفتية اوفا.

الطور الاول للهجوم الشيوعي على الاسلام

يمكن الحكم على وضعية الدين الاسلامى فى هذه المنطقة التي هي تحت الدرس قبل انشاء الدكتاتورية الشيوعية على ضوء الحقائق التالية: "تدل المعلومات التي وردت من مديريتها الدينية، هذه المديرية التي كانت تقوم بتسجيل

---

* سكان منطقة الفولجا الوطنيون الحاليون (من تتر وباشكيرين وشوفاش)، وكذلك سكان الاورال وسيبيريا، ينحدرون من شعوب تركية الاصل — بلغار وكيبشاك وباشكيرين — ويتكلمون اللغة التركية ويدينون بالدين الاسلامى.

قتم المستعمرون البلاشفة تلك المناطق وسكانها الى عدة جماعات وانشأوا عددا من المقاطعات "المستقلة" (تسمى "اوبلاستي" بالروسية). كما وانهم شكلوا ثلاث جمهوريات اشتراكية سوفيتية مستقلة — جمهورية التاتار وجمهورية الباشكيريان وجمهورية شوفاش.

وبالنظر لان ما ينوف عن نصف عدد السكان المسلمين بقوا خارج هذه المناطق الادارية ويقطنون فى القسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي — مقاطعات موسكو وبتروغراد وفى جمهوريات اوكرانيا وبيلوروسيا، الخ) وغيرها من المناطق، ولما حافظت هذه الاقليات على عاداتها الدينية وكان لها جوامع وائمة ومؤذنون الخ، اضطرت الحكومة السوفيتية الى تشكيل مديرية اسلامية موحدة لهم.

المواليد والوفيات فى سجلات القصبات البالغ عددها ٧٨٠٠ قصبة التابعة لها بأن عدد السكان التاتار الاتراك كان يقدر بما ينوف عن ستة ملايين ونصف مليون نسمة" (١).

وقال آخر: " .... انه كان يوجد فى كل قرية تترية تركية من جامعين الى ثلاث جوامع، وكان يوجد فى بعضها من اربع الى خمس جوامع. وكان يتبع كل جامع مدرسة دينية حيث كان يدرس الاطفال بها القراءة والكتابة، (فوق كل شيء) يعلمون الواجبات المفروضة لدينهم" (٢).

قام المسلمون بعد ثورة اكتوبر، وقبل احتلال منطقة فولجا اورال من قبل الجيش الاحمر فى عام ١٩١٨، وعلى اثر تشجيعهم من قبل الشعارات التي صدرت على اثر ثورة فبراير (شباط)، ببناء جوامع عديدة فى القرى التي لم يكن بها الكفاية من هذه الجوامع، كما وعاد الافراد التاتاريون الذين اعتنقوا النصرانية فى الماضي الى الاسلام وقاموا ببناء جوامع جديدة لتأدية واجباتهم الدينية فيها. ولو فرضنا اضافة هذه الجوامع الجديدة الى الجوامع القديمة البالغ عددها ٧٨٠٠ جامعا فى القصبات المختلفة قبل الثورة، فنكون اذا غير مبالغين اذا قلنا انه كان يوجد فى هذه المنطقة، قبل قيام الحكم الشيوعي، قرابة ثمانية آلاف جامع وثمانمائة مدرسة دينية.

ولعب رجال الدين الاسلامى اثناء ثورة عام ١٩١٧ دورا هاما فى حركة تحرير شعوبهم الوطنية حيث " ... عقد مؤتمر تترى باشكيرى لرجال الدين فى قازان فى الثامن عشر من حزيران (يونيو) عام ١٩١٧، ترأسه المفتي كالميجان بارودى، وقام بسكرتيريته الامام الراحل عبد الله أباني، وهو الشخصية المعروفة بمناوئتها للشيوعية (٣)".

وفى عام ١٩١٨ تم احتلال مناطق الفولجا اورال ومناطق سيبيريا من قبل الشيوعيين، وكان هذا التاريخ فاتحة حملة الاضطهاد على الدين الاسلامى.

وكان الحزب الشيوعي البلشفيكي الذى تعتمد عقائده على الفلسفة الماركسية الداعية الى اتباع مبادىء الالحاد المادى التي شاعت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان هذا الحزب يعادى كل ديانة معروفة. وتقول الفقرة الثالثة عشرة من برنامج هذا الحزب انه على الحزب ان لا يكتفي باتخاذ قرار لفصل الديانة عن الدولة والدين عن التعليم فحسب بل وعلية ان يعمل غايته لالغاء "التحزبات الدينية" كليا (٤).

ويمكن فهم عقائد الشيوعيين من الكلمات التي فاه بها لينين حين قال: "ان الدين هو افيون (مخدر) الشعب ومبدأ ماركس هذا يكون الحجر الاساسى لجميع العقائد الماركسية الخاصة بامور الدين، فالماركسية تعتبر بلا شك، ان جميع الاديان الحديثة والكنائس وجميع المؤسسات الدينية هي من افعال الطبقة الوسطى الرجعية، هذه الطبقة التي تبرر خدع واستغلال الطبقة العاملة (٥)".

---

(١) مقال اياز اسحاقي فى مجلة "ايديل اورال" الصفحة ٤٦، طبع باريس عام ١٩٣٣.
(٢) ت. دافليتشين: "وضعية الاسلام فى الاتحاد السوفيتي (باللغة الروسية) فى مجلة "درجي"، العدد ١، عام ١٩٥٥، الصفحة ٩٦، طبع ميونيخ الصادرة من قبل هذا المعهد.
(٣) مجلة "يان مللي يول" العدد ١٠، الصفحة ٤، برلين ١٩٣٧.
(٤) مقال ا. كولوسوف "الديانة والكنيسة"، فى دائرة المعارف السوفيتية الكبرى المجلد "الاتحاد السوفيتي" عام ١٩٤٧، العامود ١٧٨١.
(٥) "كليات" ف. ا. لينين، دار نشر الحكومة الطبعة الرابعة عام ١٩٥٢، المجلد ١٥، الصفحات ٣٧١ و ٣٧٢.

ولم تلاق وجهة نظر الشيوعيين هذه نحو الدين اى عطف من قبل عامة الشعب كما رفضه باتا وبقوة حازمة أئمة الدين الاسلامى. وكان موقف هؤلاء العقائدى ومقاومتهم للالحاد المادى اثناء سنين الثورة والحرب الاهلية يفسر اعتبارهم من قبل النظام السوفيتي بانهم من الد اعدائه السياسيين، وقال فيهم أحد الكتاب: ''اشترك كثير من كبار رجال الدين، الارثوذكسيين والمسلمين على السواء، مع اعداء هذا النظام(٦)''.

هذا ولما تم وسم ائمة الدين الاسلامى بانهم من اعداء النظام السوفيتي، بدأ الشيوعيون فى الحد من حقوقهم المشروعة بكل طريقة ممكنة والعمل على ابادتهم بالجملة. وكانت الدعاية ضد رجال الدين والغاء حقهم للتصويت اول الطلقات فى هذا الميدان، وقال فى ذلك احد المطلعين: ''ان الحكومة السوفيتية سحبت فى عام ١٩١٨ حق التصويت لجميع أئمة الدين اى الائمة والمؤذنين المسلمين وايضا مدرسي ومعلمي الدين فى المدارس الاسلامية(٧)''.

وتلى هذا احتلال اوفا من قبل جيش جبهة الشرق بقيادة م. فرونز، وحدث على اثر ذلك اغلاق مديرية الشؤون الاسلامية فى الخامس والعشرين من نيسان (ابريل) عام ١٩١٨. ويذكر كاتب هذا المقال، بناء على اختباراته الخاصة فى ذلك الحين، ومن اقوال قواد اللواء الاول التترى الاحمر فى الجبهة الشرقية — وهما شيخ الدينوف وعبد الله تلكوفسكي (اللذان اعدما فيما بعد على اثر محاكمة توكاشفسكي) وعلى قول س. س. سميرنوف التترى المتنصر، حيث اشتركوا جميعا فى احتلال اوفا وشاهدوا اغلاق المديرية الدينية فيها، ان المفتي كليمجان بارودى قد اختفى بين مسلمي سيبيريا خوفا من قتله رميا بالرصاص(٨). وتعرضت بلاد التتر الى سياسة هدر الدماء والاضطهاد وكان رجال الدين الاسلامى من اوائل ضحاياها، اذ ''قام البلاشفة تواً بعد احتلالهم لقازان فى عام ١٩١٨ باعدام الملا عبدالله اباني رميا بالرصاص، وكان هذا الملا احد مساعدى المفتي كما وانه شغل منصب سكرتير المؤتمر الاسلامى الثاني الذى عقد فى قازان''(٩).

وقامت السلطات فى نفس الوقت بهدم او مصادرة او نزع ملكية جميع الاملاك التابعة للقصبات الاسلامية ولمؤسسات التعليم الدينية التابعة لها. وكان المبرر لهذه الاعمال هو قرار الحكومة السوفيتية المؤرخ فى ١١ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧، والذى وقع عليه ستالين، تحت عنوان ''حول نقل الدوائر الدينية وجميع الاعمال الخاصة بالمعارف والتربية الى مصلحة المعارف'' كما ونص هذا القرار على وجوب ''... تحويل المصالح الآتية الى رئاسة المعارف: جميع مدارس القصبات ومعاهد المعلمين والمدارس والمعاهد الدينية، والمدارس الدينية للبنات ومدارس التبشير وجميع المدارس والمعاهد الابتدائية والثانوية والعالية الواقعة تحت اشراف الدوائر الدينية بما فيه موظفوها وميزانياتها واملاكها المنقولة وغير المنقولة، وهذا يعني الابنية والثكنات الخارجية.... والمزارع (فيما اذا وجدت)

---

(٦) ن. ا. سميرنوف ''مقالات عن تاريخ الدراسات الاسلامية فى الاتحاد السوفيتي'' الصفحة ١٣٠، موسكو ١٩٥٤.

(٧) الدكتور اسكندر: ''ثورة التاتار الاتراك ضد البلشفية'' (باللغة الروسية) فى ''نشرة'' معهد دراسة الشؤون السوفيتية، العدد ٢، صفحة ١٢٤ ميونيخ عام ١٩٥٢.

(٨) (أ) من محفوظات المؤلف.
(ب) مقال ا. باتال تيموس تحت عنوان ''ر. فخر الدين اوغلو — المفكر والتاريخي الكازاني'' الذى نشر بمناسبة الذكرى العشرين لوفاته. مجلة ''درجي'' عدد ٧ ١٩٥٦، الصفحة ٢٩. نشر معهد دراسة الشؤون السوفيتية، ميونيخ.

(٩) مجلة ''يان مللي يول'' العدد ١٠، الصفحة ٤، طبع برلين ١٩٣٧.

والمكاتب وجميع التوابع مهما كان نوعها ، والاشياء الثمينة ورؤوس الاموال والاسهم والسندات والفائدة المستحقة عليها ، وكل شيء جمع للاستعمال فى المدارس والمعاهد التي جرى ذكرها سابقا(١٠)".

وجرى بموجب هذا القرار اغلاق جميع المدارس (التابعة للجوامع والتي تدرس الامور الدينية فقط) والمكاتب (المدارس الاسلامية التي تدرس امور الدين وغيرها من الدروس) الاسلامية فى بلاد التتر وحظر طبع الكتب الدينية والقرآن وكتب اصول الدين والصلاة وغيرها ، وجرى فى عام ١٩١٨ مصادرة بيوت الطبع الخمس فى قازان من قبل الحكومة ، ويدخل ضمنها دار طبع كاريموف ، التي كانت تطبع القرآن وغيره من الكتب الدينية . وجرى فى عام ١٩١٩ توسيع امر المصادرة هذا حيث شمل دار الطبع والنشر التابعة للمديرية الدينية الاسلامية فى اوفا ودار الطبع والنشر فى اورنبرج .

ولم تكتف السلطات بهذه الاجراءآت بل انها قامت بتحرى بيوت السكن الخاصة وقامت بمصادرة جميع الكتب الدينية التي وجدتها فيها ، وقيل انه "اثناء عمليات التحري فى منازل أئمة الدين صودرت جميع الكتب الدينية باعتبارها مطبوعات مضادة للثورة ، وجرى حرقها علنا . حدث مثل هذا فى قرى كاتاي واتناجول وبوزدياك ونوفو— كارجالي وشلني وغيرها التابعة لمقاطعة بلييفيف السابقة(١١) .

هذا وفرضت ضرائب باهظة على رجال الدين وعلى الجوامع ، ولا يعرف بالضبط عدد الجوامع التي اضطرت لاغلاق ابوابها على اثر هذه الاجراءآت ، كما وانه لم يعرف عدد أئمة الدين والمؤذنين الذين لاقوا حتفهم فى نفس الوقت غير انه من المعروف ان الكثير منهم قد هربوا من الشيوعيين الى منشوريا واليابان وغيرها من البلدان ، وقام هؤلاء اللاجئون من الائمة والحجاج فى مدن هاربين وموكدن وهيلار وطوكيو وكوب وناجويا (فى اليابان) ببناء جوامع ومدارس دينية ملحقة بها — وقد وردتنا هذه المعلومات من مجلة "يان مللي يول" التي طبعت فى برلين فى عام ١٩٣٧(١٢) .

واعدم الشيوعيون المئات والالآف من أئمة الدين الذين لم يتمكنوا من الفرار او الاختباء رميا بالرصاص وبدون أى محاكمة كانت او اجراء اى تحقيق معهم ، وقد تردد على ألسن "القبضايات" الشيوعيين فى ذلك الحين انشودة قصيرة سذجة اعادت الى المخيلة ما حصل اثناء حكم يوحنا الجبار ، والقائلة ما معناه بالعربية : "ماذا ستقول يا عمي الحاج فيما لو وضعت موسكو طوقا حول رقبتك ؟" .

وتم فى عام ١٩١٩ تأسيس جمهورية باشكيريان السوفيتية الاشتراكية المستقلة كما وتم فى عام ١٩٢٠ تأسيس جمهورية التاتار السوفيتية الاشتراكية المستقلة . هذا وبقي فى نفس الوقت ما ينوف عن مليون مسلم تاتارى وباشكيرى والآف عديدة من الجوامع خارج حدود هاتين الجمهوريتين — اى فى المناطق المجاورة لهما . وتعطينا الاحصاءآت التي وردت الينا عن عام ١٩١٧ فكرة واضحة عن عدد هؤلاء الشعوب التترية والباشكيرية ، وعدد الجوامع الخاصة بهم ، هذه الاحصاءآت الواردة فى القائمة التالية تم جمعها من قبل زاكيرقادرى :

---

(١٠) "قوانين وانظمة حكومة العمال والفلاحين" تاريخ ١٩١٧/٢/٢٤ المجلد ٩ الصفحة ١٣١ .
(١١) المصدر : الدكتور اسكندر المشار اليه سابقا .
(١٢) "يان مللي يول" العدد ٤ ، ١٩٣٧ ، الصفحة ١١ ، برلين .

المنطقة	عدد المسلمين التاتاريين والباشكيريين (١٣)
١ — أوفـا	١٧٤٥٨١٣
٢ — قازان	٩٩٩٧٧٥
٣ — سمبرسك	١١٦٣٤٣
٤ — فياتكـا	١٣٦٦٤٩
٥ — سمارا	٢٤٤٢٤١
٦ — اورنبرج	٤٤٩٩٢٥
٧ — بيرم	٧٦٨٥٤
٨ — نيزني نوفجورود	١٧٠٠٠٠

هـذا ولا يوجد اى احصاء لكـل من المنـاطق التاليـة : بنزه ، واستراخان ، وشيليابنسك ، وتامبوف ، وطومسك وطوبولسك وتيومين وساراتوف او لاقضية كـازيمسك وشادرنسك ، وكـان مجموع عدد المسلمين التاتاريين والباشكيريين المسجلين فى هذه المناطق ٣٩٣٩٦٠٠ نسمة (١٤).

وقامت السلطات السوفيتية فى اوائل عام ١٩٢٠ باضطهاد أئمة الدين الاسلامى والمثقفين فى الارياف علنا ، وقـد كـان هؤلاء يحاولـون وضع حد لحرمان الشـعب من اتبـاع دين آبائهم : ”وكـان اول الضحايـا هم ممثلو المثقفين الريفيين من بـين أئمـة الدين ، الائمـة والمؤذنين ثم معلمي المدارس وجميع من عارض نشر الالحاد (١٥)“. حصل هـذا بموجب برنامج معـين جرى املاؤه من قبـل زعماء الحزب . و ”قرار حكومة العمال والفلاحين“ الذى نشر فى عام ١٩٢٠ نتج عنه طرد معلمي الدين من المدارس وسجنهم ، ونص هـذا القرار : ”ان تعليم اصول الدين للاطفال والقصر فى المدارس والـكليات الحكوميـة والخاصة يعاقب . . . بالاعمال الشاقـة لمـدة لا تزيد عن عام واحد (١٦)“. وامل البلاشفة من هذه الاجراءآت حرمان المسلمين من قادتهم الطبيعيين وتركهم بدون ارشاد روحاني ، وبهذا فصلهم عن الدين وابعادهم عن مبادىء الاخلاق الدينية .

وقال الدكتور اسكندر : ”حدثت فى ربيع عام ١٩٢٠ ثورة شعبية من قبل ما يسمى ”بحملة مذارى التبن“ فى جبال الاورال وحوض الفولجا وانتشرت هذه الثورة الى مناطق بنزه وفياتكـا واوفا وسمارا وقازان واستراخان ، وكـان المسبب لهـذه الثورة فى بادىء الامر اعمال ”فرق الغـذاء“ التي ارسلتها موسكو الى قرى هـذه المناطق لجمع الخبز وغيره من المنتوجات الغذائية من الفلاحين (١٧).

---

(١٣) (أ) مقال زاكير قادرى ”ايديل اورال اولـكينز (منطقة فولجا اورال) المنشور فى ”بيراق شوق“ العدد ٣ (١٨) ، الصفحة ٥ ، طبع هاربين عام ١٩٢١ .
(ب) مجلة ”كيزيل تاتارستان“ تاريخ ١٩٣١/١/١٠ ، كـازان .
(١٤) راجع زاكير قادرى ، المشار اليه سابقا .
(١٥) راجع الدكتور اسكندر المشار اليه سابقا .
(١٦) ”قوانين وقرارات حكومة العمال والفلاحين“ موسكو ١٩٢٠ ، الصفحة ٢٢٠ .
(١٧) راجع الدكتور اسكندر المشار اليه سابقا .

ومن المستطاع التعرف الى شدة هذه الثورة من الاجراءآت الشاذة التي اتخذها مجلس العمل والدفاع فى ذلك الحين الخاصة " باعلان الحكم العسكرى فى منطقة قازان (المعروفة فيما بعد بجمهورية التاتار الاشتراكية السوفيتية — المؤلف). واتخذ مجلس العمل والدفاع هذا ، بناء على قرار اللجنة المركزية التنفيذية الروسية الصادر فى الحادى عشر من ايار (مايو) عام ١٩٢٠ ، . . . قرر مجلس العمل والدفاع : اعلان الحكم العسكرى فى جميع منطقة القازان اعتبارا من اليوم (تاريخ ١٩٢٠/٥/٢٨ — المؤلف) : التوقيع ف . اوليانوف (لينين) رئيس مجلس العمل والدفاع ، و ل. فوتيفا ، سكرتير المجلس(١٨) " .

وكانت هذه الثورة الوطنية (وغيرها من الثورات المشابهة) هي السبب فى افناء رجال الدين الاسلامى بالجملة من قبل السلطات السوفيتية ، التي اعتبرتهم بانهم المنظمون للثورات ، وعاملتهم نفس المعاملة التي عاملت بها المواطنين الذين لم يقبلوا الاذعان لثورة اكتوبر .

وضم الحزب البلشفي السوفيتي بين اعضائه المسلمين الشيوعيين التاتار والباشكيريين فى وقت مبكر هو عام ١٩١٨ ، وجارى هؤلاء المسلمين البلاشفة لانهم وضعوا ثقتهم بشعارات البلشفية ووعودها الخلابة ، ولاعتمادهم ايضا على قرارات لجنة الحزب المركزية التي اتخذت فى مؤتمرها المنعقد فى نيسان (ابريل) عام ١٩١٧ ، قرارا يقول بدون غموض : "يجب ان تعتبر جميع الشعوب التي تتكون منها روسيا بانها تتمتع بحقها للانفصال عن الام وتشكيل دولة مستقلة(١٩)".

غير ان هؤلاء المسلمين الشيوعيين الذين نشأوا على الروح الاسلامية من الصغر لم يكونوا ملحدين واستمروا محافظين على مصالح شعوبهم، لذلك فان الحزب البلشفي اخذ يتودد لشعور المسلمين الديني واخذ يعاضد المسلمين الشيوعيين ونرى مثلا : "انه بتاريخ ١٧ كانون الثاني (يناير) جرى اعلان تشكيل مجلس شعبي للمسلمين فى اواسط روسيا(٢٠)" .

وهذا المجلس الجديد طلب من كل فرد الاشتراك فى الحرب الاهلية لتحقيق النصر للشيوعيين ، واصدر نداءا للمسلمين جاء فيه : " اخواننا المسلمين ، باسم حريتكم وباسم تقدمكم الوطني ، اسرعوا للاشتراك فى صفوف المدافعين البسلاء الذين يقومون بحماية قلعة الثورة . . . ليحيى الجيش الاسلامى الاشتراكي: (التوقيع) المجلس الشعبي للمسلمين فى اواسط روسيا(٢١) " .

وقد وقع هذا النداء اول تترى شيوعي وعضو المجلس الشعبي للاقليات سلطان غالييف ، وكان سلطان غالييف هذا ايضا نائب رئيس الاقليات (حين شغل ستالين منصب الرئاسة) وعضو الحزب منذ عام ١٩١٧ ، وهو من الشخصيات الاسلامية البارزة فى الشرق الاسلامى .

ولم يخطر على بال سلطان غالييف وغيره من المسلمين الشيوعيين ان اللجنة المركزية للحزب قد تقوم بنقض احترامها للاقوال والعهود ، ولهذا قاموا بتوحيد شعبهم تحت راية جمهورية واحدة عمادها الاسلام ، وشملوا الجوامع بحمايتهم . والبرهان على هذا يمكننا استمداده من الصحافة السوفيتية التي نشرت اقوالا كالآتية : " رفع الهلال — الذى هو

---

(١٨) " قوانين وقرارات حكومة العمال والفلاحين" الرقم ٥٢ ، الفقرة ٢٣٠ تاريخ ١٩٢٠/٦/١٠ .
(١٩) " الحزب الشيوعي لجميع الاتحاد فى قرارات واحكام المؤتمرات والاجتماعات العامة للجنة المركزية" ، الجزء الاول ، الصفحة ٣٤٥ ، موسكو عام ١٩٥٣ .
(٢٠) ا. ا. بيسيكينا : " المجلس الشعبي لممثلي الاقليات واعماله فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨ " الصفحة ٥٨ ، موسكو عام ١٩٥٠ .
(٢١) " تأسيس الاتحاد السوفيتي — مجموعة الوثائق للمدة الواقعة بين ١٩١٧ و ١٩٢٤ " (باللغة الروسية)، موسكو .

رمز الدين الاسود الشرير — فوق منارة جامع سيوم بيكية بعد الحاح حي سوق التبن المستمر (حي التاتارين) ، وكان هذا تحت اشراف المسلمين الشيوعيين ذوى الميول اليمينية ، وخاصة جهود سلطان غالييف نفسه . وهؤلاء السكان يبدون شعورا حساسا نحو هذا الهلال ويريدون تزيينه بالذهب والفضة . . . غير ان هذا الهلال سوف لا يدنس عمارة تاريخية (منارة جامع سيوم بيكيه(٢٢)) .

ومن هنا نرى مدى الحملة التي شنها الشيوعيون اليساريون على سلطان غالييف وزملائه لانهم حاولوا ان يقيموا سياستهم على مبادىء الاسلام .

وظهرت بوادر عديدة تدل على انقسام لا بد منه فى الحزب ، وهذه البوادر نظرت اليها السلطات الشيوعية المركزية بالاستياء بالنظر لعدم التمكن بعد من اخماد نيران الثورات التي اندلعت فى ذلك الحين . هذا وقد اظهرت الحكومة تراجعا بارعا موقتا حين اوقفت الاضطهاد المكشوف للاسلام وائمته ، واصبح المسلمون لا يضطهدون من اجل عقائدهم ، واصبحت البلاد هادئة نسبيا .

الدور الثاني فى الكفاح ضد الاسلام

الغاء احرف الهجاء العربية — ١٩٢٢ الى ١٩٢٩

أتت السياسة الاقتصادية الجديدة التي اضطرت الحكومة لاتخاذها بتقدم ملموس فى الحالة الاقتصادية للشعب السوفيتي ، بما فيهم المسلمون . وقام المسلمون على اثر عدم اضطهادهم من اجل عقائدهم الدينية باداء فرائضهم الدينية فى بعض المناطق من البلاد ، وعاد رجال الدين الباقون ، الذين كانوا يعملون بالخفاء ، الى العمل علنا ، كما واعيد تصليح الجوامع المخربة .

هذا وكان تدريس اصول الدين لا يزال محظورا فى المدارس غير ان أئمة الدين اخذوا يدرسون الاطفال القرآن واصول الصلاة والشريعة وذلك باعطائهم دروسا خاصة فى بيوتهم ، ويرجع الفضل لتعليم كاتب هذا المقال ، وغيره من المثقفين ، اصول الدين الى هذه الطريقة الشبه خفية . وقد اخفى ائمة الدين والطلاب وآباؤهم عن الحكومة واعضاء الحزب اى دلائل تدل على تدريس الدين بنشاط .

واخذت عودة الديانة الى الحياة تقلق بعض الدوائر الرسمية للحزب — كما ظهر القلق فى التصريح الذى التي امام المؤتمر الثاني عشر للحزب السوفيتي الروسي الذى عقد بين الرابع والسابع من آب (اغسطس) عام ١٩٢٢ ، فقد قال هذا التصريح انه بغض النظر عن ان "الثورة قد سببت شللا ملموسا للعقائد الدينية للطبقة العاملة عندما كشفت عن الدور المعادى للثورة الذى لعبته المنظمات الدينية التاريخية فى خدمة رؤساء الاموال وملاكي الاراضي . . . .

---

(٢٢) مقال مرضي يعقوب تحت عنوان : "لقد حان الوقت لتحطيم الهلال القائم على منارة جامع سيوم بيكيه فى جريدة "كيزيل تاتارستان" بتاريخ ١٩٢٩/٢/١٧ ، قازان .

نرى ان الثلاثين مليون مسلم فى الاتحاد السوفيتي قد حافظوا بلا تبديل على العقائد الخاصة بالدين التي كانت سائدة فى العصور الوسطى (٢٣) ".

وقد اتخذ فى نفس الوقت فى هذا المؤتمر قرار يدعو الى "القيام بدعاية واسعة ومنظمة" تسعى الى اقناع الشعب وتكشف "عن العلاقات بين الفئات الدينية المختلفة وبين مصالح الطبقات الحاكمة" ، وتسعى ايضا للدعوة الى الكف عن "الاستمرار بالآراء الدينية القديمة البالية واستبادلها بآراء علمية واضحة عن الطبيعة والمجتمع الانساني" .

وكان هذا القرار بادرة الحملة التي شنت باستعمال المحاضرات والمحادثات المضادة للدين فى النوادى المختلفة . وبدأت جمعية اصدقاء الصحيفة "بزبوزنيك" (اللا الاهيون) اعمالها واسست لها فى عام ١٩٢٤ فروعا فى مناطق التاتار والباشكيار . وبدأت العمل بين جماعات الشبان بجد ونشاط ونظمت جموع الشبان والشابات فى مجموعات سميت بالرواد وفى رابطة الشيوعيين الفتاة (كومسومول) ، رغبة فى وضع حد لتأثير آبائهم ورجال الدين عليهم .

وبالرغم من هذا الضغط المناوىء للدين وجدنا ان الجوامع التي بقيت مفتوحة الابواب فى القرى والمدن كانت غاصة بالمصلين فى عيدى الفطر والاضحى ، وكان بين المصلين رجال عسكريون وشيوعيون ، ورأينا ان الاسلام لم يفقد شيئا من اهميته لدى السكان المسلمين فى البلاد .

وقررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي فى عام ١٩٢٦ حظر استعمال احرف الهجاء العربية* ، هذه الاحرف ، التي طبع بها القرآن ودونت بها تواريخ وكتابات السكان التاتاريين لالآف السنين ، وكانت حامية للحقائق الدينية والعادات المقدسة للشعب ، والتي جمعت بين الماضي والحاضر ، واستعملتها المدارس العادية وطبعت بها الجرائد والمنشورات السوفيتية . ولاجل فصل الحاضر عن الماضي فرض استعمال الاحرف اللاتينية .

وفى نفس عام ١٩٢٦ ، عقدت اللجنة المركزية لكامل الحزب الشيوعي للاتحاد مؤتمرا تركمانيا فى باكو ، حضره ممثلون عن الاربع عشرة جمهورية اسلامية ، وكان بينهم المعلمون والاساتذة والكتاب واللغويون . وكان يرأس وفد منطقة فولجا والاورال وسيبيريا الكاتب واللغوى المشهور كليمجان ابراجيموف كما ورئس الوفد الباشكيرى شاريبوف الخ . هذا وعينت اللجنة المركزية المتكلم الرسمي لهذا المؤتمر "المستشرق" المزعوم ياكوفليف (٢٤) .

شعرت الوفود للمؤتمر ان تبديل الابجدية قد يساعد الشيوعيين على الفصل بين المؤمنين والاسلام وعلى ابعادهم عن تاريخهم وآدابهم الوطنية ، ولهذا انتقدوا انتقادا مرا الاقتراح القائل باستعمال الابجدية اللاتينية قائلين بانها لا تناسب اللفظ الخاص باللغة التاتارية — الباشكيرية . هذا وقد حدا الاتفاق الاجماعي للمندوبين المثقفين بالمؤتمر الى اتخاذ قرار يحبذ فيه بقاء أحرف الهجاء العربية واستعمالها من قبل الشعوب الاسلامية .

ولم ترض اللجنة المركزية للحزب على هذا القرار الذى اتخذه مؤتمر باكو ولهذا دعت الى مؤتمر تركماني آخر فى طشقند فى عام ١٩٢٧ ، ورفض هذا المؤتمر ايضا استعمال احرف الهجاء اللاتينية .

---

* استعملت احرف الهجاء العربية لاول مرة بين المسلمين فى المناطق المشار اليها فى هذا المقال فى عام ٩٢٢ ميلادى .

(٢٣) المؤتمر العام للحزب الشيوعي فى "قرارات واحكام المؤتمرات والاجتماعات العامة للجنة المركزية" المجلد ١ ، الطبعة السابعة ، الصفحات ٤٣ — ٤٥ مطبعة الحكومة عام ١٩٥٤ .

(٢٤) ا. اسحاقي المشار اليه سابقا ، الصفحة ٤٤ .

وعندما عادت وفود التاتار لدى هـذا المؤتمر الى قازان نشروا ''مذكرة الاثنين والثمانين'' المشهورة والتي وجهوها الى جميع المثقفين فى العالم ، حيث اعلنوا فيها احتجاجهم على الغـاء احرف الهجـاء العربيـة (٢٥) ، وكـان جواب الشيوعيين على هـذا ان قاموا بالتصفية العامـة لادارة المعارف الشعبية واتحاد الـكتاب السوفييت فى جمهوريات التاتار والباشكيار الاشتراكية السوفيتية . واعتقل الـكثير من هؤلاء الذين جرت ''تصفيتهم'' وكـان بينهم ك . ابراجيموف — الـكـاتب واللغوى الذى تحدثنا عنه فى هـذا المقال ، والذى كـان عضوا فى الحزب الشيوعي منذ عام ١٩١٨ ، وقـد توفي هـذا العلامة فى سجن قازان فى عام ١٩٣٩ (٢٦) . وكـان بـين المعتقلين معه اسحاق كـازاكوف ، مدير دائرة معارف جمهورية التاتار الاشتراكية السوفيتية سابقا وايضا سلطان غالييف(٢٧) الذى طرد من الحزب فى عام ١٩٢٣ (٢٨) .

وقـد عقد مؤتمر تركي فى عام ١٩٢٨ فى قازان كما وعقد فى نفس الوقت مؤتمر اخر لشيوعي الجمهورية التاتارية. والقى سكرتير لجنـة الحزب الاقليمية الموقت رازوموف خطابا فى المؤتمر الاخير قال فيه : ''. . . كل اعتراض عـلى استعمال احرف الهجاء اللاتينية يعني اعتراض على الحزب ، كمـا وان النظر بشك الى الاحرف اللاتينية يعني النظر بشك الى سياسة الحزب . . . وقازان هي مركز الـكفاح لدعم الحركـة الداعية الى المحافظة على الأحرف العربية . . .'' (٢٩) وتم بعد مثل هذه الاقوال — التي تعد تهديدا مكشوفا — قبول الاحرف اللاتينية ''طوعا واختيارا''.

وادى الغاء احرف الهجاء العربية الى تأثير ملموس على وضعية وميول عامة الطبقات الاسلامية وحتى على المسلمين الشيوعيين انفسهم ، فقد فتح الـكثير منهم اعينهم ورأوا الشيوعية على حقيقتها — عدوة الحرية .

امـا استعمال الاحرف اللاتينية فقد جعلته المعارضة المحلية امرا صعبا تنفيذه ممـا اضطر السلطات المركزيـة الى اتخاذ وسائل خاصة لتعجيل هذه العملية .

تصفية طبقة المثقفين ١٩٢٩ الى ١٩٣٦

ارسلت اللجنـة المركزيـة للحزب الشيوعي فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٩ لجنة خاصة الى قازان لتقـوم بعملية ''التطهير'' بين الشيوعيين والمثقفين التاتاريين فى جمهورية التاتار ، وكـان بين اعضاء هذه اللجنة رادفوزنيكوفتش وبيترس وفاسيلييف .

---

(٢٥) مجلة ''عزت وطن'' العدد ٢ ، ١٩٥٢ ، الصفحة ١٨ ، طبع ميونيخ .
(٢٦) المرجع السابق ، العدد ٩ ، الصفحة ١٥ . وذكرت عنه مجلـة ''ليتاراتورنيا جازيتا'' الصادرة فى موسكو بتاريخ ١٩٥٧/٧/١٢ ، بانه جرى تبرئة ساحته بعد وفاته .
(٢٧) كـازانلي فى ''عزت وطن'' العدد ٥ — ١٩٥٢ ، الصفحة ٧ ، ميونيخ .
(٢٨) قرارات واحكـام مؤتمر الحزب المجلد ١ ، الصفحة ٧٦٠ .
(٢٩) تقرير رفعـه حميد رشـيد فى الثـالث والرابع من نيسان (ابريل) عـام ١٩٥٤ فى مؤتمر الادباء والعلماء فى نيويورك (نص الخطاب محفوظ فى سجلات المؤلف) .

"والق رازوموف ، سكرتير اللجنة السوفيتية للحزب فى الثاني عشر من تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٢٩ ، خطابا الى "العاملين" فى الحزب اتهم فيه الشيوعيين ذوى الميول اليمينية والبعض من ذوى الميول اليسارية ، بالتعاون مع سلطان غالييف . . . ولم يمر اسبوعان حتى وجد جميع اعضاء مجلس الوزراء ، وعلى رأسهم مختاروف ، وجدوا انفسهم متهمين ومن المشكوك فيهم . . . وبلغ عدد الاشخاص الشيوعيين الاتراك التاتاريين الذين ادينوا بالخيانة حتى هذا التاريخ عدة مئات من الافراد" (٣٠) .

واعطت الجريدة "كيزيل تاتارستان" التي تصدر فى قازان المعلومات عن النتائج التي حصلت عليها عملية "التطهير" هذه واعطت ايضا اسماء الضحايا التالين :

(١) رؤوف صابيروف ، عضو الحزب منذ عام ١٩١٨ ، رئيس اللجنة المركزية للحزب التاتارى الشيوعي من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٣ .

(٢) كشاف مختاروف ، عضو الحزب منذ عام ١٩١٨، ورئيس مجلس ممثلي الشعب (رئيس وزراء) للجمهورية التاتارية الاشتراكية السوفيتية لاعوام ١٩٢٠ — ١٩٢٣ .

(٣) قاسم منصوروف — عضو الحزب منذ عام ١٩١٩ ، وعضو دائرة التحريض والدعاية فى منطقة تاتاريا للاعوام ١٩٢٠ — ١٩٢٣ .

(٤) يانباييف — عضو الحزب منذ عام ١٩١٩ ، ووزير الشعب للزراعة للجمهورية التاتارية الاشتراكية السوفيتية لاعوام ١٩٢٠ — ١٩٢٣ .

(٥) اسحاق كازاكوف — عضو الحزب منذ عام ١٩١٨ ووزير الشعب للمعارف للجمهورية التاتارية الاشتراكية السوفيتية للاعوام ١٩٢٠ — ١٩٢٣ .

(٦) مقداد بروندوقوف — عضو الحزب منذ عام ١٩١٩ .

(٧) والي اسحاقوف — صحفي .

(٨) بديلي — صحفي .

وغيرهم (٣١) .

ولم يتم تبديل احرف الهجاء سوى بعد القيام بعمليات "تطهير" مثل هذه ، وعلاوة على ذلك فقد تطلبت هذه العملية مدة سنتين كما دل على ذلك ما نشرته "كيزيل تاتارستان" حين قالت : "ستطبع ابتداء من الاول من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٠ جميع النشرات الادبية بالاحرف اللاتينية" (٣٢) .

وكان نتيجة تغيير احرف الهجاء من العربية الى اللاتينية ان المسلمين الذين تلقوا علومهم فى المدارس السوفيتية بعد عام ١٩٣٠ لم يتمكنوا من قراءة كتب الدين وكتب الادب القديمة ، ووجدوا انفسهم ايضا غير قادرين على قراءة الكتب والمنشورات التي تصدر فى البلدان الاسلامية الاخرى (كسوريا والعراق ومصر وايران والمملكة العربية

---

(٣٠) مقال شورا باتير : "انحلال الحزب الشيوعي التاتارى فى قازان" (باللغة الروسية) فى مجلة "جورتسي قفقاس" (شعوب القفقاس الجبلية) العدد ١٢ ، الصفحة ٢٠ طبع باريس عام ١٩٣٠ .

(٣١) "كيزيل تاتارستان" تاريخ ١٩٢٩/١١/٥ .

(٣٢) "كيزيل تاتارستان" تاريخ ١٩٢٩/١٢/٣١ .

السعودية والباكستان وافغانستان واندونيسيا وغيرها من البلدان) . وهـذا يعني ان السكـان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي قـد فصل بينهم وبين العقائد والعادات والثقافات التي تختلف ولو ذرة عن تعاليم الشيوعية التي يتلقاها عامة الشعب فى الاتحاد السوفيتي . وقد جمعت فى نفس الوقت الكتب المطبوعة بالعربية من السكـان واعتبرت بانها ''عديمة الفائدة''، وجرى حرقها او طبخها مرة ثانية فى مصانع صنع الورق . هذا وجرى فى نفس الوقت تشكيل المزارع الجماعيـة من قبل الحزب .

ولما كـانت الرغبة هي ازالة اى نفوذ معاكس من قبل رجال الدين على الشعب قام الحزب بشن هجوم قوى ضد الاسلام وامر باقفال الجوامع واعتقال عدد كبير من أئمة الدين . ووصف المؤرخ السوفيتي ن. ا. سميرنوف هذا الدور من التـاريخ السوفيتي بانـه : ''تشتت شمل اتبـاع سلطان غالييف كليـا فى عام ١٩٢٩ عندمـا كـان الهجـوم السوفيتي قائما على جبهـة واسعة ، واتسعت حركـة تأميم الزراعة فى جميع البلاد ، حينما كـان اتبـاع سلطان غالييف يستمدون تأييد الدين الاسلامى وأئمته الرجعيين . فقـد عملوا المستطاع للحـد من توسيع الدعايـة المضادة للـدين وجربوا جهدهم ليبرهنوا على ان الاسلام هو دين عملي وقوى ومفيـد'' (٣٣) .

واتخـذ الحزب اجراءآت فظه فى اضطهاد حمـاة الاسلام والتخلص منهم ، هؤلاء الاشخاص الذين كـانوا يتمتعـون بنفوذ واسع بـين الشعب اذ نرى : ''ان جميع الاعضاء والاعضاء المنتـدبين للحزب الشيوعي التاتارى — ويبلغ عددهم ١٦٫٦٢٠ شخصا — قـد جرى ''تطهيرهم'' ، وكـانت نتيجة عمليـة التطهير هذه ما يلي : التخلص كليا من ٢٫٠٥٦ عضوا ويدخل ضمن هـذا العدد ١٣٠٠ عضو للحزب و ٧٥٦ عضوا منتدبـا و ١٠٨ اعضاء جمعيـة السوفيت الفتـاة . واصدر الحزب اوامر توبيخ الى ٢٫٢٨٣ شخصا . . . وطرد ٢٣٩ موظفا حزبيا او حكوميـا من وظائفهم كمـا طرد هؤلاء من الحزب ايضا . وترك الحزب ٢٦١ شخصا من تلقاء انفسهم اثنـاء البرهـة التي قامت بها عملية التطهير هذه (٣٤)'' .

وكـانت عمليـة التطهير الـتي جرت فى الجمهوريـة الباشكيرية الاشتراكيـة السوفيتية ، والتي ذهب ضحيتها رئيس وزرائها محمد كولوف ونائبه جبريلوف اللذان فصلا عن وظائفهما ، كـانت تستند الى نفس المبادىء وتتبع نفس الطرق التي اتخذتها عملية التطهير فى مناطق التاتار ، وقد جرى هنا ايضا طرد يوريفتش (٣٥) وغيره من لجنة الحزب الاقليمية.

وبعد التخلص من هؤلاء الشيوعيين الذين قال فيهم سميرنوف بانهم حاولوا الادعاء بان الاسلام هو عملي ومفيـد ، لم يجد الحزب اى صعوبة من التخلص من اتباعهم ، وحدث بالفعل فى عام ١٩٢٨ منع المفتي رضاء الدين بن فخر الدين من مزاولة اعماله بينما استمر رسميا كرئيس للمسلمين فى منطقـة اورال والفولجا . . . كمـا وانها لحقيقة معروفـة معرفـة تامـة انه جرى فى المنطقة نفسها اعـدام ١٨٫٠٠٠ من أئمـة الجوامع وتم اغلاق عدد كبير من الجوامع او هدمها (٣٦)'' .

---

(٣٣) ن. ا. سميرنوف : ''مقـالات عن تاريخ الدراسات الاسلاميـة فى الاتحـاد السـوفيتي'' الصفحات ١٦٣ و ١٦٤ ، طبع معهد العلوم السوفيتي ، موسكو عام ١٩٥٤ .

(٣٤) ''كيزيل تاتارستان'' تاريخ ١٩٣٠/٤/٢٠ .

(٣٥) جريدة ''كوميونا'' تاريخ ١٩٣٠/٤/١٤ ، الصادرة فى اوفا .

(٣٦) مقال ج. فيزولين تحت عنوان ''آخر مفتي حر فى ايديل اورال'' فى نشرة معهد دراسات الشؤون السوفيتية، العدد ١ الصفحة ١٠٣ طبع ميونيخ عام ١٩٥١ .

والمعلومات الواردة فى الجرائد السوفيتية لذلك الوقت تدل على مدى الاضطهاد الفعلي المنظم لدين التاتاريين الباشكاريين اذ "... جرى طرد ٥٠٢ من أئمة الدين و ٣٦٣ مؤذنا من وظائفهم واغلق ١٠٣ جوامع"(٣٧). واغلق فى اوفا، عاصمة الباشكيار، احد عشر جامعا فى ايار (مايو) عام ١٩٣٠ (٣٨).

"وجرى تحويل الجامع الواقع فى مستعمرة العمال فى بيش بالطه، التي تقع بالقرب من قازان، الى ناد(٣٩)" وارسل امام هذا الجامع عبد الله امير خان الى معسكر اعتقال يقع على القناة الواقعة على البحر الشمالي ولم يعد الى بلدته من هذا المنفى سوى بعد مرور عشرة اعوام من تاريخ نفيه، هذا وقام الشعب باطعامه خفية، وتوفي بعد ستة أشهر من عودته(٤٠)

"وفى مدينة منزلة، من اعمال الجمهورية التاتارية، جرى تحويل جامعها الى دار للتدريس ويرفرف العلم الاحمر الاشتراكي على هذا الجامع بدلا من الهلال". (٤١) "اما فى منطقة جشمه، فى مقاطعة اوفا، فقد حولت ستة من جوامعها الى نواد او مدارس بمناسبة الذكرى العاشرة للنظام السوفيتي"(٤٢). واغلقت خمس جوامع فى قضاء ابزيانسك فى منطقة اوفا بمناسبة الذكرى العاشرة لقيام النظام السوفيتي."(٤٣) وجرى اغلاق ٢٣ جامعا فى القرى المختلفة الواقعة فى باشكيريا بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لثورة اكتوبر، وحوّلت هذه الجوامع حاليا الى نواد ومدارس"(٤٤).

"وهرب الشيخ خليل من قرية طوبيل طوره فى مقاطعة توبولسك الى تركستان فى عام ١٩٢٩ يصحبه عدد من اتباعه. واغلق الجامع فيها. وفى عام ١٩٢٩ هرب الشيخ كاظم خالدوف من توبولسك الى طشقند"(٤٥).

واستمر فى عام ١٩٣٠ اضطهاد أئمة الدين الاسلامى والمؤمنين بالدين من قبل الشيوعيين وقالت مجلة الحزب "زيتياكشي" (القائد) انه تم فى عام ١٩٣٠ اغلاق اكثر من ٥٠ فى المائة من الجوامع الكائنة فى الجمهورية التاتارية. اما فى قازان فى الوقت نفسه فقد اغلقت الجوامع الاثنان والعشرون الواقعة فيها(٤٦)، وسبق اغلاق هذه الجوامع عقد مؤتمر لمعلمي المدارس نظمه الشيوعيون لقصد اتخاذ قرار لاغلاق هذه الجوامع." واتخذ فى الحادى والثلاثين من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣١، قرار فى مؤتمر معلمي المدارس المعقود فى قازان (والذى حضره

---

(٣٧) المقال تحت عنوان "الاخبار من الوطن" المنشور فى مجلة "يان ميللي يول" العدد ٥ برلين عام ١٩٣٠، والتي اقتبست الخبر عن جريدة "يان اورال" الصادرة فى اوفا عام ١٩٢٩.

(٣٨) تقرير الدكتور اسكندر الذى قرأه على اللاجئين فى ميونيخ عام ١٩٤٨ (فى محفوظات المؤلف).

(٣٩) "كيزيل تاتارستان" تاريخ ١٩٢٩/١١/٢٣ — قازان.

(٤٠) ا. ا. ذكريات احد المواطنين من مستعمرة بيش بالطه (فى محفوظات المؤلف).

(٤١) جريدة "اجنشي" تاريخ ١٩٢٩/١١/٢٠ — قازان.

(٤٢) جريدة "يانا اول" تاريخ ١٩٢٩/١٠/١٣ — اوفا.

(٤٣) جريدة "يانا اول" تاريخ ١٩٢٩/١١/١٥ — اوفا.

(٤٤) جريدة "يانا اول" تاريخ ١٨ و ١٩٢٩/١١/٢٤.

(٤٥) ا. يوسوفوجلو حسب المعلومات الواردة من معلم فى طوبولسك (المحفوظة فى سجلات المؤلف).

(٤٦) المقال "الانباء من الوطن" فى مجلة "يان ميللي يول" العدد ٥ — برلين — التي استقت معلوماتها من مجلة "دزيتياكشي" عام ١٩٣٠ — قازان.

١٥١ شخصا فقط — المؤلف) طلبوا فيه من الحكومة اغلاق الجوامع التالية : الكزيل والآك والمرجاني وزنجر وزيارات ويان بسته وغيرها" (٤٧) .

والحقيقة الواقعة هي : ان اغلبية هذه الجوامع لم يجر اغلاقها فقط بل وجرى هدم بعضها كما اخبرنا الكاتب الالماني (والسوفيتي سابقا) تيودور بليفير فى روايته المعروفة "موسكو" (٤٨) ، وقد زار هذا الكاتب قازان فى عام ١٩٤١ .

ولم تأخذ السلطات البلشفية بالاعتبار عند هدم هذه الجوامع بانه قد يكون الكثير منها ذا قيمة تاريخية او فنية كبرى ، ونعلم مثلا "ان منارة جامع ايزيم ، التي تعتبر من اجمل الابنية الفنية فى قازان ، قد هدّمت بناء على طلب العمال الروس الذين يعملون فى مصانع فاكيتوف* واستعملت بناية المسجد فيما بعد كمصنع" (٤٩) .

واعمال التخريب ونهك الحرمات هذه ، كهدم الجوامع ، جرى تبريرها بحجة انها ضرورية لايجاد مكان للمدارس . هذا وقد قالت الصحافة السوفيتية بوضوح ان مثل هذا التخريب لم يأت بفائدة ملموسة للمدارس ، وكانت العمارات المتطلبة لها قليلة حقا. "فهنالك مثلا ٤٧ مدرسة فى محافظة توبولسك (اوكروج) بينما يبلغ عدد سكانها التاتاريين ٢٨٫٠٠٠ نسمة ، كما وانه لا توجد عمارات كافية لجميع هذه المدارس اذ ان ٢٠ ٪ منها تعمل فى عمارات كانت جوامع سابقا و ٤٠ ٪ فى بيوت سكن خاصة (٥٠) " .

ويتضح من المعلومات المتفرقة التي حصل عليها مؤلف هذا المقال من المصادر السوفيتية بان الوضعية الخاصة بهدم الجوامع او اغلاقها بالجملة يؤيدها تأييدا تاما ما قاله احد اساتذة مدرسة ما فى توبولسك ، والذى اشار اليه الكاتب يوسوفوجلو فى مقاله الذى ورد فيه : "انه لم يبق حتى عام ١٩٣٢ جامع واحد مفتوح الابواب فى المنطقة الواقعة بين سفيردلوفسك وفلاديفوستوك . . . "

وقد اغلق ٥٧ جامعا فى منطقة توبولسك وثلاثة عشر جامعا فى منطقة تيومين واربعة اخرى فى منطقة تارسك . ومجموع هذه الجوامع التي يبلغ ٧٤ جامعا قد جرى اغلاقها فى المدة الواقعة بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٣١ (٥١) . كما وذكرت جريدة "كيزيل تاتارستان" فى عام ١٩٣١ : "انه حتى عام ١٩٣٠ تقدمت عملية اغلاق الجوامع تقدما ملموسا ، ففي ناحية (رايون) شيستوبولسك مثلا جرى اغلاق ١٥٣ جامعا" (٥٢) .

و بموجب المعلومات الواردة فى كتاب نشره س. بودجانيي ان عددا كبيرا من أئمة الدين الاسلامى قد جرى نفيهم الى معسكرات الاعتقال ، وذكر ان "جماعة الاقليات فى هذه المعتقلات ، التي تتألف من التاتاريين من

---

(٤٧) المقال تحت عنوان "الانباء من الوطن" المنشور فى مجلة "يان مللي يول" العدد ١ طبع برلين عام ١٩٣١ — المستقية اخبارها من جريدة "كيزيل تاتارستان" طبع قازان عام ١٩٣١ .

(٤٨) تيودور بليفير "موسكو" الصفحة ٤٨٧ ، طبع كورت ديش ميونيخ عام ١٩٥٢ .

* الذين حاولوا سابقا اغلاق كنيستين ارثوذكسيتين — المؤلف .

(٤٩) "كيزيل تاتارستان" تاريخ ١٩٣٠/١/٥ — قازان .

(٥٠) مقال بازى جاريفولين تحت عنوان "وضع المدارس التاتارية فى محافظة توبولسك" المنشور فى مجلة "ماجاريف" العدد ١٢ ، كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٣٠ .

(٥١) مقال ا. يوسوفوجلو : "هدم الكنائس الارثوذكسية والجوامع فى سيبيريا" فى مجلة "هيرالد" التي ينشرها معهد دراسة الشؤون السوفيتية ، العدد ٢ ، عام ١٩٥٤ الصفحات ١١١—١١٣ طبع ميونيخ.

(٥٢) "كيزيل تاتارستان" تاريخ ١٩٣١/٢/٢١ — قازان .

قازان وشبه جزيرة القرم ، والتي يرأسها سلطان غالييف وغيره ممن نفوا فى عامى ١٩٣٠ و ١٩٣١ (اى البرهة التي حولت بهـا الاراضي الى مزارع جماعية والتي اثنائها بدلت الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية) كـان ضمنها أئمة الدين والشخصيات الدينية المهمة ، وقد جرى نفي الفئة الاخيرة فى الوقت الذى بلغ فيه اضطهاد الدين ذروته وبالاخص اضطهاد الدين الاسلامى الذى سعى للوقوف فى وجه الاجراءآت التي اتخذها الحزب الشيوعي (٥٣) ".

ونفي الى سيبيريا فى عام ١٩٣٠ فضيلـة الشيخ حسن قاضي محتسب منطقتي توبولسك وتايمين ، وكـان هـذا الشـيخ فيما مضى امام قريـة كيزيل بي (٥٤) . وحصل فى نفس العـام ايضا مراقبـة المفتي رضا الـدين فخر الدين مراقبة شديدة من قبـل قوات البوليس السرى (اوجبو) .

وارسلت موسكو فى بادىء الامر " محرضين " من قبل الحزب ليقوموا بالقضاء على المقاومـة العنيده الـتي ابداها الفلاحون التاتاريون ضد تحويل الاراضي لمزارع جماعيـة ، واوعزت لهؤلاء المحرضين تخليص منطقة تاتاريا من ملاكي الاراضي (كولاك) ، وغيرهم ممن يعارضون فى تأسيس المزارع الجماعية (٥٥) . وقـد تأكد النجاح لهؤلاء المحرضين اذ نرى مثلا انه بعد وصولهم بثلاثة ايام نشرت جريدة " كيزيل تاتارستان " بمناسبة المهرجان المعروف " بيوم المرأة " مقالا خاصا اتت فيه بفقرة القصد منهـا احداث تأثيرات ملموسة لدى دعاة الالحاد ، وقالت الجريدة تشجيعا للنساء اللواتي اجبرن على تربية الخنازير : " لقد قهرت المرأة التاتارية الاله والانبياء وائمة الدين وملاكي الاراضي، وانتصر الخنزير على القرآن (٥٦) " .

وهذا الـكفر الفاحش والاعمال الوحشية فى هدم الجوامع والقضاء على ائمة الدين بالجملة لم تمر بدون ان يلاحظها العالم الخارجي ، فقد نشرت فى الصحف الاجنبية الاحتجاجات ضد السياسة الغير انسانية التي يتبعها الحزب الشيوعي وسجل المؤتمر الاسلامى الذى عقـد فى القدس فى عام ١٩٣١ احتجاجا على الوسائل الـتي اتخذها الشيوعيون فى الاتحاد السوفيتي ، وخطب امام هذا المؤتمر عدد من اللاجئين كـان بينهم ا. اسحاقي من قازان وس . شاميل من شمال القفقاس.

وقامت ايضا فى عام ١٩٣١ ثورات عمال عامة وشاملة فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتي وخاصة فى منطقتي تاتاريا وباشكيريا ، وكـانت هذه الثورات تمثل مقاومة مستميتة ضد تأسيس المزارع الجماعية بالعنف وما لها من تأثير على عامة الشعب ، وكـانت هذه الثورات ايضا تمثل رد فعل الشعب على السياسة التي اغضبت شعورهم الديني واضطهدت الحرية الشخصية .

ولقـد اضطرت هذه الثورات الداخلية واحتجاجات الرأى العام فى العالم الحر اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الى تبديل سياسته مجددا نحو الدين عامة والاسلام خاصة . وقام الشيوعيون بمحاولتهم لخدع العالم باتخاذ العمل الفظ التالي: دعي فى عام ١٩٣١ المفتي رضاء الدين فخر الدينوف الى موسكو حيث طلب منه ، بحضور موظف فى مصلحة البوليس السرى الروسي . . . التوقيع على بيـان جاء فيـه ان الدين يتمتع بحريـة تامـة ضمن الاتحـاد السوفيتي وان التقارير

---

(٥٣) كتاب س. بودجانيي تحت عنوان " الادباء الاوكرانيون فى معتقلات سولوفسكي " (باللغة الروسية) ، الصفحة ٢٦ ، نيو أولم ــ عام ١٩٤٧ .
(٥٤) من محفوظات المؤلف (المعلومات الوارده من مدرس فى طوبولسك).
(٥٥) جريدة " كيزيل تاتارستان " تاريخ ١٩٣٠/٣/٥ ــ قازان .
(٥٦) " كيزيل تاتارستان " بتاريخ ١٩٣٠/٣/٨ ــ قازان .

الواردة فى صحف الغرب والـتي تشير الى اضطهاد الدين وأئمته مـا هي الا خرافات دنيئة . ورفض هـذا المفتي طلب موظف البوليس المذكور رفضا باتا . . . قائلا ''عليك اولا فتح ابواب جوامعنا واعادة أئمتنا الينا ، وعندها اوقع على هذه الوثيقة'' (٥٧) .

وضعيـة الـديـن الاسـلامي
فى المناطق التى تقع خارج حدود الجمهوريات التى تم تشكيلها حديثا

قلنـا سـابقا ان عـددا كبيرا من شـعوب التاتار الاتراك بقـوا خارج حدود جمهوريتي التاتار والبـاشكير حين تاسيسهما وكـان هؤلاء المسلمون يمارسون واجباتهم الدينية بانتظام كما وانهم كـانوا موزعين فى جميع المناطق الاوروبية فى روسيا السابقة . وكـان هنالك جوامع فى مدن كثيرة مثل موسكو ومنسك وتاللين وريجا وكوناس ووارسو واوديسا وخركوف وروستوف ونوفوسيبرسك وكرازنوبارسك وغيرها من المـدن ، كمـا وكـان فى بعض هذه المدن عدة جوامع . واول جامع فى مدينة سانت بطرسبورغ (المعروفة حاليا بلييننغراد) تمّ بناؤه فى القرن التاسع عشر للميلاد وقد بني جامع آخر بالقرب من ثكنات الجيش فى تلك المدينـة ليجرى استعماله من قبل العساكر المسلمين . وبني الجامع الثالث ، الذى هو اكبرها ، بناء على ايعاز من سيد أمير عليم خان ، أمير بخارى ، ومن التبرعات التي قدمها المسلمون فى سان بطرسبورغ وقازان واوفا واورنبورغ وغيرها من المدن . ويمتاز هذا الجامع بجمال بنائه ، الذى تفخر به المدينة نفسها .

غير انّ هذه الجوامع قد هدمت او انها استعملت لاغراض اخرى اذ نرى ''انه اثناء الثورة جرى تحويل جامع لييننغراد الجميل الى مستودع المـأكولات ولم يفتح ابوابه حتى بعـد الحرب الاهلية ، وعلى اثر اصرار سكـان المدينة المسلمين . هـذا وجرى اغلاق هذا الجامع اثنـاء حكم يينزوف الارهابي (فى عام ١٩٣٦) وحول الى مستودع للعلف ليجرى استعماله كذلك من قبل حامية لييننغراد'' (٥٨) .

واستعملت الحكومة السوفيتية مثل هذه الوسائل الهمجية فى الارياف كما ذكر الاستاذ ا . م . وهو معلم فى مدرسة تاتارية تقع خارج حدود الجمهورية التاتارية حين قال '' انـه كـان يوجد فى قرية اسكي كولات فى منطقة كويبيشيف ثلاثـة جوامع ، حولت هذه فى عام ١٩٣٠ الى مستودعات ، كما وان الامام صاليحوف ارسل الى معسكر للاعتقال يقع فى ماجادان . هذا وكـان فى شجرادان ، القصبة الاقليمية لجمهوريـة شوفاش ، خمسة جوامع اغلقت جميعهـا فى عـام ١٩٣٠ ، وحوّل اقدمها الى زريبة لايواء الخنازير كما وهدمت ثلاثة منها واستعملت مـواد البناء الموجودة فيهـا لبنـاء سكن لافراد السوفييت المحليين . امـا الامام صالحوف فقـد اتهم بالاشتراك فى ثورة الفـلاحين ''ثورة حملـة المذارى'' فى السنين الكـائنة بـين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٣٠ ، واعدم رميا بالرصاص . وحدث فى عام ١٩٣٥ فى قرية طوكي من نفس المنطقة اعتقال وسجن الملا قيوم بختمير ، ثم اطلق سراحه وعيّن حارسا على مستودعات المزارع الجماعية .

---

(٥٧) مقال كـازانلي تحت عنوان '' رضاء الدين فخر الدين ــ الذكرى الخامسة عشرة لوفاته'' فى ''عزت وطن'' العدد ٢ عام ١٩٥٢ ، الصفحة ١١ طبع ميونيخ .

(٥٨) اذاعة التحرير تاريخ ١٩٥٦/٨/٢٤ .

"اما مدينة كاسيم فى منطقة ريازان فكان فيها جامعان، جرى اغلاق اقدمها كما وحوّل الثاني الى ناد. وحوّلت ايضا الكثير من جوامع القرى فى منطقة كاسيم الى نواد ومدارس".

"واعتقل فى عام ١٩٣٠ أئمة الدين فى قرى كبكا وسوك سو وأكتوك (محافظة سيركاش وقصبة كورجي) كما واغلقت الجوامع فيها(٥٩)".

وهذه المعلومات التي ادلى بها الاستاذ ا. م. قد اثبتت صحتها الصحف السوفيتية التي تصدر فى جمهورية التاتار الاشتراكية السوفيتية كما يستدل على ذلك من المثال التالي: "كان عدد السكان التاتاريين الذين يقطنون منطقة جوركي (نيزني نوفجورود) فى عام ١٩٣١ قرابة ١٧٠ر٠٠٠ نسمة... عمل غالبيتهم فى مصانع سورموف وغيرها، وكان الباقون منهم يقطنون القرى. هذا وكان المسلمون يكونون جميع السكان فى منطقتين، ففى احدهما (شودان) كان هنالك ٢٣ر٠٠٠ تترى وفى الاخرى (كرازني اوكتيبر) كان هنالك ٣٠ر٠٠٠ نسمة... ووجدت مدارس متعددة (تشغل عمارات الجوامع سابقا — المؤلف) غير انه للاسف لم يكن هناك معلمون(٦٠)".

وقلة المعلمين هذه كان سببها استعمال الاحرف اللاتينية ابتداء من الاول من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٠، وايضا اضطهاد عدد كبير منهم، اما رميا بالرصاص او النفي الى معسكرات الاعتقال.

ويمكن ان يقال بالتاكيد ان السكان المسلمين الذين يبلغ عددهم ١٧٠ر٠٠٠ نسمة، كان لديهم قبل عام ١٩١٧ ما لا يقل عن ٢٠٠ جامع هدّمت من قبل النظام الشيوعي كما وقضي على رجال الدين الذين كانوا يشرفون عليها.

وقال ا. صافى، أحد رؤساء المزارع الجماعية، ان استراخان كان بها عدة جوامع، اقدمها واهمها هو المعروف بجامع كارا (الذى يعود تاريخه كما يظهر الى عهد الامراء الاستراخانيين) وكذلك جامع كزيل وغيرهما. وقد اغلقت ابواب جميع هذه الجوامع(٦١).

فهذه المعلومات المشار اليها سابقا — أكانت من اقوال الصحف السوفيتية ام شهادة عيان ادلى بها اللاجئون من الاتحاد السوفيتي — تمكنا من ان نقول بالتأكيد انه لم يبق هناك حتى غاية عام ١٩٣٥ أى جامع او امام دين فى القرى والمدن التي يقطنها السكان المسلمون. ونشرت المجلة التي تصدر فى برلين تحت اسم "يانا مللي يول" تقريرا يؤيد تأييدا تاما هذا القول حين قالت: اغلق حتى عام ١٩٢٩ سبعة آلاف جامع فى منطقة ايديل اورال (فولجا اورال) من اصل الثمانية آلاف جامع التي كانت بها، كما وانه لم يبق امام واحد ليقوم بفرائض الدين او ان يؤدى صلاة الميت او تسمية الاطفال الذين يولدون حديثا"(٦٢).

والانباء التي وردت الينا عن الاحوال فى السنين التالية اشارة الى انه لم يجر هدم جميع الجوامع، بل بقي عدد قليل منها قائما. اما ما يختص بالديانة، التي اخذ الشعب يمارسها خفيّا، فقد جرى المحافظة عليها فى بعض الاماكن، كما وتمسك السكان المسلمون بعقائدهم الدينية. وكانت الصحف السوفيتية تنشر بين الآونة والاخرى رسائل تدل

---

(٥٩) من محفوظات المؤلف.
(٦٠) "كيزيل تاتارستان" تاريخ ١٩٣١/١/١٠ — قازان.
(٦١) من سجلات المؤلف.
(٦٢) مقال ا. اسحاقي "الانباء من الوطن" فى "يان ميللي يول" العدد ٦، عام ١٩٣٠، الصفحة ٣١، برلين.

عـلى مدى تخوفها من استمرار هذه الاعتقادات. وقالت احدى الجرائد مثلا: ''ان الدعايـة ضد الدين بـين اطفال التتر فى المدارس الواقعة فى نوفوسيبرسك فى اواسط سيبيريا كـانت غير ناجعة، كما كـان يتغيب عن هـذه المدارس اكثر من نصف الطلاب اثناء عيدى الفطر والاضحى''(٦٣). هذا وقالت جريدة اخرى: ''لم يقم رئيس المزرعة الجماعية فى قريـة كيزيل شرق (التابعة لمنطقة يالاتور فى محافظة الاورال) بهدم المأذنة الواقعة فوق عمارة النادى (التي كـانت جامعا فيما مضى — المؤلف) وعندما سئل عن السبب فى عدم ازالة هذه المأذنة اجاب بان مثل هـذا العمل قـد ينتج عنه تشويه لجمال البناء''(٦٤).

هذا وقالت جريدة ثالثة ''ان ملا اوثياش، وهي القرية الواقعة فى منطقة جشميا، مشغول الان فى عمل الدعاية لبنـاء جامع جديد. كما وان الملا فى قرية وزير توش، الكـائنة فى منطقة شيشتوبولك، ينشر الدعاية الآن لترميم الجامع القديم الموجود فى تلك القرية، ويسنده فى هـذا العمل السكـان أنفسهم، كما وتم جمع مبلغ من المال لهـذه الغاية''(٦٥).

وطرد اثنـاء هـذه البرهة عـدد كبير من رؤساء المزارع الجماعيـة ونفوا الى معسكرات الاعتقال لانهم قاموا بحمى الدين ولم يقوموا بوضع حد لنشاط رجال الدين الاسلامى، كما وصفنا سابقا. هـذا ولم تقفل مديرية الشؤون الدينية الاسلامية ولم يطرد رئيسها المفتي فخر الدين بالرغم من وجهة نظره الواضحة والقائلة بان النظام الشيوعي هو نظام مبدأه اضطهاد الدين. وهـذا العمل يدل على انه اثناء هذا الوقت المبكر من تاريخ البلاد لم يفت نظر ساسة الحزب فائدة الابقاء على بعض مظاهر ''الحرية الدينية'' لخدمة مصالح السياسة الخارجية.

ارهاب يزوف والمدة الواقعة قبل الحرب العالمية الثانية - ١٩٣٥ إلى ١٩٤١

انه لمن الجلي للجميع ان المدة التي ساد بها ارهاب يزوف قد اتصفت بثبات حماة الاسلام البسله فى وجه الهجوم الوحشي الذى شنته الحكومة الملحدة للقضاء على اى أثر لكـل عقيدة غريبة عنها، وفى هذه البرهة اخذ رجال الدين الباقون على قيد الحيـاة فى العمل خفية كما وان المفتي الباسل فخر الدين حاول طبع بعض الكتب الدينية بالاحرف اللاتينية ولكن السلطات رفضت السماح له عمل ذلك. وبالرغم من هذا فقد جرى طبع ونشر بعض نسخ سيئة الطبع، وجرى توزيعها خفية بين المؤمنين من المسلمين، وذكرت الصحف السوفيتية تقارير كـالتقرير الآتي:

''ان الدين الاسلامى لا يزال قويا بين الشعب وان بعض الشيوعيين يذهبون الى الجوامع ويقومون باداء فرائضهم الدينية، ونرى مثلا انه فى العام الماضي (١٩٣٦ — المؤلف) ألقى رئيس الادارة الدينية (يعني المفتي فخر الدين — المؤلف) أحاديث موجهـة ضد البلشفيك فى منطقة يانا اول، حيث وجدنا عـلى اثرها طلب الفـلاحين الجماعيين من

---

(٦٣) جريدة ''عزت صبر'' تاريخ ١٩٣١/٣/٣٠ — نوفوسيبرسك.

(٦٤) ''يان ميللي يول'' العدد ٩ عام ١٩٣٤ الصفحة ٣١، طبع برلين كما استقت الخبر من ''كوميونست'' تاريخ ١٩٣٤/٦/١٢ الصادره فى اوفا.

(٦٥) ''كيزيل تاتارستان'' تاريخ ١٩٣١/٢/٢١ — قازان.

عدد من القرى فتح ابواب الجوامع . امـا فى منطقة ماليوز فقد قام أئمة الدين بالحصول على تواقيع السكـان طالبين فيها فتح الجوامع. وكثيرا ما يحدث ان تمتلىء هذه الجوامع فى بعض الاعياد الرسمية بالمصلين ، كمـا ويتغيب الطلاب عن المدارس . ويقول رؤساء المزارع الجماعيـة ان الحركـات الموجهة ضد الدين لم تعد بالفائدة الكبرى وان الوقت لمثل هذا قد زال ،،(٦٦) .

وعملية جمع التواقيع المشار اليها جرت فى عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ من قبل أئمة الدين (وكـان عددهم قليلا) ومن قبل المؤمنين أنفسهم لحد كبير .

واستعملت الصحف الروسية تقارير مراسليهـا المحليين ووصفهم للحركـات الدينية بين السكـان لكي تقـوم بشن هجوم جديد ضد الاسلام . ففي عام ١٩٣٧ اتهمت جريدة ،،كومسومولسكـايا برافـدا،، رجال الدين المسلمين بانهم يسعون للمحافظة على الخرافات الدينية والقيـام باعمال واسعة بين النشيء الجديد ، كمـا وقالت ان الاعياد الدينية لهـا معنى اجتماعي ، وان السكـان المسلمين لم يتوجهوا الى اشغالهم مـا دامت هـذه الاعيـاد مستمرة ، كمـا وان اطفالهم تغيبوا عن مدارسهم(٦٧) .

وذكر رامازانوف ، رئيس جمعيـة قازان الالحاديـة المحاربـة ، فى تقريره عن موجة الاضطهاد المكشوف الجديـدة للاسلام حيث قال : ،،عدل الحزب فى السنين القليلة السابقة ، وكذلك منظمات جمعيات السوفيت الفتاة ، عن اعمال الدعاية ضد الدين ، كما وازدادت زيارات الجوامع بين السكـان ، وخاصة النشيء الحديث منهم والطلاب . . . وان الخلايا المحلية لاتحاد الالحاديين فى القرى والمدن لا تقوم بعمل اى شيء . . .،،(٦٨) واستطرد رامازانوف هذا مقترحا اتخاذ قرار لتقوية اعمال هـذه الخلايا ، وكـان هذا الاقتراح يحتوى على خمس عشرة نقطه يدخل ضمنها الفقرات التالية:

اولا: أن يجرى نقل مجلس تحرير مجلـة ،،فوستوفيوسي بيزبوزنيك (الالحاديـة المحاربـة) من موسكو الى قازان.

ثانيا: أن يجرى تدريب الاشخاص القائمين باعمال الدعاية ضد الدين .

ثالثا: على المدارس ان تكرس وقتا خاصا فى برامجها للدعاية ضد الدين ، الخ (٦٩) .

وبدأت تظهر المقـالات فى صحف جمهوريتي باشكيريا والتاتار الاشتراكيتين السوفيتين وفى صحافـة مـوسكو وهي تحرض قراءها على مقاومة الاسلام . وكـان الغرض من هذه المقالات هي الاساءة الى الذين يتبعون هذا الدين مدعية انهم ،،طبقة اجنبية،،. وقالت فيهم احدى الجرائد : ،،ان الاسلام هو دين الاغنياء وملاكي الاراضي وان ائمة الدين المسلمين يقومون بالمحافظة على الخرافات القديمة،،. (٧٠) وقد توفى فى هذا الوقت رئيس ادارة الدين المفتي رضاء الدين

---

(٦٦) جريدة ،،كرازنايا باشكيريا،، تاريخ ١٩٣٧/٤/٢٤ طبع اوفا .

(٦٧) ،،يان مللي يول،، العـدد ٩ عام ١٩٣٧ الصفحات ٢٤ و ٢٥ ، برلـين . نقلا عن مقال تحت عنوان ،،جذور طبقات الشعب فى الاسلام،، المنشور فى جريدة ،،كومسومولسكـايا برافدا،، بتاريخ ١٩٣٧/٧/٣٠، الصادره فى موسكو .

(٦٨) ،،كيزيل تاتارستان،، تاريخ ١٩٣٧/٥/٢٠ ـ قازان .

(٦٩) نفس المرجع السابق.

(٧٠) ،،يان مللي يول،، العـدد ٩ عام ١٩٣٧ ، الصفحات ٢٤ و ٣٥ — برلين — مشيرة الى المقال تحت عنـوان ،،جذور الطبقـات الشعبيـة فى الاسـلام،، المنشـور فى ،،كومسومولسكـايـا برافـدا،، بتـاريخ ١٩٣٧/٧/٣٠ — موسكو .

فخر الدين فى احوال يكتنفها الغموض(٧١) . ويقول سكان اوفا انهم لا يعلمون اى شيء عن تاريخ وفاته او يوم دفنه ، ولم تذكر الصحافة السوفيتية هذا الحادث الجليل ، ونرى ان السلطات السوفيتية وجدت من المستحسن ان تخفي وفاة هذا الرجل العظيم الذى قال عنه المستشرق الالماني المشهور البروفيسور بارتولد سبولر فى مقال له نشرته فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٦ مجلة ''اوست يوروبا'' ما يلي : ''تمثل وفاة المفتي رضاء الدين فخر الدين خسارة عظمى للمسلمين فى الاتحاد السوفيتي ، فهم خسروا بهذا قائدا اسلاميا لامعا وايضا علامة نابغة وسياسيا محنكا ومربيا كبيرا''(٧٢) .

اما المفتي الذى انتخب مكانه فكان عضوا فى المديرية الدينية الاسلامية وهو القاضي كشاف ترجماني وهو الشخص الذى قام اثناء حكم الارهاب السائد بمساندة الحياة الدينية التي تبعها اخوته فى الدين ، وان جميع الوسائل التي اتخذها الشيوعيون فى محاربة الدين لم تتمكن من قهر معنويات المفتي او البقية الباقية من أئمة الدين ، ونرى ان وسائل القتل فى الخفاء والنفي لم يتأت عنها اجبارهم عن التخلي عن وظائفهم الدينية ، او العدول عن اعطاء دروسهم الدينية ، والسكان المسلمون بما فيهم المثقفون من التاتار والباشكريين (والذى شغل كثير منهم وظائف عالية فى مكاتب الحكومة) استمروا جميعا مخلصين للاسلام .

ويعتبر المقال الذى نشرته جريدة ''ازفستيا'' بتاريخ ١٧ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٧ ، مثالا رائعا لهذا الاستفزاز ، وكان عنوان المقال ''الطبقة الوسطى الوطنية الباشكيرية وحماتها'' حيث ادعت فيه الجريدة ان وفاة احد ''زعماء'' الديانة الاسلامية (وتعني بهذا احد اعضاء المديرية الدينية الاسلامية فى اوفا ـ المؤلف) ودفنه قد استعملا كأسباب تبرر عقد مؤتمر غير مشروع للمواطنين من الطبقة الوسطى. وقال كاتب المقال ان هذا المؤتمر حضره فاتح كريمي* وبصحبته زمرة من الجواسيس الوطنيين وقد استقبلهم تاجيروف فى مكتب رئيس اللجنة التنفيذية المركزية الباشكيرية. وحدث فعلا ان اقام كريمي هذا فى الشقة التي كان يسكنها تاجيروف . . . وجرى فى الختام ان اتخذ مجلس باشكير المركزى التنفيذى قرارا نص على اعطاء راتب تقاعد خاص لكريمي(٧٣) .

هذا وقد ورد نبأ تصفية الشخصيات الوطنية المهمة ، الذين كانوا يسندون الاسلام ، فى الصحف السوفيتية الصادرة فى موسكو وفى مناطق التاتار وباشكير ، اذ نرى مثلا ان جريدة ''برافدا'' التي صدرت بتاريخ ١٩٣٧/٩/١٧ وايضا جريدة ''ازفستيا'' الصادرة بتاريخ ١٩٣٧/٩/٢٢ نشرتا قائمة باسماء الوطنيين الذين جرى ''كشفهم'' والذين تبين انهم كانوا يعملون تحت اشراف مكتب اللجنة الاقليمية للحزب فى باشكيريا ، ويدخل ضمنهم : ''. . . افضل تاجيروف رئيس اللجنة التنفيذية المركزية الباشكيرية ، وداود اوغلو رئيس لجنة الدولة التحضيرية ونائبه احمد اوغلو ، ومير اوغلو سكرتير اللجنة التنفيذية المركزية الباشكيرية وعبد الباقروف رئيس دائرة الدعاية والتحريض التابعة

---

(٧١) توفى المفتى رضاء الدين فخر الدين فى الرابع عشر من نيسان (ابريل) عام ١٩٣٦ .

(٧٢) ''اوست يوروبا'' اخبار جميع اقطار شرقي اوروبا'' الصادرة من قبل مطبعة هونجسبيرج فى برلين ، عام ١٩٣٦ ، المجلد ١٢/١١ آب/ايلول العدد ٣٥ الصفحة ٧٩٢ .

* كان فاتح كريمي هذا يشغل سابقا منصب محرر الجريدة التاتارية ''وقت'' التي اغلقها البلاشفة فى عام ١٩١٩ ، وهو ايضا زميل المفتي رضاء الدين فخر الدين عندما كان محررا فى اورنبرج .

(٧٣) مقال د. ألين تحت عنوان ''الطبقة الباشكيرية الوطنية الوسطى وحماتها المنشور فى ''ازفستيا'' بتاريخ ١٩٣٧/٩/١٧ — موسكو .

للجنة الاقليمية الباشكيرية ، وبولاشيف رئيس وزراء باشكيريا وايضا الموظفون الكبار استخادولين وعيسا ليبف اعيسانشورين ، وايضا كانتاجانوف وقسماتوللين وارنازاروفا وتميرجولين الذين يشغلون وظائف نائبي سكرتيرى اللجنة الاقليمية الباشكيرية" (٧٤) .

والتشهير "بالوطنيين" الذين يؤمنون بالاسلام حصل ايضا فى مدينة قازان عاصمة الجمهورية التاتارية اذ نرى مثلا ان بيشورين ، رئيس اللجنة التنفيذية المركزية للجمهورية التاتارية قد اقيل من منصبه (وقد جرى انتخابه فى عام ١٩٣٤ فى المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعي لجميع اعضاء الاتحاد عضوا فى اللجنة المركزية الادارية) . وكان من بين الآخرين الذين اقيلوا من وظائفهم قيام ابراموف ، رئيس وزراء تاتاريا ، وعبد ولين، نائب سكرتير اللجنة الاقليمية، وغيرهم من الموظفين الكبار وبينهم جيروفوف وشمسيدينوف واسكندروف(٧٥) .

اما الافراد الذين اقيلوا من وظائفهم فقد ادينوا باقتراف جرائم لا يمكن ان يأملوا باى شفقة على اثرها، ونرى ان بولاشوف ، رئيس وزراء باشكيريا قد اتهم بانه "ساعد وعاضد اعداء الشعب" وادين عبد الباقروف، وزير المعارف السابق ورئيس دائرة التحريض والدعاية والنشر ، بانه نشر "كتبا" معادية للثورة . وكانت التهمة الموجهة الى عيساتشورين ، سكرتير اللجنة الاقليمية الباشكيرية مستندة الى انه هرب اثناء الحرب الاهلية "بصحبة جماعية من ملاكي الاراضي والوطنيين من الطبقة الوسطى" واختبأوا فى مركز قيادة فلاديفوف* عندما اقترب الجيش "الاحمر". هذا وطرد آخرون من وظائفهم لانهم "اتصلوا باعداء الشعب" الخ. ومثل هذه الاوصاف "للجرائم السياسية" يمكن تطبيقها على اى شخص يعدّ غير مرغوب فيه من قبل السلطات ، وبدون حاجة الى اعطاء سبب حقيقي لطرده من وظيفته.

وحدث ان قد اعتبر هؤلاء الاشخاص فى اغلب الاوقات غير مرغوب فيهم لانهم دافعوا عن المبادىء المناوئة للماركسية ورغبوا فى تطبيق المبادىء التي تدعو الى النهوض والوعي الوطني والديني لشعوبهم ، وهنا نرى ان اعضاء الحزب الذين خانوا متطلبات السلوك الحزبية فى الحالات التي وجدوا انها غير مقبولة لديهم قد طردوا من الحزب بالنظر "لمسالمتهم". وقد جرى بالفعل تصفية ١٢٤٢ شيوعيا فى تاتاريا وحدها بموجب هذه الفقرة(٧٦) . والطرد من عضوية الحزب هذا كان يتبعه عادة النفي . ولا يمكن حاليا تقدير عدد المثقفين والعمال التاتاريين والباشكيريين الذين نفوا وعدد الذين اعدموا رميا بالرصاص فى السنوات هذه بموجب ادانتهم بهذه التهمة الواسعة واعتبارهم "اعداء الشعب" .

وكانت لاعمال التصفية والابادة الواسعة هذه التي تعرض لها الوطنيون المثقفون اتصال مباشر بمواظبتهم على اخلاصهم للاسلام ، ولعدم قيامهم بنشر مبادىء الشيوعية ، والدليل على هذا هو ان اعمال التصفية هذه حصلت بعد ان قام رجال الدين الاسلامى والمثقفون الوطنيون بالاشتراك فى تشييع جثمان احد رجال الدين المسلمين البارزين فى

---

(٧٤) ا. اورلينسكي "الطبقة الباشكيرية الوطنية الوسطى وحماتها" فى "ازفستيا" بتاريخ ١٩٣٧/٩/٢٢ ، و"اعداء الاتحاد السوفيتي والوطنيون" فى "ازفستيا" تاريخ ١٩٣٧/١٠/٢٠. وايضا تقرير ندوة جماعة الاتحاد الديموقراطي الجورجي. نيسان (ابريل) عام ١٩٥٦ ، الصفحة ٩ — ميونيخ .

(٧٥) "كراسنايا تاتاريا" تاريخ ١٩٣٧/١٠/١٨ — قازان ، و "ميسليو رودني" تاريخ نيسان (ابريل) عام ١٩٥٦ ، الصفحة ٩ — ميونيخ .

* فلاديفوف هو رئيس المجلس الوطني الباشكيرى فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨ ، وزعيم الوطنيين الباشكيريين الذين حاربوا البلاشفة فى المدة الواقعة بين عامى ١٩١٧ و ١٩١٩ .

(٧٦) "برافدا" تاريخ ١٩٣٧/١٠/١٣ — موسكو.

اوفا ، حين اعترضت الصحف المحلية على عدم وجود تأثير شيوعي كاف فى القرى . وقالت مثلا جريدة ''كراسنايا باشكيريا'' ان عدد اعضاء منظمة الحزب فى اوفا بلغ ٣٥١٩ شيوعيا بينما كان عدد الاعضاء فى فروع الحزب القروية قليلا جدا ، وانه لا يوجد عضو واحد فى ٢٥ مزرعة جماعية(٧٧) .

وكتب فى عام ١٩٥٥ الصحفي الاجنبي جيمس ل. ميتشنر فى مجلة ''داس بيست'' ساعيا الى تفسير هذا بان الاسلام كدين يمثل الند العنيد للشيوعية ، وقد شعر المؤلف ، عند اقامته بين المسلمين ، انهم يعتبرون الاله الاجل كشيء حقيقي ، اكثر من اعتبار المسيحيين له ، وانه وجد من الصعب ان يتصور الفرد ان المسلم سيعدل عن عقائده الدينية من تلقاء نفسه ويتبع الشيوعية التي تنكر وجود الاله . ويعتقد الكاتب جيمس ل. ميتشنر ان هذا الايمان هو الذى جعل المسلمين يرفضون الخطر الشيوعي وجعل الدين الاسلامى ذا فائدة كبرى للعالم اجمع (٧٨) .

ورأى هذا المراقب الاجنبي تدعمه الحقائق ان الاضطهاد الشيوعي وقساوته لم يؤثرا على مركز ائمة الدين وتأثيرهم السابق على السكان المسلمين الذين يعيشون تحت الحكم السوفيتي ، وهذه الحقيقة هي التي دعت الحزب الشيوعي فى عام ١٩٣٦ الى الغاء النظارة الدينية (المديرية الدينية الاسلامية)* فى اوفا (٧٩) لكي تحرم المسلمين من قادتهم الروحانيين.

وحدث اثناء مدة ارهاب يزوف ان اقترفت الحكومة السوفيتية جريمة شنعاء اخرى وكان هذا طبعا بمعرفة اللجنة المركزية للحزب ، اذ نرى ''... ان قتل البلاشفة اثناء عام ١٩٣٨ مفتي نظارة اوفا الكشاف ترجماني بعد اتهامه بالقيام ''بالتجسس لصالح اليابانيين''. هذا وقد اعدم ايضا ٣٥ شخصية اسلامية بارزة معه'' (٨٠) .

ولم يكد السكان المسلمون فى الجمهوريات السوفيتية يسترجعون قواهم بعد هذه الصدمات العنيفة حتى استبدلت فى عام ١٩٣٩ احرف الهجاء اللاتينية المستعملة فى مناطق التاتار والباشكير باحرف الهجاء الروسية . وكانت الغاية من هذا طبعا خلق درجة قصوى من السوفيتية بين السكان . وكان التبديل فى هذه الحالة بموجب قرار بسيط اصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ولم يصحبه تطبيل وتزمير كدعوة الى ''مؤتمر تركماني'' مثلا . واعطى الصحفي البريطاني وولتر كولارز وصفا مناسبا لهذا حينما كتب : ''... ودعت الحكومة السوفيتية المركزية والحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي الى تصفية استعمال الاحرف اللاتينية واتباع ''الثورة الهجائية'' الثانية والتي يمكن تلخيصها بالقول بانها اتحاد واحد وحزب واحد واحرف هجاء واحدة'' (٨١) .

وحدث من جراء تغيير احرف الهجاء هذه مرة ثانية ضرر كبير ففي مدة العشر سنوات الواقعة بين تغيير احرف الهجاء العربية الى اللاتينية وبين هذا التبديل الاخير تدرب كثير من المعلمين على استعمال الاحرف اللاتينية وطبعت الكتب بهذه الاحرف ايضا، وبين عشية وضحاها طرح كل شيء جانبا وهنا اتخذت الاجراءآت السريعة لتدريب المعلمين على استعمال الاحرف الجديدة كما واتخذت الاجراءآت اللازمة لتفقيه الشعب باحرف الهجاء الجديدة بالاضافة لطبع كتب جديدة للمدارس بهذه الاحرف ايضا .

---

(٧٧) ''كراسنايا باشكيريا'' تاريخ ١٩٣٥/٦/٢٠ — اوفا.

(٧٨) جيمس ل. ميتشنر ''داس بست'' حزيران (يونيو) عام ١٩٥٥ ، طبع برن .

* الغى البلشفيك المديرية الدينية الاسلامية لاول مرة فى عام ١٩١٨ اثناء الحرب الاهلية فى الاورال.

(٧٩) مقال رشيد تحت عنوان ''استشهاد الاسلام'' فى مجلة ''عزت وطن'' (المجلة الرسمية للجنة الوطنية التترية الباشكيرية) العدد ٨ عام ١٩٥٢ ، صفحة ١٣ .

(٨٠) نفس المرجع السابق .

(٨١) وولتر كولارز : ''روسيا ومستعمراتها'' الصفحة ٣٧ ، طبع لندن عام ١٩٥٢.

وانـه لمن الامر المعروف جيدا انه عندمـا طبعت الكتب المدرسية بالاحرف اللاتينية جرى اغتنام جميع الفرص لادماج مبادى الشيوعية بهـا وبث الروح السوفيتية فيها. واثى اصلاح عام ١٩٣٩ بغاية اضافية اخرى وهي اشباع الـكتب المدرسية المستعملة بمدارس الجمهوريات الصغيرة بالروح الروسية. ويمكننا ان نذكر فى هـذه المنـاسبة ان القيصر نقولا الثاني الملقب ''بالمستعمر'' لم يتدخل قطعا بالشؤون الداخلية للمسلمين ، كما وانه رفض فى عام ١٩٠٦ الموافقة على فرض استعمال احرف الهجاء الروسية على المسلمين.

الحرب العالمية لأعوام ١٩٤١ - ١٩٤٥ والمدة التى تلتها

استمر السكـان المسلمون فى الجمهوريات الاسلامية عائشين بهدوء ولم يأتوا بحركة بالرغم من الغاء مديرية الدين الاسلامى واعدام المفتي كشاف ترجماني مع خمسة وثلاثين من زملائه من رجال الدين العظماء ، وبالرغم من تبديل احرف الهجاء مرتـين (استعمال اللاتينية بدلا من العربيـة وثم استعمال الروسيـة بدلا من اللاتينية)، وكذلك بالرغم من حكم يزوف الارهابي الذى عمل على ابادة الآلاف من المؤمنين المسلمين وتصفية المثقفين الوطنيين بـين الاقليات القومية وفرض المزارع الجماعية على الفلاحين ، واغلاق جميع الجوامع تقريبا والاضطهاد الوحشي لائمة الدين ، واستمر السكـان بدون حراك وامتلأت قلوبهم ذعرا من اعمال العنف ضدهم ، كما وانهم كـانوا يمقتون مقتا تاما الحكومة الشيوعية. وكـانت هذه هي الحالة السائدة فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتي حينما بدأت الحرب فى عام ١٩٤١ ، هذه الحرب التي فاجأت البلاد بغتة. وكـان الجيش الاحمر المكون من فلاحي المزارع الجماعيـة والعمال من جميع الجنسيات والديانات المختلفـة الذين كـانوا تعرضوا للذعر والخوف من شـدة الارهاب ، كـان ذلك الجيش لم يكن لديه الرغبة فى الدفاع عن النظام السوفيتي ، ولهذا ازداد عدد الفارين من الجيش بالتقهقر بسرعة واستسلمت عدة مئات الالوف من جموع هذا الجيش لكي تصبح اسرى حرب.

واذعر الحكومة الشيوعية والحزب الشيوعي تدهور الجبهة المفجع هذا مما اضطرهما الى اصدار الاوامر التي بموجبها خوّل الممثلون السياسيون بين وحدات الجيش والبوليس الروسي السرى بسلطات لا حـد لهـا. وجرى تكوين وحدات خاصة دعيت وحدات (سد الطريق) لقمع اعمال الفرار من الجيش كما وانه شكلت فرق اخرى ، عرفت ''بسميرش'' (الموت للخونة) — واسمها هذا يدلنا على مدى ''الصلاحيات'' ''والسلطات'' التي يحوزون عليها ضمن وحدات الجيش.

وقامت الحكومة السوفيتية بالاضافة الى هذه الاجراءآت الادارية المحضة الى استعمال طرق اخرى لها قيمة دعائية وهي اعطاء امتيازات مختلفة للشعب القصد منها تشجيعه عـلى ''الدفاع عن الوطن''. ففي كـانون الثاني (يناير) من عام ١٩٤٢ وحينما وصل الجيش الالماني الى ضواحي موسكو وكـانت المعارك قائمة بالقرب من ريزيف وستارايا روسا وكسورسك وفى مداخل لينغراد ، وايضا حينما كـانت طوالع الجيش الالمـاني على مرأى من خاركوف كـادت اللجنـة المركزيـة للحزب الشيوعي وكذلك الحكومة السوفيتية يفقدان وعيهما ولجأتا فى حالـة اضطرابهما هـذه الى رجال الدين الارثوذكسيين والمسلمين بصفتهم ممثلين لغالبية الطوائف الدينية فى الاتحاد السوفيتي ، وطلبتا منهم المساعدة على تشجيع

العساكر فى الجبهات . وارسلت الحكومة فى هذا الوقت ايضا الفئة القليلة من رجال الدين الاسلامى الذين نجوا باعجوبة من فترات السجون ومن التعذيب فى معسكرات الاعتقال فى سيبيريا وغيرها الى قراهم ومدنهم كما وتم فى عام ١٩٤٣ افتتاح ابواب الجوامع الباقية التي لم تهدم ، وبدأ بهذا الاستفادة استفادة فعالة من ائمة الدين المسلمين فى خدمة السياسة السوفيتية الداخلية والخارجية ، وفيما يلي بعض مقتطفات كتبها احد الكتاب المسلمين فى موضوع المناورات الشيوعية الجديدة هذه :

"منذ ابتداء عام ١٩٤٢ اصبحت مناورات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي تتصف بالتسامح الديني الظاهرى ، واصبح الدين الاسلامى ايضا اداة فى يد السياسة الشيوعية لاستمالة بين المسلمين الذين يقطنون ضمن الاتحاد السوفيتي وبين المسلمين فى الشرق خارج الاتحاد السوفيتي" (٨٢) .

وبدأت اللجنة المركزية للاتحاد السوفيتي بعد مضي ٢٥ سنة فى صراع مستمر ضد الاسلام (وغيره من الديانات) تمتدح بوقاحة "حرية" العبادة والصفة الرسمية لوجود أئمة الدين فى الاتحاد السوفيتي ، واعطى الشيوعيون التفسير الآتي للمراوغة الغير منتظرة قائلين : "برهنت الحرب بانها نقطة تحوّل فى حياة الكنيسة التي لم تكتف بالعدول عن مكافحتها للنظام السوفيتي فحسب، بل وانها بفضل وطنيتها القوية والفعالة، قامت بمؤازرته ومساعدته فى كفاحه ضد العدو" (٨٣) .

وهنالك بادارة خاصة تسترعي النظر ، وهي انه بالرغم من القرار القائل بفصل الكنيسة عن الدولة ، قامت الحكومة السوفيتية عند "سماحها" بالاعمال الدينية ضمن البلاد ، بالاشراف عليها كما وبدأت تتدخل فعلا فى حياة المنظمات الدينية كالحد من اعمالها او تحويلها كليا لخدمة مصالح سياستها الداخلية والخارجية ، وحصلت الحكومة على هذا بواسطة الادارات الدينية التي تم تشكيلها رسميا وقانونيا لمختلف الديانات . وكان للمسلمين كما ذكرنا سابقا اربع مديريات دينية ، فكان فى أوفا مركز المديرية الدينية للمسلمين فى سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ، ويرأس هذه المديرية حاليا المفتي شاكر خيال الدينوف .

جرت العادة انتقاء المفتين هولاء فى مؤتمرات يعقدها أئمة الدين . اما فى الاتحاد السوفيتي ، الذى وجد من الفائدة الاشهار "بحرية" العبادة ومالها من الفائدة للعالم الحر (بين اعوام ١٩٤١ الى ١٩٤٥) فان الحكومة "انشأت" الادارة الدينية وكان يرأسها ائمة دين "مناسبون" لم يعرف عن ماضيهم شيء (او عن كيفية انتخابهم فى المؤتمرات الدينية) وهذا يدل على انه جرى تعيينهم لهذه المناصب من قبل مجلس الوزراء ، معتمدا بذلك على اقتراحه وانتخابه للاشخاص المناسبين .

وقد حدث لاول مرة فقط ، وبعد وفاة المفتي الذى كان يترأس المديرية الدينية الاسلامية لاواسط آسيا وكازاخستان، ان انتخب خلفه فى مؤتمر خاص عقده أئمة الدين . واتبع هذا المؤتمر الطريقة التي اتبعت عند "انتخاب" بطريرك موسكو وجميع روسيا ، وهذا يعني انه كان صوريا كغيره من الانتخابات التي تحدث فى الاتحاد السوفيتي : أى ان المرشح لهذا المنصب يجرى تعينه من قبل السلطات العليا ، ويجب الموافقة عليه من قبل جميع الادارات الحكومية والحزبية السوفيتية على اختلاف طبقاتها ، وبعد هذا يجرى انتخابه "بالاجماع" من قبل فئة خاصة مناسبة من

---

(٨٢) ا. عمر خان : "البحث الاسبوعي للحوادث الرئيسية ضمن الاتحاد السوفيتي" (باللغة الروسية) ، العدد ٥٢ عام ١٩٥٠ ، الصفحة ٣٥ طبع ميونيخ .

(٨٣) "دائرة المعارف السوفيتية الكبرى" العدد "الاتحاد السوفيتي" العامود ١٧٧٩ ، طبع موسكو عام ١٩٤٧ .

المنتخبين. وهنا نرى انه فى هـذه الحالـة يجب ان لا يكون هنالك اى داع للعجب حينما نرى ان اعمـال المديريـة الدينية بكـاملها شيء مستر وان رائدها خدمة مصالح النظام السوفيتي وانه عليها ان لا تناقض غاياته وميوله.

استفادت الحكومـة السوفيتية اثنـاء الحرب من مساعدة اربع مديريات اسلامية قامت بالتوسل للعساكر المسلمين بحماية الدولة الملحدة ضد العدو الاجنبي. ففي خريف عام ١٩٤٥ ارسل عبد الرحمن رسولوف، المفتي السابق للمديرية الاسلامية لسيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي، والمفتي المقبل باباخان عبدالمحسن الى مكـة ومصر حيث فاها باقوال يستدل منها على ان الحكومة السوفيتية هي "الحامية والمدافعة عن المسلمين والاسلام".

وارسل سنويا منذ الحرب من ثمانية عشر الى عشرين حاجا من جميع الاتحاد السوفيتي بالطائرة الى مكـة على نفقة الحكومة، ومن المهم ان ندرك انه قد لا يسمح لكل راغب فى الحج بالانضمام الى هذا الرهط القليل من الحجاج، فانه يجرى انتخاب دقيق لهؤلاء الرجال. والرجال الذين ينتخبهم الشيوعيون لرئاسة هـذا الرهط هم "اخصائيون" فى المسائل الشرقية ولـكنهم كما يقول عنهم المراقبون لا يفقهون من الدين شيئا. ونذكر فى هذه المناسبة ما نشرته المجلة الباكستانيـة "ترجمـان افـكـار" حين قالت: "ان الرهط المكون من ثمانيـة عشر حاجا الذى جاء من الاتحـاد السوفيتي الى مكة فى عام ١٩٥٣ كـان يرأسه اشخاص لا يعرفون كيف يؤموا المصلين فى اداء فرائض الصلاة"(٨٤).

ويحدث عادة ان يقول هؤلاء الحجاج الواردون من الاتحاد السوفيتي ان الدين فى الاتحاد السوفيتي، هو "حر مطلق"، وهذا يعني ان "الحجاج" هؤلاء يلبون غاية ضرورية للاتحاد السوفيتي، هذه الغاية التي ترمى الى اطلاع الرأى العام فى جميع العالم الحر على اقوال رسمية لرجال الدين هؤلاء وغيرهم من المؤمنين، هذه الاقوال التي تلاقي ثقة كبرى والتي يتم الاصغاء اليها اكثر من الدعايات الحكومية. وكـانت هـذه هي الغايـة الاساسية للمديريات الدينية وهي ايضا من الاسباب الداعيـة الى انتـخاب "الحجاج" هؤلاء بطريقة خاصة، وهم بصفتهم ممثلين للمسلمين يتـوقع منهم خلق الجو الملائم فى بلدان العـالم الحر. وكل هذه الوسائل الخداعـة قصدها نشر النفوذ الشيوعي فى بلدان الشرق الاوسط وبالتالي الاستيلاء عليها.

والغايات السياسية هذه لا يخدمها الحجاج المسلمون الى مكة فحسب بـل وكثير من الاعمال التي يقوم بها أئمـة الدين الاسلامى ضمن البـلاد، فنرى مثلا انه نظّم فى عام ١٩٥٢ "مؤتمر للدفاع عن السلم من قبل جميع الـكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفيتي" فى مدينة زاكوركس بالقرب من موسكو، وسمحت الحكومـة السوفيتية لرؤساء الديانات المختلفة لالقـاء الخطابات، هـذه الخطابات الـتي تم تجهيزها مسبقا والتي تم تمحيصها بدقـة من قبل الحزب الشيوعي السوفيتي. واكدّ هؤلاء الرؤساء فى هـذه الخطابات "وجود حريـة دينية" فى الاتحاد السوفيتي، واعربوا عن تضامنهم التام مع الحكومة السوفيتية، كما وتوسلوا للعمل على حمي السلام وقالوا ان الاتحاد السوفيتي هو "البلد الاكثر ديموقراطيـة" والبلد "العادل" فى العـالم وقالوا عن زعيمهم ستالين — الذى كـان فى ذلك العهد لا يزال فى منصبه — انه "الرجل العبقرى".

وكـان واضحا للـكثير من المراقبين ان هذه الخطابات كـانت تمثل دراهم الجزيـة، اى انها كـانت تمثل الموافقة على خدمة المقاصد السياسية السوفيتية مقابل السماح للمؤمنين فى اداء صلواتهم سويا.

---

(٨٤) "النشرة الاسبوعية" العـدد ٥٢ عام ١٩٥٥ الصفحة ٣٦، طبع ميونيخ نقـلا عن "ترجمان افكـار" لشهر تشرين الثاني (نوفبر) عام ١٩٥٣، الصفحة ٢٨، طبع كراشي، باكستان.

وفيما يلي اسماء المبعوثين الذين مثلوا المديرية الاسلامية لسيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي للمؤتمر الذى جرت الاشارة اليه سابقا وهم: رئيس— الحاج كاليا ملّا شاكر ابن شيخ الاسلام خيال الدينوف والقاضي المحتسب لمقاطعات بنزه وساراتوف وتامبوف وأليانوف ، وايضا يارولا ابن سليمان يوسوبوف ، امام جامع ترويفسك الكبير. والمحتسب قاضي الجمهورية التاتارية الاشتراكية السوفيتية وجمهورية ادمورد السوفيتية الاشتراكية ومقاطعات مولوتوف ، وامام جامع قازان مرجاني قيام ابن عبد القادر قادروف(٨٥) .

وقد نفّذ المفتي خيال الدينوف تعليمات الحزب عندما استعمل منبر هذا المؤتمر قائلا : ”ان اولادنا يتمتعون بحرية الدراسة فى جميع المدارس والكليات كغيرهم من اولاد القوميات الاخرى فى الاتحاد السوفيتي“(٨٦) ، ولم يذكر كلمة واحدة عن مآسي المسلمين المؤمنين الذين فقدوا حقهم فى تعليم اولادهم الصغار اصول الدين فى الجوامع او فى مدارس خاصة.

وهنا رفع المفتي صوته عاليا فى الدفاع عن السلم ، وكانت كلماته مؤثرة فى ظاهرها ، انما كان ذلك التأثير مرجعه الدعاية. قال ”انني اتوسل من هذا المنبر الشريف العالي ، بالنيابة عن نفسي وبصفتي ممثلا للمسلمين فى سيبيريه والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ، اتوسل الى المسلمين فى جميع العالم ، وخاصة المسلمين فى تركيا وايران ومصر والهند وباكستان وسوريا، الاشتراك معنا بالكفاح لحفظ السلام فى جميع العالم . . . وانني اتوسل الى جميع المسلمين فى العالم ان يذكروا دوما كلمات ستالين الحكيمة حين قال ”يمكن المحافظة على السلم وتدعيمه فيما اذا كانت الشعوب نفسها آخذة على عاتقها خدمة السلم والدفاع عنه حتى النهاية“(٨٧) .

وهذا هو حقا نداء خارق للعادة لانه فاه به رجل ديني لم يستشهد بكلمات مؤسس دينه النبي محمد الذى هو عدو الجور والطغيان ، بل استشهد بكلمات ستالين الكافر ومضطهد جميع الديانات .

هذا ولا زالت الحكومة السوفيتية تضع رؤساء الدين الاسلامى فى الطليعة حينما يزور الاتحاد السوفيتي ممثلون اجانب من بلدان الشرق الاسلامية ، ونرى مثلا انه كان بين مندوبي الحكومة الذين استقبلوا الامير البدر ، ولي عهد اليمن ، عند وصوله الى موسكو المفتي الشيخ خيال الدينوف(٨٨) . وعندما زار الدكتور سوكارنو ، رئيس جمهورية اندونيسيا ، الاتحاد السوفيتي ، كان بين مستقبليه أئمة جوامع مدن الاتحاد السوفيتي الكبيرة ، وقالت ”ازفستيا“ : ”قام الدكتور سوكارنو ، والاشخاص الذين اصطحبوه فى هذه الزيارة ، فى المساء بزيارة جامع موسكو الكبير“(٨٩) .

نشرت جريدة ”ازفستيا“ التقرير التالي عند مجيء رجال الدين من جمهورية الباكستان الاسلامية: ”. . . استقبل الزائرين فى مطار فنوكوفو المفتي الشيخ خيال الدينوف ، رئيس الادارة الدينية لمسلمي سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ، وك. صالحوف ، امام جامع موسكو الكبير ، وغيرهما من ممثلي أئمة الدين“(٩٠) .

---

(٨٥) المؤتمر للدفاع عن السلم الذى عقدته جميع الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفيتي فى صومعة القديس سرجيوس والثالوث المقدس فى مدينة زاكورسك ، ايار (مايو) ٩ الى ١٢ ، عام ١٩٥٢.

(٨٦) نفس المرجع السابق ، الصفحة ١٤٠.

(٨٧) نفس المرجع السابق ، الصفحة ١٤١.

(٨٨) جريدة ”ازفستيا“ تاريخ ١٩٥٦/٦/١٢ — موسكو.

(٨٩) جريدة ”ازفستيا“ تاريخ ١٩٥٦/٦/٣١ — موسكو.

(٩٠) جريدة ”ازفستيا“ تاريخ ١٩٥٧/٧/١٢ .

هـذا ولم يقل احد لهؤلاء الزائرين الاجانب ان جامع موسكو كـان قبـل الحرب يستعمـل كصالـة يلقى بهـا المحاضرات المناوئة للدين ويقام فيه الرقص والحفلات وانـه جرى تنظيفه بسرعة فائقة غرض ملائمة المصالح الخارجية وانه لو كـان هنالك حرية عبادة فى الاتحاد السوفيتي ، لما اتسع هذا الجامع للمسلمين الذين يقطنون فى موسكو قطعا .

ونرى ايضا ان مثل هذه الاعمال المسرحية قد اتبعت عندما فتح جامع ليننغراد لعرضه على الزائرين الاجانب، وقد جرى ترميم هذا الجامع وفتح ابوابه فى ايار (مايو) عام ١٩٥٦ لغرض اصطحاب الزوار المسلمين من خارج البلاد اليـه ، وذكرت جريـدة ''ازفستيا'' فى مقال تحت عنوان ''زيارة وفـد برلمـاني اندونوسي الى ليننغراد'' مـا يلي: ''وزار الوفد بعد الظهر المسجد حيث قابلوا الامام الخطيب عبد البارى عيسايوف وغيره من المسلمين المؤمنين'' (٩١) .

وعندما زار التاتاريون ، الذين يقطنون فنلنده كـلاجئين منـذ الثورة الشيوعية التي حدثت فى عام ١٩١٧ ، عندما زاروا مدينة ليننغراد فى عام ١٩٥٥ ، وجدوا أكياس الحبوب الفارغـة مبعثرة على ارض الجامع ووجدوا قفلا كبيرا عـلى بابـه(٩٢) . ونذكر فى هـذه المناسبة انه عند زيارة الوفد الاندونوسي لهذا الجامع جرى تنظيفه خصيصا لذلك وكـان فى استقبالهم الامام وغيره من المسـلمين بالرغم من ان زيارة الوفـد لم تقع فى وقت الصلاة ، ولم يعـلم الزوار الاجانب اى شيء عن ماضي هـذا الجامع وانه قد افتتح بالحقيقة خصيصا لاجلهم. ومثـل هـذه الاعمـال يعتبرهـا المسلمون المطلعون على الحقائق السوفيتية بانها تمثيل روائي كـافر.

وتستخدم الحكومـة السوفيتيـة الاسلام ليس للاعـلان عن شعورها التسامحي نحو الدين فقط بـل من اجل غايات رئيسية واسعة للدعاية ، وانها تجبر أئمة الدين الاسلامى للتوقيع على انواع مختلفة من الخطابات السياسية ''والاحتجاجات'' الـتي ترفعها الحكومـة السوفيتية ، ومثالا لذلك نذكر مـا نشرته جريدة ''ازفستيا'' فى عام ١٩٥٥ فى الرسالة التالية: ''قامت السلطات الغربية ، فرنسا وانجلترا وغيرهما ، مؤخرا بنقض الاتفاقات الدولية بدون مبالاة ، ووقعت تحت تأثير ضغط المعتدين الاميركـان على اتفاق مخجل يقصد منه اعادة الحياة الى الروح العسكرية الالمانية فى غربي المانيا''.

''وأنا شخصيا بصفتي مفتيا ، ورجال الدين الذين يتبعوني وجميع المسلمين ، ننظر نظرة عداء للسياسة التي تدعو الى احياء العسكرية الالمانية ، ونعطي تأييدنا الحار لقرار موسكو''. وقد وقع على هذا : ''رئيس الادارة الدينية للمسلمين فى سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي — المفتي الحافظ كـليم الله وحاج الحرمين — شاكر خيال الدينوف. والقاضي ، حاج الحرمين ، ب. توكوز باييف (امام جامع اوفا — المؤلف) ومحتسب محافظتي موسكو وروستوف حاج الحرمين مختارييف ، امـام جامع موسكو. ومحتسب محـافظات بنزه وساراتوف وقامتـوف وكويبيشيف القـاضي وحاج الحرمين يا. يوسوبوف. ومحتسب الجمهورية الباشكيرية الاشتراكية السوفيتية ومحافظة شليابنسك القاضي حاج الحرمين ج. يونسوف'' (٩٣) .

وجميع هذه الامثلة تدل على الدور الثانوى الذى يلعبه رجال الدين وخضوعهم التام لرئاسة الحزب. كما وتحتاج السلطات الشيوعية الى جميع هذه الخطابات والتواقيع على العرائض السياسية كدليل على موافقة المسلمين موافقة اجماعية

---

(٩١) ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٦/٨/٢٢ — موسكو.

(٩٢) أ. ك. ''رسالـة من هلسنكي'' — المستعمل مقتطفات منها فى المقال تحت عنـوان ''ابراهيم كروشبنسكي مفتي فنلنده'' والمنشورة فى مجلة ''اوكرانسكي سليانين'' فى كـانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٥٥ ، صفحة ٣.

(٩٣) ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٥/١/٥ — موسكو.

وفيما يلي اسماء المبعوثين الذين مثلوا المديرية الاسلامية لسيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي للمؤتمر الذى جرت الاشارة اليه سابقا وهم: رئيس— الحاج كاليا ملّا شاكر ابن شيخ الاسلام خيال الدينوف والقاضي المحتسب لمقاطعات بنزه وساراتوف وتامبوف وأليانوف ، وايضا يارولا ابن سليمان يوسوبوف ، امام جامع ترويفسك الكبير. والمحتسب قاضي الجمهورية التاتارية الاشتراكية السوفيتية وجمهورية ادمورد السوفيتية الاشتراكية ومقاطعات مولوتوف ، وامام جامع قازان مرجاني قيام ابن عبد القادر قادروف(٨٥) .

وقد نفّذ المفتي خيال الدينوف تعليمات الحزب عندما استعمل منبر هذا المؤتمر قائلا : ''ان اولادنا يتمتعون بحرية الدراسة فى جميع المدارس والكليات كغيرهم من اولاد القوميات الاخرى فى الاتحاد السوفيتي''(٨٦) ، ولم يذكر كلمة واحدة عن مآسي المسلمين المؤمنين الذين فقدوا حقهم فى تعليم اولادهم الصغار اصول الدين فى الجوامع او فى مدارس خاصة.

وهنا رفع المفتي صوته عاليا فى الدفاع عن السلم ، وكانت كلماته مؤثرة فى ظاهرها ، انما كان ذلك التأثير مرجعه الدعاية. قال ''انني اتوسل من هذا المنبر الشريف العالي ، بالنيابة عن نفسي وبصفتي ممثلا للمسلمين فى سيبيريه والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ، اتوسل الى المسلمين فى جميع العالم ، وخاصة المسلمين فى تركيا وايران ومصر والهند وباكستان وسوريا، الاشتراك معنا بالكفاح لحفظ السلام فى جميع العالم . . . وانني اتوسل الى جميع المسلمين فى العالم ان يذكروا دوما كلمات ستالين الحكيمة حين قال ''يمكن المحافظة على السلم وتدعيمه فيما اذا كانت الشعوب نفسها آخذة على عاتقها خدمة السلم والدفاع عنه حتى النهاية''(٨٧) .

وهذا هو حقا نداء خارق للعادة لانه فاه به رجل ديني لم يستشهد بكلمات مؤسس دينه النبي محمد الذى هو عدو الجور والطغيان ، بل استشهد بكلمات ستالين الكافر ومضطهد جميع الديانات .

هذا ولا زالت الحكومة السوفيتية تضع رؤساء الدين الاسلامى فى الطليعة حينما يزور الاتحاد السوفيتي ممثلون اجانب من بلدان الشرق الاسلامية ، ونرى مثلا انه كان بين مندوبي الحكومة الذين استقبلوا الامير البدر ، ولي عهد اليمن ، عند وصوله الى موسكو المفتي الشيخ خيال الدينوف(٨٨) . وعندما زار الدكتور سوكارنو ، رئيس جمهورية اندونيسيا ، الاتحاد السوفيتي ، كان بين مستقبليه أئمة جوامع مدن الاتحاد السوفيتي الكبيرة ، وقالت ''ازفستيا'' : ''قام الدكتور سوكارنو ، والاشخاص الذين اصطحبوه فى هذه الزيارة ، فى المساء بزيارة جامع موسكو الكبير''(٨٩) .

نشرت جريدة ''ازفستيا'' التقرير التالي عند مجيء رجال الدين من جمهورية الباكستان الاسلامية: ''. . . استقبل الزائرين فى مطار فنوكوفو المفتي الشيخ خيال الدينوف ، رئيس الادارة الدينية لمسلمي سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي ، وك. صالحوف ، امام جامع موسكو الكبير ، وغيرهما من ممثلي أئمة الدين''(٩٠) .

---

(٨٥) المؤتمر للدفاع عن السلم الذى عقدته جميع الكنائس والمنظمات الدينية فى الاتحاد السوفيتي فى صومعة القديس سرجيوس والثالوث المقدس فى مدينة زاكورسك ، ايار (مايو) ٩ الى ١٢ ، عام ١٩٥٢.

(٨٦) نفس المرجع السابق ، الصفحة ١٤٠.

(٨٧) نفس المرجع السابق ، الصفحة ١٤١.

(٨٨) جريدة ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٦/٦/١٢ — موسكو.

(٨٩) جريدة ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٦/٦/٣١ — موسكو.

(٩٠) جريدة ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٧/٧/١٢ .

هـذا ولم يقل احد لهؤلاء الزائرين الاجانب ان جامع موسكو كان قبل الحرب يستعمل كصالة يلقى بها المحاضرات المناوئة للدين ويقام فيه الرقص والحفلات وانه جرى تنظيفه بسرعة فائقة غرض ملائمة المصالح الخارجية وانه لو كان هنالك حرية عبادة فى الاتحاد السوفيتي ، لما اتسع هذا الجامع للمسلمين الذين يقطنون فى موسكو قطعا.

ونرى ايضا ان مثل هذه الاعمال المسرحية قد اتبعت عندما فتح جامع ليننغراد لعرضه على الزائرين الاجانب، وقد جرى ترميم هذا الجامع وفتح ابوابه فى ايار (مايو) عام ١٩٥٦ لغرض اصطحاب الزوار المسلمين من خارج البلاد اليه ، وذكرت جريدة ''ازفستيا'' فى مقال تحت عنوان ''زيارة وفد برلماني اندونوسي الى ليننغراد'' ما يلي:

''وزار الوفد بعد الظهر المسجد حيث قابلوا الامام الخطيب عبد البارى عيسايوف وغيره من المسلمين المؤمنين'' (٩١) .

وعندما زار التاتاريون ، الذين يقطنون فنلنده كلاجئين منذ الثورة الشيوعية التي حدثت فى عام ١٩١٧ ، عندما زاروا مدينة ليننغراد فى عام ١٩٥٥ ، وجدوا أكياس الحبوب الفارغة مبعثرة على ارض الجامع ووجدوا قفلا كبيرا على بابه(٩٢) . ونذكر فى هذه المناسبة انه عند زيارة الوفد الاندونوسي لهذا الجامع جرى تنظيفه خصيصا لذلك وكان فى استقبالهم الامام وغيره من المسلمين بالرغم من ان زيارة الوفد لم تقع فى وقت الصلاة ، ولم يعلم الزوار الاجانب اى شيء عن ماضي هذا الجامع وانه قد افتتح بالحقيقة خصيصا لاجلهم. ومثل هذه الاعمال يعتبرها المسلمون المطلعون على الحقائق السوفيتية بانها تمثيل روائي كافر.

وتستخدم الحكومة السوفيتية الاسلام ليس للاعلان عن شعورها التسامحي نحو الدين فقط بل من اجل غايات رئيسية واسعة للدعاية ، وانها تجبر أئمة الدين الاسلامى للتوقيع على انواع مختلفة من الخطابات السياسية ''والاحتجاجات'' التي ترفعها الحكومة السوفيتية ، ومثالا لذلك نذكر ما نشرته جريدة ''ازفستيا'' فى عام ١٩٥٥ فى الرسالة التالية:

''قامت السلطات الغربية ، فرنسا وانجلترا وغيرهما ، مؤخرا بنقض الاتفاقات الدولية بدون مبالاة ، ووقعت تحت تأثير ضغط المعتدين الاميركان على اتفاق مخجل يقصد منه اعادة الحياة الى الروح العسكرية الالمانية فى غربي المانيا''.

''وأنا شخصيا بصفتي مفتيا ، ورجال الدين الذين يتبعوني وجميع المسلمين ، ننظر نظرة عداء للسياسة التي تدعو الى احياء العسكرية الالمانية ، ونعطي تأييدنا الحار لقرار موسكو''. وقد وقع على هذا : ''رئيس الادارة الدينية للمسلمين فى سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي — المفتي الحافظ كليم الله وحاج الحرمين — شاكر خيال الدينوف. والقاضي ، حاج الحرمين ، ب. توكوز باييف (امام جامع اوفا — المؤلف) ومحتسب محافظتي موسكو وروستوف حاج الحرمين مختارييف ، امام جامع موسكو. ومحتسب محافظات بنزه وساراتوف وقامتوف وكويبيشيف القاضي وحاج الحرمين يا. يوسوبوف. ومحتسب الجمهورية الباشكيرية الاشتراكية السوفيتية ومحافظة شليابنسك القاضي حاج الحرمين ج. يونسوف'' (٩٣) .

وجميع هذه الامثلة تدل على الدور الثانوى الذى يلعبه رجال الدين وخضوعهم التام لرئاسة الحزب. كما وتحتاج السلطات الشيوعية الى جميع هذه الخطابات والتواقيع على العرائض السياسية كدليل على موافقة المسلمين موافقة اجماعية

---

(٩١) ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٦/٨/٢٢ — موسكو.

(٩٢) أ. ك. ''رسالة من هلسنكي'' — المستعمل مقتطفات منها فى المقال تحت عنوان ''ابراهيم كروشبنسكي مفتي فنلنده'' والمنشورة فى مجلة ''اوكرانسكي سليانين'' فى كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٥٥ ، صفحة ٣.

(٩٣) ''ازفستيا'' تاريخ ١٩٥٥/١/٥ — موسكو.

على السبل التي تتبعها الحكومة السوفيتية ، وهذه الموافقة ”الاجماعية“ الناتجة عن الارغام هي ظاهرة علنا اذ انه لا يمكننا ان نتصور ان أئمة الدين السوفيت هؤلاء الذين يستندون الى كلمات القرآن المقدسة التي تدعو الى العطف والمساعدة ، لم يبادروا بالمساعدة او بالعطف على شعب المجر الذى كان يحارب من اجل حريته .

هذا وتعتبر اسطورة حرية الاسلام فى الاتحاد السوفيتي ضربا من ضروب الدعاية وان المشاكل التي تعانيها الديانات يمكن الوقوف عليها من ملاحظات الزوار الاجانب للبلاد ومن المعلومات التي ترد فى الاحصاءآت الواردة من مصادر سوفيتية ، هذه المعلومات التي تكشف لنا فى بعض الاحيان عن الوضع الحقيقي للديانة فى الاتحاد السوفيتي . ومثال ذلك ان الطبيب الباكستاني رياس علي شاه الذى زار فى عام ١٩٥٢ ازبيكستان وكازاخستان ، حيث غالبية السكان هم مسلمون ، قد ادهشه عدم وجود جوامع فى هذه المناطق والحقيقة الظاهرة التي بدت له هي ان النشء الحديث يجهل القرآن تماما (٩٤) .

وتعطى التقارير التالية الوضع الحقيقي للاسلام فى تاتاريا وباشكيريا :

١ — قال حاج باشكيرى زار مكه : ”. . . زار مكة هذا العام عشرون حاجا فقط من مجموع الاربعين مليون مسلم الذين يقطنون الاتحاد السوفيتي . . . وكان ضمن هؤلاء الحجاج العشرون اربعة من الادارة الدينية للمسلمين فى سيبيريا والقسم الاوروبي من الاتحاد السوفيتي (ثلاثة من التاتاريين وواحد من الباشكيريين“ (٩٥) .

٢ — كان امام جامع صاليحوف فى موسكو ، الجامع الذى اجرى ترميمه مؤخرا ، فى السجن السوفيتي قبل الحرب العالمية الثانية . وانيط اليه بعد الافراج عنه مهمة القيام بالدعاية السوفيتية بالاضافة لاعماله الدينية . وذهب هذا الى مكة على راس الحجاج السوفيت وتكلم مع العرب بلغتهم العربية ، التي يلم بها الماما جيدا ، كما وانه بذل جهده اثناء هذه المحادثات للادعاء بأن ”مبادىء القرآن والشيوعية متشابهة“ وان الاسلام يتمتع بالحرية التامة ضمن الاتحاد السوفيتي وان الجوامع قد افتتحت ابوابها الآن الخ . . .

وهذا لا شك ليس الا دليلا آخر على رغبة الحكومة السوفيتية فى الحصول على رجال دين مسلمين يلمون الماما تاما بدينهم ويتكلمون اللغة العربية . ويدل هذا على مدى الارهاب الذى يتعرض له مثل هؤلاء الاشخاص وحتى اثناء قيامهم بفرائض الحج حيث نرى انهم عاجزون عن التخلص من مهمتهم السياسية وانه عليهم القيام بادائها مهما اختلفت الامور .

٣ — هنالك حقيقة اخرى تكشف لنا عن وضع الاسلام الحقيقي فى المنطقة التي هي تحت الدرس . فقرار الحكومة السوفيتية الذى يدعو الى فصل الكنيسة عن الدولة نشأ عنه اصدار قوانين متعددة تحولت منذ ذلك الحين الى اضطهاد واضح لكل حركة دينية ، ومما هو جدير بالذكر انه بالرغم من ”حرية العبادة“ المعلن عنها بكثرة ، لم يجر حتى الآن نقض اى من هذه القوانين رسميا . وقد اعطيت بلا شك بعض الامتيازات ، غير انه لا يزال من المحظور تدريس الاطفال والشبان الامور الدينية ، ومن المحظور انتقاد العقائد المادية ، كما ويحظر عقد اى اجتماع ديني ، ما عدا الاجتماع الخاص باداء فرائض الصلاة ، كما ومنعت جميع العلاقات الدينية . ونشاهد ان الدعاية المضادة للدين

---

(٩٤) ”برافوسلافنايا روس“ (روسيا الارثوذكسية) تاريخ ١٩٥٥/١/١٢ ، الصفحة ١٢ — طبع جوردان فيل ، الولايات المتحدة الامريكية .

(٩٥) ا. سلطان فى مجلة ”درجي“ العدد ٧ عام ١٩٥٦ الصفحة ٨٩ طبع هذا المعهد — ميونيخ .

التي تجرى تحت ستار "التعليم الالحادى العلمي" هي اقوى الآن مما كانت عليه فى الماضي ، وان افراد الطبقات من الشعب المفروض فى انهم ليسوا من المؤمنين بالدين (كموظفي الحكومة واعضاء الحزب وحزب روسيا الفتاة والمدرسين وغيرهم من موظفي المعارف والطلاب) لا تزال تهزأ بهم الصحف المحلية باستمرار لاشتراكهم بالاعمال الدينية.

ففي هذه الحالات كان على الدين فى صلته بالحياة اليومية بين المثقفين وغيرهم ان يستمر فى الخفاء. كما وان الاحتفالات الدينية واقامة الطقوس الدينية ، بغض النظر عن دراسة مبادىء العقيدة وتفسير معانيها الباطنية ، لا تزال متداولة بين المسنين من السكان. هذا والنشء الجديد لا يلم بديانة آبائه. وليس من الغريب فى مثل هذه الحالات ان نرى المبادىء الاخلاقية بين السكان قد تهدمت من اساسها.

٤ — والدليل المقنع حقا لعدم وجود اى تطور حر للاعمال الدينية هو العدد القليل من الجوامع(٩٦) . وكما ذكرنا سابقا جرى اثناء برهة الاضطهاد الشيوعي اغلاق جميع الجوامع او هدمها او تحويلها الى مآرب اخرى.

ولدينا معلومات رسمية تدل على ان الجوامع التالية لا تزال مفتوحة الابواب للعبادة فى الوقت الحاضر كما وانها لديها أئمتها الخاصة :

(١) جامع موسكو الكبير، وكان امامه حتى عام ١٩٥٦ الحاج مختاريف (٩٧) ، وبعد عام ١٩٥٦ أخذ مكانه الحاج صاليحوف (٩٨) ، امام جامع قازان سابقا والذى زار مكة فى عام ١٩٥٦.

(٢) يظهر ان جامع روستوف الواقعة على الدون القديم قد جرى ترميمه، وعين الحاج مختاريف، امام جامع موسكو سابقا ، محتسبا لمحافظة روستوف مما يجعلنا نعتقد بان هذه المحافظة تحتوى على عدد من الجوامع (؟) (٩٩) .

(٣) جامع فى لينغراد امامه عبد البارى عيساليف (١٠٠) .

(٥) جامع أوفا الكبير وهو بالطبع الوحيد فى المدينة والذى يتسع لثلاثة آلاف مصل اثناء الاحتفال بصلاة عيد الاضحى ، وامامه ج. توكوزبابيف (١٠١) .

(٦) جامع فى كيستوبول (١٠٢) .

(٧) جامع فى ستيرلي تاماك (١٠٣) .

(٨) جامع فى ايشمبي (١٠٤) .

---

(٩٦) ا. اسحاقي فى "ايديل اورال" الصفحة ٤٦ ، طبع باريس عام ١٩٣٣ .
(٩٧) "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٦/١/٥ — موسكو.
(٩٨) "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٧/٨/١٣ — موسكو.
(٩٩) "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٦/١/١٥ — موسكو.
(١٠٠) "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٦/٨/٢٢ — موسكو.
(١٠١) بيان "تاس" — موسكو بتاريخ ١٩٥٦/٨/٢٠ و "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٥/١/٥ .
(١٠٢) فى حديث للحاج — سلطان فى مؤتمر صحفي فى ميونيخ مشيرا الى حديث الامام صالحوف فى مكة (من محفوظات المؤلف).
(١٠٣) نفس المصدر السابق.
(١٠٤) فى حديث ادلى به الحاج فاروق شرف الدين فى مكة (من سجلات المؤلف).

(٩) جامع فى اورنبورغ امامه الحاج فاروق شرف الدين الذى زار مكة فى عام ١٩٥٥ (١٠٥).

(١٠) مقاطعة بنزه.
(١١) مقاطعة ساراتوف.
(١٢) مقاطعة تامبوف.
(١٣) مقاطعة كويبيشيف.

لقد جرى تعيين يوسوبوف (١٠٦) محتسبا لهذه المناطق ومن المفروض ان تحتوى هذه المدن على جوامع.

(١٤) جامع فى أستراخان (١٠٧).

(١٥) جامع شيليابنسك — يظهر ان جامع المدينة القديم قد اعيد افتتاحه وذكرت الصحف اسم ج. يونسوف (١٠٨) كمحتسب لمقاطعة شليابنسك وجمهورية باشكيار الاشتراكية السوفيتية، ومن المعتقد انه مسؤول عن عدد من الجوامع الفاتحة ابوابها للعبادة.

(١٦) جامع ترويفسك (؟) — امامه فى عام ١٩٥٢ كان يارالله س. يوسوبوف (١٠٩).

(١٧) جامع برم — يظهر انه اعيد افتتاح ابواب الجامع القديم وقد عين قادروف، امام جامع قازان، كمحتسب لهذه المقاطعة.

وليس لدينا اى معلومات عن الجوامع الموجودة فى المناطق الريفية.

هذا ولما لم تذكر الصحافة اسم غيرها لعدة سنين دلّ هذا دلالة واضحة على عدم وجودها. اما الجوامع التي جاء ذكرها (مثلا جامع اوفا الكبير) الذى قيل انه "يستوعب" عددا كبيرا من المصلين، واكثر مما يمكن ان يتسع مثل هذه الجوامع للعبادة (يستوعب جامع لينغراد الجديد لالفي مصل — المؤلف) يمكننا ان نستنتج ان اقل عدد ممكن من الجوامع قد افتتحت فى الاتحاد السوفيتي وانها لربما تكون كائنة فى المراكز الاسلامية المهمة التي يؤمها الزائرون الاجانب حيث يرون وجود "حرية" الدين المزعومة.

الخاتمة

وعند سرد ملخص هذا المقال وجب علينا وضع التأكيد على بعض نقاط هامه وهي :

اولا: لم يكن هناك، قبل تأسيس النظام الشيوعي فى عام ١٩١٧، اى اضطهاد للدين الاسلامى بين السكان التاتاريين والباشكيريين كما وكانت هنالك الالآف من الجوامع فى البلاد، وكانت أئمة الدين منهمكة فى تدريس

---

(١٠٥) فى حديث للحاج خ. رشيد (من سجلات المؤلف).
(١٠٦) "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٦/١/٥ — موسكو.
(١٠٧) فى حديث للامام صاليحوف فى مكة (من سجلات المؤلف).
(١٠٨) "ازفستيا" تاريخ ١٩٥٦/١/٥ — موسكو.
(١٠٩) مؤتمر جميع الكنائس والمؤسسات الدينية فى الاتحاد السوفيتي المعقود فى زاكورسك بين التاسع والثاني عشر من ايار (مايو)، موسكو، الصفحة ١٣.

الدراسات الدينية . وكـان يتبع كلا من هذه الجوامع مدارس دينية ، وقد اصبحت بعض هـذه المـدارس معاهـد لتدريس المعلومات العامة .

وكـانت حيـاة المسلمين فى الامبراطورية الروسية تحت ادارة واشراف رجال الدين الاسلامى وكـان بعض هؤلاء لديهم مبادىء تقدميه وقد ايقظوا فى شعبهم حب التعليم والثقافة . وكـانت أئمة الدين هذه قبل ثورة اكتوبر مسؤولة عن الوقف الاسلامى وتسجيل المواليـد والوفيـات واجراء عقـود النكـاح . وكـان القانون المطبق على المسلمين فى جميع الاحوال هو الشريعة .

ثانيا: هيـأت ثورة آذار (مارس) عام ١٩١٧ آفاقا جديدة متعـددة بـين السكـان المسـلمين القـاطنين فى مناطق التاتار الباشكير ، وقـام المثقفون المسـلمون برئاسـة المفتين ج. بارودى ور. فخر الدين وم. شمجرني وأ. أباني وك. ترجماني بانتهاز فرصة الحركة الديمقراطية الجديدة للعمل لاعادة الاستقلال الوطني للتاتاريين .

ثالثا : لم يكن هنالك حزب شيوعي فى منطقة التاتار والبـاشكير فى السنين التي سبقت الثـورة ، وظهر هنالك فى المـدة التي تلت احتلال منطقة الفولجا والاورال من قبل الجيش الاحمر فى نيسان (ابريل) عام ١٩١٨ ، وقد جذب السكـان التاتاريين والباشكيريين الى الحزب الشيوعي الوعود الكـاذبة التي اعطتها حكومة الثورة الخاصة بمنح الحرية التامـة ، بمـا فيهـا الحرية السياسية ، الى جميع الاقليات فى روسيا. والتاتاريون الباشكيريون الذين وضعـوا ثقتهم فى مثل هذه الوعود جرت ابادتهم فى البرهة التي تلت عام ١٩٣٠ ، وخاصة السنين التي شاع بها ارهاب يزوف.

رابعا: لم يتوقف صراع الالحاد الشيوعي ضد الاسلام منـذ البرهة الاولى التي تمكن فيها النظام السوفيتي من توطيد اقدامه فى منطقة التاتار والباشكير ، وانـه فى مـدة الاربعين سنة الـتي انقضت منذ قيامـه فى المنطقة قـد جرى هدم ٧٨٠٠ جامع كما ولتي حتفه ٢٥٠٠٠ من رجال الدين والحجاج واساتذة التعليم والغيت اعمال جميع المدارس الدينية ومؤسسات البر.

وكـان لتبـديل احرف الهجاء مرتين فى المنطقـة ان قـد اصبح من المعتذر عـلى السكـان التاتار والباشكير قراءة القرآن وقراءة مخطوطات الآداب الاسلامية ، وحرموا من التبـادل الثقافى مع شقيقاتهم من البـلدان فى الشرق الاسلامى الواقعة خارج حدود الاتحاد السوفيتي .

ويكوّن نظام التعليم المناوىء للدين والدعاية الالحادية خطرا على العادات الوطنية ومبادىء الاسلام الخلقية ، ورفض عـلى اثرها الشبان ، تحت تأثير الدعاية الشيوعية ، دين آبائهم وعدلوا عن القيـام بالواجبات التي يفرضها عليهم دينهم واصبح الشخص ، بعد تلك الضربات المتعاقبة التي يلقاها من الطغاة الكفرة ، يفقد كل صلـة لـه بالدين وعقائـد ثقافته الوطنية وقد تبدل الى انسان جديد — ما يسمى ”بالرجل السوفيتي“ الذى يحبذه الشيوعيون .

خامسا: التظاهر ”بالحرية“ وحمي القليل من النشاط الديني قانونا ما هي الّا دعاية فقط القصد منها ردع عامة الشعب المتدين عن الثورة على الحكومة السوفيتية ، وخدع السياسيين ”التقـدميين“ والرجال البارزين فى بلدان الشرق الاوسط الذين يأملون من الحصول على تحرير انفسهم من نظام الاستعمار بمساعـدة الاتحاد السوفيتي .

هذا ولما التجأت الحكومة السوفيتية مرغمة الى مساعدة الدين وأئمته فى خدمة سياستها الداخلية والخارجية ، برهنت هذه الحقيقـة عـلى مـا يلقاه الدين وائمتـه من الاهمية الفائقة فى العالم الحر وايضا فى حياة المواطنين الذين يقطنون ضمن الاتحاد السوفيتي بالرغم من تلقيهم الدراسات الشيوعية لاربعين عاما مضت .

الإسلام في شمال القفقاس

بقلم: واصان جيرى جاباجى

"لا اكراه فى الدين" سورة البقرة ، الاية ٢٥٦

الاسلام هو دين غالبية شعوب شمال القفقاس فالديانة المسيحية تمثل الاكثرية فقط بين السكان الاوستينيين حيث نسبة المسلمين بينهم هي من عشرين الى خمس وعشرين فى المائة من مجموع عدد السكان (١). وهنالك ايضا ألفا كوساك كاباردينى يتبعون الكنيسة الارثوذكسية (٢) ، اما البقية الباقية من السكان فهم مسلمون.

وقد عمت الديانة المسيحية شمال القفقاس فى العصور السالفة وكانت اكثر مما هي عليه الان ، فكان السكان الالانيون جميعهم من المسيحيين كما كان بين الخزريين اناس يدينون بالمسيحية وآخرون باليهودية. وكان الشراكسة ــ وبينهم الكاباردينيون ــ فى العصور الوسطى يدينون بالمسيحية وجرى تنصرهم على ايدى التجار اليونانيين والتجار من مدينة البندقية الذين اموا الموانىء القفقاسية النائية على البحر الاسود وحملوا تجارة واسعة اليها.

وانتشار المسيحية بين الاوستينيين اخذ طريقين: احداهما تلك التي اتت من اليونان وجورجيا والاخرى فيما بعد من روسيا التي شكلت فى القرن السابع عشر هيئة تبشيرية خاصة فى موزدوك لنشر الدين الارثوذكسي بين السكان الاوستينيين والكاباردينيين والانجوشيين. وكان نجاح هذه الهيئة التبشيرية طفيفا لان الكاباردينيين والانجوشيين قاوموا بالسلاح اية مساع لنشر المسيحية بينهم.

وكان الشاشان فى ذلك الوقت قد اعتنقوا الدين الاسلامى الذى جاء اليهم عن طريق داغستان حيث جاءها من العرب الذين ادخلوا هذه الديانة اليها فى القرنين السابع والثامن للميلاد. وقام أئمة الدين الشاشانيون بنشر الدين الاسلامى بين الانجوشيين الذين كانت تربطهم بهم صلات قرابة وصلات لغوية. اما الشراكسة واقرباؤهم الكاباردينيون فقد اعتنقوا الاسلام تحت تأثير تتر شبه جزيرة القرم والاتراك الذين بدأوا فى اوائل القرن الخامس عشر للميلاد فى فرض سلطانهم على جميع البحر الاسود والبلاد المجاورة له.

ولعبت الحرب الروسية ــ القفقاسية دورا حاسما فى اعتناق القفقاسيين الشماليين الدين الاسلامى فى اواخر القرن الثامن عشر للميلاد ، وكان زعيم القبائل الجبلية فى ذلك الحين ، هذه القبائل التى كانت متوزعة بين بلاد الشاشان

---

(١) ارثار بايهان "المدنية القفقاسية" الصفحة ٢١٦ ، باريس عام ١٩٣٦.
(٢) جلهم كوساك كاباردينيون فى قرية لوكوفو فى مقاطعة موزدوك.

وداغستان والشراكسة ، الشيخ منصور الذى كان يشغل منصب زعيم عسكرى وسياسي لهؤلاء السكان وهو الذى الف المريدية ــ اى الحركة العسكرية والدينية والسياسية التى تبعها شعوب شمال القفقاس والتى كانت ذات هدف مزدوج : مقاومة محاولات الحكومة الروسية لفرض سلطانها على بلاد القفقاس من جهة ، وتقوية مركز الاسلام كدين لبلاد القفقاس من جهة اخرى. وتبع خطوات الشيخ منصور هذا جميع الزعماء الذين اتوا بعده والذين حاربوا كفاحا عن صيانة حرية واستقلال شمال القفقاس ــ منهم القاضي ملا ، وحمزة بك وشامل ومحمد الدين وغيرهم. وقد قوت الحرب الروسية ــ القفقاسية ، التى استمرت قرنا كاملا ، نفوذ الاسلام بين الشعوب فى شمال القفقاش ، هذه الشعوب التى كانت تمقت الغزاة الروس. واصبحت داغستان مركزا لدراسة الدين الاسلامى والادب والفلسفة العربية ، وكان أئمة الدين الاسلامى بها مسؤولين عن ارشاد عامة الشعب فى الشؤون الدينية والادبية ، وللاشراف على تعليم ما لا يقل عن ١٥٠٠٠٠ طالب فى خمسماية الى ستماية مدرسة ابتدائية وثانوية (مكاتب ومدارس) (٣) ، وكان جميع المعلمين من المشايخ والائمة والعلماء وطلبة الدين (طلاب المعاهد الدينية ــ المدارس) قد قاموا بنشر الفكرة القائلة ان الكفاح ضد الحكم الروسي فى القفقاس يجب ان يستمر الى الابد.

الاسلام فى شمال القفقاس فى العصر القيصرى

حدث فى عام ١٨٦٤ وبعد انتهاء الحرب الروسية ــ القفقاسية ان اصبح شمال القفقاس مركزا لثورات متعددة (فى مناطق الشاشان وداغستان) وكان اكبر هذه الثورات تلك التى حدثت فى عام ١٨٧٧ والتي كان يقودها الزعيم الشاشاني علي بك حاجي. وكان الداعي لهذه الثورات هو تخلف الحكومة الروسية عن الوفاء بوعودها التي اعطتها للقفقاسيين باسم الامبراطور الروسي فى بيانها الصادر فى عام ١٨٦٠ ــ اى بعد عام واحد من القبض على الامام شامل فى عام ١٨٥٩. وجاء فى هذا البيان الذى اشار اليه العقيد القيصرى موسى كوندوكوف فى مذكراته (والموجه خاصة الى الشعب الشاشاني الذى لعب دورا هاما فى الحرب الروسية ــ القفقاسية) الفقرة التالية (٤) : ”اعلن بموجب هذا وباسم ملكنا الامبراطور ان الحكومة الروسية ستسمح لكم باتباع عقائد ايمان آبائكم باستمرار وبحرية تامة...“

”وان الحكام المعينين عليكم سوف يحكمون بموجب ’الشريعة‘ و’العادات‘ ، كما وان المحاكمات والعقوبات سوف تجرى بموجب قرارات المحاكم الشعبية التي ستتكون من رجال تنتخبونها بانفسكم ويجرى التصديق على هذه الانتخابات من قبل السلطات ...“

---

(٣) النشرة التي عنوانها ”سكان مرتفعات القفقاس الشمالية“ التي صدرت فى شهر آب (اغسطس) عام ١٩٣٠ ، والتي اصدرتها لجنة ”الحزب الوطني لسكان مرتفعات شمال القفقاس“.

(٤) مذكرات القائد موسى كوندوكوف المنشورة فى مجلة ”قفقاز“ العدد ٥/٢٩ لشهر ايار (مايو) عام ١٩٣٦ ، الصفحة ٢٣ طبع باريس. وايضا نفس المجلة العدد ٨/٥٢ لشهر آب (اغسطس) عام ١٩٣٦ ، الصفحة ٣١. وكان موسى كوندوكوف هذا مسلما اوستينيا وقد عين قائدا لمنطقة الشاشان وهو الذى قرأ شخصيا البلاغ الذى وقع عليه قائد القوات فى الجيش القفقاسي ونائب الامبراطور للقفقاس المشير الامير باريانتنسكي.

"... وان اراضيكم ، بما فيها ما تملكون وما وهبتها لكم السلطات الروسية ، سوف تبق ملكا دائما لكم بموجب تشاريع وسوف تفقدون ملكيتها فقط فى حالة نكران اخلاصكم للامبراطور او بالخيانة او العصيان العام..."

وكتب القائد موسى كوندوكوف فى مذكراته انه "عندما استلمت هذا العهد اصابني فرح لم اعرف مثله فى حياتي من قبل (والذى تبين فيما بعد انه لا يستحق اى فرح)".

وكتب كوندوكوف فى الفصل السادس من مذكراته: "بدلت الحكومة فجأة ، وكان ذلك غايتها ، جميع مقاصدها السابقة... وقامت خلافا للعهد الذى اعطته مؤخرا الى الشاشانيين بمصادرة جميع مرتفعاتهم وجعلتها ملكا للدولة وترك للشاشانيين جزء بسيط من اراضيهم التى لا احراج بها...".

وتلى هذا تشكيل ادارة عسكرية بدلا من حكم "الشريعة" و"العادة" الموعودتين ، واصبحت صلاحيات المحاكم الشرعية محصورة فى امور الوراثة والدعاوى المدنية التي لا تتجاوز قيمة الخلاف بها الا ٢٥ روبل.

ونتيجة لهذه الحوادث المؤلمة واختلاف الاوضاع هاجر القائد كوندوكوف فى عام ١٨٦٥ من روسيا الى تركيا وقام فى عامى ١٨٧٧ و١٨٧٨ بالاشتراك مع الجيش التركي فى حربه مع روسيا.

ولم يحدث هنالك تحسن ملموس فى الاوضاع فى القفقاس الا بعد نشر قرار ١٧ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٥ الذى نص على حرية العبادة لجميع الاديان. وقد قوبل هذا الامر بالاستحسان الشامل وبالرضاءمن قبل سكان شمال القفقاس وغيرهم من السكان المسلمين فى روسيا ، وجعله من الممكن لكثير من سكان المرتفعات الذين سجلوا اسمهم لسبب ما كمسيحيين ارثوذكسيين العودة لاسلامهم ، وحدث فعلا ان عاد سكان الكثير من قرى اوستيا المسيحية الى الاسلام (فى عام ١٩٠٥).

الاسلام فى شمال القفقاس بعد ثورة آذار (مارس)

كانت ثورة آذار (مارس) عام ١٩١٧ بمثابة اشارة الى شعوب شمال القفقاس وجميع مسلمي روسيا بطلب تقرير مصيرهم الذاتى. هذا ولما لم تعط الحكومة الموقتة البلدان المتاخمة للحدود الاستقلال التام ــ سياسيا واقتصاديا وثقافيا ودينيا ــ قرر شمال القفقاس الانسحاب من الامبراطورية.

وحدث بعد الانقلاب العسكرى من قبل البلاشفة ان تم تشكيل ما يسمى بحكومة ترك ــ داغستان فى كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧ ، وارسلت فى الحادى عشر من ايار (مايو) عام ١٩١٨ مذكرة خاصة الى الحكومات الاجنبية تنبؤها بتشكيل جمهورية شمال القفقاس المستقلة. وتبعها فى هذا الشأن اذربيجان وارمينيا وجورجيا التي اعلنت استقلالها فى اواخر الشهر المذكور. هذا وحدث فى ايار (مايو) عام ١٩١٩ ان هاجم الجيش الابيض ، تحت قيادة القائد دينيكين ، اراضي الجمهورية وبعد عراك مستميت فى شيشينيا وانجوشيتيا والداغستان تمكن من الاستيلاء على تلك الاراضي واخضاعها.

اما استقلال حكومة شمال القفقاس فكانت اعترفت به حكومات تركيا والمانيا وحتى الحكومة السوفيتية نفسها ما دامت شمال القفقاس هذه تحارب جيوش القائد دينيكين التي كانت فى هذا الوقت بالقرب من اوريل وكورسك.

وفى اذاعة لشعوب المرتفعات فى شمال القفقاس قال شيشيرين ، مندوب الخارجية السوفيتية ، ما يلي: ”لا ترغب روسيا السوفيتية فى القيام بهجوم مسلح على جمهوريتكم لكي تقيم ادارة سوفيتية بها ، وستبقى روسيا السوفيتية متمسكة بمبدأ تقرير المصير من قبل الشعوب. وان كنتم انتم المسلمون فى القفقاس راضين عن نوع حكومتكم الجمهورية فعليكم العيش بسلام وهدؤ لكي تنموا وتعيدوا علاقات الجوار الجيدة معنا“ (٥).

الاسلام فى شمال القفقاس تحت السيطرة البلشفية

حدث اثناء استيلاء البلاشفة على الحكم فى روسيا ان اعتبر لينين ان النظام الجديد لا يمكنه الثبات لوقت طويل الا اذا قامت الطبقة العاملة فى آن واحد للحصول على القوة فى غربى اوروبا ولاقامة ”ديكتاتورية الطبقة العاملة“ ، وبهذا تتمكن من احباط العزل الذى تعرضت له روسيا السوفيتية من قبل الدول الرأسمالية التي (كما يذكر) اعلنت مقاطعتها فى ذلك الحين للنظام السوفيتي (وقد استمرت الدول العظمى لمدة طويلة بدون علاقات دبلوماسية رسمية مع الكرملين). ولهذا اضطرت الحكومة السوفيتية لان تعمل كل ما فى وسعها للحصول على اصدقاء لها فى الشرق ، وخاصة فى الشرق الاسلامى. ولهذا قام لينين بعمل الدعاية الفعالة فى الشرق عامة وبين شعوب روسيا الواقعة على الحدود خاصة ، والطلب منهم قبول سياسة روسيا السوفيتية الخاصة بالاقليات الوطنية. وقال لينين ان هذه السياسة التي وضعها الحزب الشيوعي تتكون مما يلى:

(أ) الرفض رفضا باتا كل نوع من الاجبار الذى يجرى على حساب الاقليات القومية.

(ب) الاعتراف بمساواة وسيادة الامم فى تقرير مصير امورها الخاصة.

(ج) الاعتراف بالمبدأ القائل ان الوحدة الثابتة لا يمكن ان تأتى الا عن طريق التعاون والعمل الحر الخ (٦).

ولم يضيع لينين اى وقت فى وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ ولهذا اصدر بيانا عن ”حقوق شعوب روسيا“ الذى نشر فى الثانى من تشرين الثانى (نوفمبر) (بحسب التقويم والذى يرادف الخامس عشر من تشرين الثانى بموجب التقويم الجديد) من عام ١٩١٧ ، اى بظرف اسبوع واحد بعد الانقلاب الذى حدث فى شهر اكتوبر وقد جاء ضمن هذه ”الحقوق“ ما يلي:

(اولا) مساواة واستقلال شعوب روسيا.

(ثانيا) الحق لشعوب روسيا بان تقرر مصيرها بحرية بما فى ذلك الانفصال عن روسيا وتكوين دول مستقلة لنفسها.

(ثالثا) الغاء اية امتيازات ومحظورات خاصة بالقومية او الدين الوطنى.

(رابعا) التطور الحر للاقليات القومية التي تقطن روسيا (٧).

---

(٥) حيدربامات ”القفقاس والثورة الروسية“ الصفحة ٥٤ طبع باريس عام ١٩٢٩.

(٦) ف. ف. كسينوفونتوف ”ازبكستان وتركستان“ الصفحة ٢١ ، مطبعة الحكومة الرسمية (جوس يزدات) ، موسكو عام ١٩٢٥.

(٧) المعجم السياسي ، الصفحة ١٦٤ طبع مطبعة الحكومة (جوس يزدات) للمنشورات السياسية ، موسكو عام ١٩٤٠.

ويتبين من هذا البيان ان حرية الاعتقاد وحرية العبادة قد جرى الاعتراف بها رسميا. هذا ونشر توا بعد هذا (فى ٢٠ تشرين الثاني (نوفبر) و٣ كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩١٧) "النداء الموجه من قبل مجلس وممثلي الشعب الى جميع المسلمين العاملين فى روسيا والشرق" الذى جاء فيه: "تعتبر من الان فصاعدا عاداتكم واعتقاداتكم كما وتعتبر مؤسساتكم القومية والثقافية حرة وغير قابلة للنقض. وعليكم اتباع حياتكم القومية بحرية وبدون تدخل او اعاقة ولكم كامل الحق فى مثل هذا. وعليكم ان تعلموا ان حقوقكم وحقوق جميع شعوب روسيا ستحميها جميع قوى الثورة واركانها ــ مجلس (سوفييت) العمال والجند والفلاحين" (٨).

جذبت بالطبع هذه الوعود المقطوعة وبيانات الحكومة السوفيتية عطف الاقليات القومية لانها تمثل آمال واحلام الشعوب التي تم اخضاعها بقوة السلاح من قبل القوات القيصرية الروسية.

وحدث اثناء انعقاد مؤتمر شعوب الشرق فى باكو فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٠، هذا المؤتمر الذى أمه ١٨٠٠ موفد، ان ردد البلاشفة مرة اخرى مبادىء الحرية هذه ــ دون الالتفات الى القوميات والاديان ــ بانها هي التي تقرر سياسة الحكومة. وقد تلقى المجتمعون هذا البيان بحماس عظيم حيث اقسموا على ان يكافحوا من اجل شعارات ثورة اكتوبر وتأمين النصر لها حتى النهاية (٩).

وبالنظر لهذا المظهر الذى ظهرت به الشعوب الاسلامية اخذ البلاشفة يداهنون الاسلام ويتظاهرون بالتودد له بينما كانوا فى نفس الوقت يقومون باضطهاد الكنيسة الارثوذكسية الروسية بالنظر لاخلاصها للنظام القيصرى. ولم يستمر هذا التملق الا قليلا اى الى حين ان تمكنت الحكومة السوفيتية من قهر القوات المقاومة لها فى الحرب الاهلية.

وأثناء كفاح سكان مرتفعات القفقاس ضد جيش المتطوعين الابيض الذى كانت تسانده القوات البريطانية والافرنسية، اعطى الكرملين تأييده الى فئات مختلفة من شعوب شمال القفقاس، فئات كان يرأسها أئمة دين اسلامية مثل اوزون حاجي فى الشاشان وتاركو حاجي فى انجو شيتيا وعلي حاجي فى أكوش من اعمال داغستان وكاتخانوف فى كاباردا. وهؤلاء الرجال المذكورون الذين ثاروا للدفاع عن استقلال شمال القفقاس السياسي والشريعة كانت تسندهم جميع أئمة الدين الاسلامى ورؤساء الفئات الاسلامية: المريدين وكونت حاجي وغيرهم، وتمكنت الشريعة بهذا من النمو والتطور المستمر.

وبالنظر لجهل المتحمسين للشريعة اللغة الروسية جزئيا او كليا لم يتمكنوا من تقدير معاني البلشفية الحقيقية وصدقوا جميع الاقوال القائلة بوجود الشبه الروحاني بين مبادىء لينين ومبادىء النبي محمد عليه السلام. وقد حصل بالواقع ان البلاشفة فى كثير من مؤتمراتهم، وخاصة عند وجود المسلمين فى هذه المؤتمرات، رفعوا اصواتهم قائلين: "ليعش الانترناسيونال الثالث والشكر لله الاجل".

وحاول البلاشفة اثناء الحرب الاهلية، وفى المدة الواقعة بعدها، اى بعد ان تمكنوا من فرض سلطانهم على القفقاس، ان يراعوا مسلمي شمال القفقاس رعاية خاصة ويلبوا مطالبهم واراداتهم. ومثالا لذلك ما حدث اثناء المؤتمر الذى عقد فى فلاديكافقاس، عاصمة شمال القفقاس، فى العشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢١. وقد

---

(٨) ف.ك. كوزلوف "تشكيل وتطور الامم الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتي" (باللغة الروسية) الصفحات ٣١ و٣٢، طبع دار الطبع الحكومية (جوس يزدات) للمنشورات السياسية، موسكو عام ١٩٥٤.

(٩) شارلس سارولیا: "ما رأيته فى روسيا السوفيتية" الصفحات ١٥٩ الى ١٦٣ طبع باريس عام ١٩٢٤.

حدث ان اتخذ قرار فى هذا المؤتمر بحضور ستالين ، الذى كان فى ذلك الحين مندوب الاقليات القومية ، واورزونيكيدز ، ممثل لينين فى القفقاس ، على تشكيل جمهورية سوفيتية للمرتفعات لها دستور قائم بموجب ''الشريعة'' و''العادات'' ــ اى القانون الاسلامى والعادات القومية. ولم يكن احد يتوقع مثل هذا. وعلاوة على ذلك فقد وعدت الحكومة السوفيتية بعدم التدخل فى شؤون الدولة الجديدة الداخلية. وقد صدر قرار باعادة جميع الاراضي التي صادرتها حكومة القياصرة لاسكان الكوساك و''الاجانب'' الى اصحابها السابقين اى القفقاسيين.

وقد عجب الكل للامتيازات التي اعطتها البلاشفة فى ذلك الوقت ، حين سمحوا باستعمال مبادىء الشريعة فى مرتفعات القفقاس بالرغم من ان برنامج الحزب الشيوعي كان يدعو الى شن حرب شعواء على كل دين كنقطة رئيسية فيه. وعلقت صور شامل الزعيم والامام المشهور وقائد مسلمي شمال القفقاس فى حربهم ضد روسيا القيصرية ، وصور نوابه فى جميع المؤسسات الحكومية والمؤسسات العامة. ولم يشاهد فى ذلك الوقت اى صورة للينين او لاعضاء الحزب الشيوعي فى اى مكان فى القفقاس. وحدث ايضا بناء على اوامر ستالين واورزونيكيدزى ان نقل السكان الكوساك من القرى التي كانوا يقطنونها الى داخل روسيا بينما اعيدت هذه القرى والاراضي الى الشاشان والانجوش الذين كانوا يملكونها فى السابق.

ولم تعمر الجمهورية السوفيتية للمرتفعات طويلا اذ انها قسمت الى مناطق ذات حكم داخلي وتابعة للحكومة المركزية وجرى فيها بعد هجر ''الشريعة'' و''العادات'' والتعويض عنها بالقوانين المعمول بها فى روسيا السوفيتية. وليس من الغريب ان نرى ان تمزيق جمهورية المرتفعات السوفيتية هذا ونقض الوعود التي اعطتها الحكومة سابقا قد اثار موجة من عدم الارتياح فى جميع البلاد.

ابتداء اضطهاد المسلمين

قام البلاشفة ''بجمع شتات'' المناطق النائية ــ على حد قولهم ــ التي كانت انفصلت وضمها الى روسيا السوفيتية تحت اسم جديد يعرف ''بالاتحاد السوفيتي'' فى عام ١٩٢٢ ، ووجد الكرملين توا بعد هذا انه ''من المناسب'' تغيير سياسة القوميات السابقة تغييرا مفاجئا عاملين بموجب نوايا لينين الغادرة عندما وضعها(١٠).

وقد وجهت هذه السياسة الجديدة فى الغالب الى الاراضي الاسلامية الكائنة على اقصى الحدود والى الدين الاسلامى والى ما يسمى ''بوطنية الطبقة الوسطى''. وعلينا ان نذكر ان الاسلام ، الذى يملأ نفوس المسلمين ، يشكل عاملا اساسيا لكل حركة انفاصلية لا بل لكل حركة تحرير قومية. ولهذا فكل اضطهاد للاسلام يشمل اضطهاد ''لوطنية الطبقة الوسطى''. ومن جهة اخرى فكل صراع ضد ''وطنية الطبقة الوسطى'' يؤثر فى الاسلام الذى يحمل ضمن عبابه ثقافته الخاصة وجهازه الشرعي الذى لا يزال يعمل به فى الكثير من الدول الاسلامية والذى كان يعم المناطق الاسلامية النائية التي كانت تتبع روسيا قبل الثورة ، بما فيها شمال القفقاس.

---

(١٠) انظر كليات ستالين المجلد ٢٤ الصفحة ١٤٩ طبع موسكو عام ١٩٥٠.

ونرى ان اضطهاد الاسلام والوطنية عامة بدأ فى عام ١٩٢٢ ، اى بعد ان وطد النظام السوفيتي اقدامه فى البلاد. وبدأ هذا باشارة اعطيت فى المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي (الذى انعقد بين السابع عشر والخامس والعشرين من نيسان (ابريل) عام ١٩٢٢) حيث "كشف" فى هذا المؤتمر "الانحيازيون الوطنيون" الجورجيون. وذكر الكاتب السوفيتي ف. ك. كوزلوف (١١) ان المؤتمر الرابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي ، الذى عقد فى حزيران (يونيو) عام ١٩٢٣ ، والذى استمر فى العمل الذى تداوله مؤتمر الحزب الثاني عشر ، بالاشتراك مع موظفين مسؤولين من الجمهوريات الصغرى ومن المحافظات ، "كشف القناع" عن زمرة من الوطنيين التاتاريين من الطبقة الوسطى برئاسة سلطان غالييف ، وجماعة من الوطنيين الازبكيين برئاسة فيض الخوجايف كما وان هذه الجماعات اتهمت بانها تعمل للجامعة الاسلامية.

وتلى الحملة على الدين هذه فى عام ١٩٢٥ تأسيس "اتحاد الملحدين المحاربين الذين قاموا ببث دعاية فعالة من اجل الالحاد ضد "التحزبات الدينية". وحصل فى هذا العام نفسه ايضا اضطهاد زائد لأئمة الدين الاسلامى حيث قضى على الاعضاء البارزين بينهم وشملت التصفية هذه الدراويش حجي محمد وحجي على بشمات جيرى والشيخ محمد امين وابراهيم شيخ وحجي بليال وغيرهم ، وقد اعدموا جميعا رميا بالرصاص فى عام ١٩٢٥.

وقامت الحكومة السوفيتية فى الوقت نفسه باقفال الجوامع فاقفلت فى عام ١٩٢٥ ٢٨ جامعا ، وفى عام ١٩٢٧ ٣٦ جامعا وفى عام ١٩٢٨ ١١٦ جامعا وفى عام ١٩٢٩ ٢١٣ جامعا (١٢). وحدث اغلاق اكبر عدد من الجوامع فى المدة الواقعة بين عامى ١٩٣٦ و١٩٣٨. هذا وبلغ مجموع الجوامع التي اغلقت فى شمال القفقاس حتى عام ١٩٤٠ قرابة ٣٨٥٠ جامعا.

وقد بلغ الاضطهاد الشامل لجميع الاديان ذروته فى عامى ١٩٢٨ و١٩٢٩ اى بعد انتهاء الفترة التي تميزت بالسياسة الاقتصادية الجديدة ، وايضا اثناء تحويل الاراضي الى مزارع جماعية (اى بين عامى ١٩٢٩ و١٩٣٤). وقد اتخذت الحكومة السوفيتية فى هذه الاحوال "وسائل فوق العادة" لمصادرة الحبوب من "المزارعين الكبار والمله" وتحولت محاربة الدين فى تلك السنين الى حملة قوية ضد الاسلام وأئمته والجوامع والمقابر والمدارس الدينية وغيرها من "المؤسسات الدينية".

وفى الخامس عشر من ايار (مايو) عام ١٩٣٢ اعلن اتحاد الملحدين المحاربين "برنامج الحادى لخمس سنوات" وكان يؤمل انه عند نهايته "اى فى الاول من ايار (مايو) عام ١٩٣٧ يجب ان لا يبقى بيت صلاة واحد فى جميع اراضي الاتحاد السوفيتى وان الاعتقاد بالاله الاجل يجب ان يقضى عليه فى جميع الاتحاد السوفيتي لانه هو من مخلفات العصور الوسطى" (١٣).

هذا ودل احصاء السكان السوفيتي لعام ١٩٣٧ ان غالبية الرعايا السوفييت لا زالوا يؤمنون بالله. وفى احصاء عام ١٩٣٩ لم يوضع السؤال "هل تؤمن بالله؟" فى جدول الاسئلة الموزعة على السكان.

---

(١١) ف. ك. كوزلوف فى كتابه المشار اليه سابقا الصفحة ١٠٣.
(١٢) الارقام كما وردت فى "سكان مرتفعات شمال القفقاس" آب (اغسطس) عام ١٩٣٠ ، وايضا النشرات التي اصدرتها فى وارسو لجنة "الحزب القومى لسكان مرتفعات شمال القفقاس".
(١٣) ف. م. جريكو: "النشء الشيوعي فى الاتحاد السوفيتي" (باللغة الروسية) طبع ميونيخ فى ١٩٥٢.

ونرى ان الحملة ضد الدين الاسلامى فى شمال القفقاس قد وقعت على خطوات متعددة غايتها عدم خلق النزاع مع السكان ، وروى لنا شاهد عيان اسمه ك. اسلاموف ان هذه الخطوات تلى بعضها البعض على النمط التالي:

'' الدور الاول: ــ صودرت جميع بيوت طبع الكتب الدينية كما وانه حظر توزيع المنشورات الدينية واعتبر هذا بانه عمل مضاد للثورة. وهنا بدلت احرف الهجاء العربية باحرف لاتينية ثم تلاها تبديل الاخيرة باحرف هجاء روسية. هذا واعتبر جميع الافراد الذين يعملون بالامور الدينية بانهم '' عناصر غير عاملة '' وسحبت منهم حقوقهم المدنية بموجب القوانين السوفيتية ــ ومثل هذا لم يحدث سابقا ابدا. ولما صنفت هذه الطبقة بانها '' محرومة '' طبقت على اعضائها عقوبات اقتصادية منها انه فرضت عليهم الضرائب الباهظة وطلب منهم '' تقديم '' كميات غلال باهظة (من الحبوب واللحم والصوف وغيرها) مما جعل ذلك من المحتم عدم مقدرتهم على ادائها بالفعل ، وعدم ادائها هذا جر معاقبته بموجب ''الفقرة الخاصة بالغلال'' (المادة ١٠٧ من قانون العقوبات السوفيتي)(١٤) والذى يعاقب عليه الفرد بالنفى. وهنا اضطر الشعب رغبة فى المحافظة على رؤسائهم الروحانيين وسعيا وراء ابقائهم بينهم الى جمع هذه الفروض من الحبوب من بعضهم البعض وتقديم '' الكمية المفروضة '' للسلطات. غير ان مثل هذه الاجراءات كانت عمليات موقتة.

'' الدور الثانى: قام القسم السياسي السرى لدى البوليس السوفيتي باجبار أئمة الدين على التوقيع على اعترافات كتبت لهم مسبقا واحتوت على شهادات ليجرى طبعها بالصحف السوفيتية يقولون فيها بانهم يعترفون للملأ ان الدين انما هو خديعة يخدع بها الشعب وان الموقعين على هذه البيانات يعلنون رفضهم بعد الان خدمة دينهم او الايمان به. هذا ولما لم يوقع على هذا البيان سوى القليل من أئمة الدين بعد الضغط الشديد ، قام البوليس السرى بموجب الصلاحيات الخارقة المعطاة له بنفي الشيوخ والائمة الذين رفضوا التوقيع عليها الى اماكن نائية.

'' وفى هذه الاوان التي حدث بها نفي أئمة الدين تركت الجوامع بدون وعاظ وتركت المدارس الدينية بدون معلمين ، بينما اخذ مكانهم اشخاص '' مستعربون '' اى انهم لم يتمموا تعاليمهم الدينية ولا يمكن اعتبارهم أئمة دين. واخذت الحكومة السوفيتية على نفسها اعتبار هؤلاء الاشخاص '' أئمة دين '' وكان مصيرهم نفس المصير الذى لاقاه الائمة الحقيقيون.

'' الدور الثالث: قامت الحكومة السوفيتية بمصادرة جميع ابنية الجوامع والمدارس الخالية وتسليمها الى معاهد او مؤسسات لاستعمالها '' كزوايا حمراء '' ، او زرائب للحيوانات وغير ذلك او انها قامت بهدمها '' (١٥).

واستطرد المؤلف المذكور باعطاء احصاء تقديرى لعدد الجوامع والكليات الدينية والائمة ومعلمي الدين الذين تمت تصفيتهم من قبل الحكومة السوفيتية فى المدة الواقعة بين عام ١٩٢١ وعام ١٩٤١ ، اى حتى المدة الواقعة قبل الحرب العالمية الثانية ، وحصل على النتائج التالية:

---

(١٤) لقد اخطأ صاحب هذا القول حين اشار الى المادة ١٠٧ من قانون العقوبات السوفيتي ، اذ ان عدم تقديم الغلال الاجبارى يعاقب عليه الفرد بموجب المادة ٦١ من قانون الجرائم السوفيتي (ملاحظة محررى معهد دراسة الشؤون السوفيتية فى ميونيخ).

(١٥) ك. اسلاموف: '' ستالين والمسألة الاسلامية '' فى مجلة '' القفقاس الحرة '' العدد ١ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥١ ، الصفحة ٧ طبع ميونيخ.

كان هنالك فى عام ١٩٢١ فى شمال القفقاس ٤٠٠٠ جامع و١٠٠٠٠ امام ديني و٢٠٠٠ كلية دراسة دينية (مدارس) اما فى عام ١٩٤١ فلم يبق سوى ١٥٠ جامعا و١٥٠ امام ديني ولم يعط المؤلف اى احصاء لعدد الكليات الدينية الباقية. ونرى من هذا الاحصاء انه جرى هدم او اغلاق ما لا يقل عن ٩٦ ٪ من جميع الجوامع فى شمال القفقاس (ومثل هذا حصل للكنائس الارثوذكسية الروسية).

ويمكن الاضافة الى ما سبق انه حظر على الفرد القيام بواجبات دينية رسمية كالصلاة فى بيته او فى الجامع كما والغيت الاحتفالات بعيدى الفطر والاضحى والاحتفالات بالختان والزواج ودفن الموتى بموجب الشعائر او العادات الاسلامية. وقد حظر ايضا الحج الى مكة واصبح الفرد لا يأمن على روحه فيما اذا احتفظ بنسخة من القرآن وغيره من الكتب الدينية او اى كتب مطبوعة باللغة العربية، وحتى فى بيوت الافراد الخاصة. هذا وقد جرى اغلاق جميع بيوتات الطبع التي كانت تطبع الكتب باللغة العربية.

وانه لمن مزايا السياسة السوفيتية المنافقة والتي هي ذات وجهين انه عند التصديق على ما يسمى "بدستور ستالين" (١٦) (فى الخامس من كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٣٦) ان تلى هذا فورا المزيد من اضطهاد الدين الاسلامى "ووطنية الطبقة الوسطى" فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتي واسندت الى غالبية المثقفين فى شمال القفقاس "الجرائم" التالية:

اولا: الاشتراك فى اعمال منظمات القفقاس الكبرى وجمعيات شمال القفقاس المناوئة للثورة التي تعمل لفصل القفقاس عن الاتحاد السوفيتي وتحويلها الى دولة برجوازية مستقلة. واتهموا ايضا بالاشتراك مع الجماعات الانفصالية من بين الكوساك فى اوكرانيا وتركستان وغيرهما من المناطق.

ثانيا: العمل مع منظمات تركية سرية غايتها قلب النظام السوفيتي بالاشتراك مع الدول البرجوازية وتشكيل دولة اتحادية تركية مكونة من شمال القفقاس واذربيجان وشبه جزيرة القرم والفولجا ــ اورال وتركستان. والاشتراك والتعاون مع منظمات سرية تركية وايرانية.

ثالثا: التعاون مع مراكز تروتسكية ــ بخارينية مضادة للحزب

رابعا: هدم الاعمال الثقافية والعلمية . . . ورفض تعلم اللغة الروسية.

ونشر كتب مدرسية ومعاجم وغيرها من النشرات الادبية المشبعة بروح وطنية الطبقات الوسطى او الجامعة التركية وغيرها (١٧).

حدث كل هذا فى الزمن الذى ادعى فيه الدستور الجديد تساوى المواطنين وحرية الاديان حيث قال: "ولاجل ضمان حرية العبادة لجميع المواطنين، تفصل بموجب هذا الكنيسة فى الاتحاد السوفيتي عن الدولة كما وتفصل المدارس عن الكنائس، وحرية القيام بالطقوس الدينية وحرية القيام بالدعاية المضادة للدين يعترف بانهما من حقوق جميع المواطنين" (المادة ٢٤ من دستور الاتحاد السوفيتي).

---

(١٦) دستور جمهورية الاتحاد السوفيتي ــ موسكو ــ مطبعة الحكومة عام ١٩٤٠.

(١٧) م. اسلان بك: "ابادة شعب الكراشي من قبل السوفييت" فى مجلة "قفقاس" العدد ٢/٧ تاريخ شباط (فبراير) عام ١٩٥٢، الصفحة ١٧ طبع ميونيخ.

وبتصفية ''اعداء الشعب'' فيما يسمى ''بالعمليات العامة'' التي حدثت فى السنتين اللتين استمر بهما ارهاب ييزوف (عامى ١٩٣٧ و١٩٣٨) فقدت شمال القفقاس ١٢٠٠٠٠ نسمة من رجال ونساء، اى ما نسبته ٤٪ من مجموع عدد سكانها. والتطهير هذا شمل فى الدرجة الاولى المتعلمين ومن بينهم شيوعيون قدماء من سكان المرتفعات. ونذكر فى هذه المناسبة ان البلشفي الشاشاني حسن اسرائيلوف الذى ثار فى عام ١٩٤٠ على النظام الشيوعي فى جبال القفقاس، قد وجه رسالة الى السلطات السوفيتية فى عام ١٩٣٩ قائلا فيها انه قرر مقاومة الحكومة بقوة السلاح واضعا الاسباب التالية:

''قامت الحكومة السوفيتية للعشرين سنة الاخيرة بشن حرب لابادة شعبي تحت حجج مختلفة ــ اما لانهم ملاكو اراضي كبار او انهم مالله او انهم 'لصوص' او انهم'' ''وطنيون من الطبقة الوسطى''. لقد اقتنعت الان بان الحرب هذه قد شنت لافناء جميع الشعب ولهذا فانني قررت وضع نفسي على رأس حرب شعبي التحريرية''. واستطرد اسرائيلوف قائلا: ''اعرف جيدا انه لا الشاشان ــ انجوشيتيا فقط بل وجميع القفقاس التي هي غير روسية سوف تجد الصعوبات الكبيرة فى تحرير نفسها من نير الاستعمار الاحمر'' (١٨).

الاسلام فى شمال القفقاس اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها

حدث فى اوائل ايام الحرب السوفيتية ــ الالمانية وعندما احتلت قوات هتلر اوكرانيا وشبه جزيرة القرم ومنطقة الدون والقسم الغربي من شمال القفقاس (مناطق كوبان وكاباردا وكاراشي وقسم من شمال اوسيتيا) وحتى عندما وصلت هذه القوات ستالينغراد وضفة الفولجا اليمنى ان طار وعي ستالين واضطر الى التخفيف من حدة نظامه الجائر. واول ما بدأ به هو التوسل الى اميركا لكي تساعده وترسل له الغذاء والاسلحة، وقام ايضا بحل الانترناسيونال (الكومنتيرن) الثالث ''وهادن'' الدين وسمح للسكان فى الاتحاد السوفيتي بفتح ابواب الكنائس والجوامع والمعابد اليهودية. وقام ستالين فى نفس الوقت باعادة شعور الوطنية وسياسة ''الدولة العظمى'' لدى الشعب الروسي، وفى هذا المأزق الحرج تذكر البلاشفة فجأة دستور عام ١٩٣٦ الذى ضمن (ولو على ورق فقط) ''حرية ممارسة الدين''.

وصفت طبعة عام ١٩٤٧ لدائرة المعارف السوفيتية الكبرى الامتيازات التي اعطتها الحكومة السوفيتية اثناء الحرب للديانات عامة وللدين الاسلامى خاصة بقولها: يضمن الدستور ''حرية ممارسة الدين'' وهذا يعني ان جميع المؤمنين بالدين عليهم اذا رغبوا ان يشكلوا منظمات دينية بموجب شعائر دينهم وبامكانهم الاجتماع فى اوقات معينة لاداء فرائض الصلاة واقامة اى شعائر اخرى، ولتعميد الصغار والكبار ومباركة الزواج واكل انواع المأكولات المصرح بها بموجب الدين او الكف عنها (كالصوم عند المسلمين) الخ. وان الحكومة سوف لا تضع اى عراقيل فى سبيل هؤلاء الاشخاص بل انها على العكس سوف تقدم المساعدة اللازمة كتأمين ابنية لاقامة الصلاة بها واعطاء مساعدات مالية

---

(١٨) أ. اورالوف (ا. افتورخانوف) ''ابادة الشعوب فى الاتحاد السوفيتي ــ قتل الشعب الشاشاني'' الصفحة ٦١، طبع ميونيخ عام ١٩٥٢.

للطوائف المنظمة وتقديم لوازم البناء لاقامة او ترميم الابنية الدينية. هذا وتقدر الحكومة حاجة المؤسسات الدينية لتدريب ائمة دين جدد وهي لهذا سوف لا تضع العراقيل فى سبيل انشاء مدارس خاصة بل وانها سوف تقدم لهم المساعدة لايجاد ابنية مناسبة لهذه الغاية وتقديم القرطاسية المطلوبة الخ . . . لطبع كتب للعبادة وكتب صلاة ومفكرات دينية وغيرها من المطبوعات . . . ولما كان الاسلام . . . يفرض القيام بفرائض الحج اى زيارة الحرم فى مكة (فى المملكة العربية السعودية) هذا الحرم الذى يقدسه المسلمون ، فستقدم الحكومة السوفيتية كل مساعدة لهؤلاء الذين يرغبون فى اداء فريضة الحج ” (١٩).

والوصف الذى اعطته دائرة المعارف السوفيتية هذا لوجهة نظر الحكومة نحو الدين ، وخاصة الدين الاسلامى فى شمال القفقاس ، لا يتفق والحقائق الواقعية ، اذ من المعروف جيدا انه لا اثناء الحرب ولا فى المدة الكائنة بعدها سمح لفرد من شمال القفقاس باداء فريضة الحج الى مكة حرا مطلقا ، وان جميع الحجاج الذين ارسلتهم الحكومة السوفيتية لاداء هذه الفريضة هم من المدعين بالاسلام وانهم اعضاء سابقون ” لاتحاد الملحدين المحاربين “.

وانه لمن الحقيقة المعروفة جيدا ان الاشخاص المسموح لهم بالقيام بفرائض أئمة دين كانوا هم الذين ابدوا رغبتهم فى خدمة الحكومة الملحدة هذه والذين كانوا دوما يبجلون نظامها مدعين بانه ” هبة من الاله الاجل “ وانه النظام ” الاكثر ملائمة للتطور الحر لجميع العناصر الدينية “.

وكان حضرة القاضي جيبيكوف رئيس مسلمي شمال القفقاس ومفتي ورئيس الادارة الدينية فى بيونكسك (التي كانت تعرف سابقا بتمرخان شورا فى داغستان) (هذا الشخص الذى اطلق سراحه بعد العفو العام عن أئمة الدين فى عام ١٩٤٤ وبعد اقامة اربع عشرة سنة فى السجون السوفيتية) احسن مثال لمثل هذه الاداة المطيعة للغايات التى ترمى اليها سياسة السوفييت الداخلية والخارجية.

وانه لمن الجدير بالذكر ان الافراج عن القاضي جيبيكوف حدث فى ” نفس الوقت “ ، اى فى المدة الاخيرة من الحرب (اواخر عام ١٩٤٣ وشباط (فبراير) عام ١٩٤٤) التي كانت بها الحكومة السوفيتية تقوم بابادة الشعوب بطريقة وحشية اى عندما كانت تعمل على ابادة شعوب كاراشي ــ بالكاريان وشعوب الشاشان ــ انجوشان فى شمال القفقاس ، هذه الابادة التي بلغت ضحيتها قرابة مليون مسلم. وقد حدث ابادة قسم من هؤلاء السكان فى موطنهم نفسه غير ان العدد الكبير منهم قد لاقى حتفه عند ابعادهم الى سيبيريا واواسط آسيا. وقد حدث فى الوقت نفسه ان سحقت جمهورية الشاشان ــ الانجوشان المستقلة ومقاطعة كراشى المستقلة وحذفتا من الخرائط الجغرافية. وحدث فى هذا الوقت ايضا تحويل الجوامع الى اسطبلات وازيلت الشواهد التذكارية الخشبية من المقابر واستعملت كوقود لتدفئة ” المحرزين “. اما محتويات المكتبات والمتاحف وبيوت المخطوطات القديمة وكل شيء تاريخي لهذه الشعوب التي جرى ابادتها فقد كدست فى الشوارع واحرقت (٢٠).

---

(١٩) أ. كولوسوف: ” الدين والكنيسة فى الاتحاد السوفيتي “ مقال فى دائرة المعارف السوفيتية الكبرى المجلد الخاص ” بالاتحاد السوفيتي “ العامود ١٧٨٣ طبع موسكو عام ١٩٤٧.

(٢٠) جريجورى توكاييف: ” المجزرة فى القفقاس “ فى ” ايكو “ النشرة الدولية العدد ٥٤ ، شهر شباط (فبراير) عام ١٩٥١ ، الصفحة ٤٥ طبع باريس.

فالتسامح النسبي نحو الدين الذى جلبته الحرب واجبرت الحكومة على اتخاذه لم يدم طويلا — اى حتى اواخر عام ١٩٤٩ حين بدأ الاضطهاد والتعذيب ، وخاصة ضد الدين الاسلامى ، بالشدة التي كان عليها فى الماضي. وفى هذه المرة قام الاضطهاد تحت راية الكفاح ضد ''وطنية الطبقة الوسطى'' ومكافحة حركات ''الجامعة التركية'' و''الجامعة العلورانية'' و ''الجامعة الاسلامية''. وقد جرى ايضا تافيق تاريخ الشعوب القفقاسية وخاصة ذلك القسم الذى يخص الحرب الروسية فى القفقاس كما وطبعت فى هذه المناسبة منشورات خاصة يستدل منها ان الامام شامل لم يكن إلا عميلا فى خدمة تركيا وبريطانيا وانه البطل المناضل من اجل مصالح ملاكي الاراضي والرأسماليين.

وحصل فى نفس الوقت واثناء السنوات القليلة التي تلت ذلك (اى اثناء اعوام ١٩٥٠ الى ١٩٥٣) ان اعطيت الدعاية الالحادية حياة جديدة وتم ادخالها الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وسمح لها ''اهانة ائمة ورجال الدين اثناء قيامهم بطقوسهم الدينية . . . وسمح لها فى بعض الحالات التدخل الادارى فى اعمال المؤسسات والجماعات الدينية'' (٢١).

ولما اتت مثل هذه الاجراءات التعسفية بضم صفوف المؤمنين وتقوية ايمانهم ، قامت اللجنة المركزية للحزب بنشر قرار فى تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤ اسمته ''الاخطاء المقترفة فى نشر الدعاية العلمية الالحادية بين السكان'' (٢٢) ، نظرت فيه اللجنة بغير الرضاء للتدخل الادارى وضروب الاهانة لائمة الدين معتبرة اياها بانها طريقة غير مناسبة لشن حملة على الدين ، وطلبت فى قرارها هذا ان تعطى الاعمال المناوئة للدين حياة جديدة كالضغط بطرق دمثة الاخلاق مثل ''الدعاية العلمية الالحادية'' وانتخاب محاضرين ''اخصائيين'' لهذه الغاية ، وتحسين الاعمال العامة للمؤسسات ''الثقافية والعلمية''. وقد وقع على هذا القرار ن. كروتشوف.

وهذه هي الطريقة التي اتبعتها الحملة الجديدة على الدين واتباعه. وبينما لا نرى اعمالا اضطهادية مكشوفة نرى انه يعرض على الناس شكل كاذب عن ''الحرية'' الدينية وذلك لخدمة السياسية الداخلية والخارجية. اذ بينما تستمر الادارات الدينية فى البقاء ويسمح لائمة الدين بالقيام ببعض خدماتهم الطفيفة ، نرى ان رؤساء الديانات المختلفة ، بما فيهم المسلمون ، تحتم عليهم الاذعان للسوفيتية وهذا يعني بانه عليهم مكافئة هذه ''الهدنة'' الموقتة المعقودة مع الحكومة السوفيتية بان يقوموا بتنفيذ جميع الاوامر السياسية والاشتراك بجميع الحملات السياسية التي يؤمل منها جلب الفوائد المرغوبة فى العالم الحر.

---

(٢١) قرار المجلس المركزى للحزب الشيوعي الخاص بالاخطاء المقترفة فى نشر الدعاية العلمية الالحادية بين السكان ، والمنشور فى جريدة ''برافدا'' بتاريخ الحادى عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٤.

(٢٢) نفس المرجع السابق.

الإسلام في شبه جزيرة القرم
الوضع بين أعوام ١٩٢٠ إلى ١٩٤٤

بقلم: الدكتور أديجه كريمال

موقف البلاشفه من دين الاتراك فى شبه جزيرة القرم

فى المدة التى تحولت اليها شبه الجزيرة هذه الى منطقة ”تترية“

يمكن تقسيم العشرين سنة التي تمت اثنائها السيطرة البلشفية على شبه جزيرة القرم (تشرين الثاني [نوفمبر] عام ١٩٢٠ الى تشرين الثاني عام ١٩٤١) الى دورين رئيسيين هما:

الاول: دور تحويل المنطقة الى ”منطقة تترية“ اى من خريف عام ١٩٢١ الى ربيع عام ١٩٢٨، وقد بدأت هذه المدة ”بمؤتمر شبه جزيرة القرم اللاحزبي“ الذى عقد فى الثالث والعشرين من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢١ والذى تم بعده اعلان جمهورية شبه جزيرة القرم الاشتراكية السوفيتية فى الثاني عشر من تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢١. وينتهي هذا الدور فى ايار (مايو) عام ١٩٢٨، اى فى المدة التي حوكم بها رئيس اللجنة التنفيذية المركزية لشبه جزيرة القرم الوالي ابراهيم واعدامه بتهمة ”وطنية الطبقة الوسطى“، وايضا اعتقال واعدام اوُنفى ما ينوف عن ٣٥٠٠ شخصية تركمانية بارزة فى الوقت نفسه تقريبا(١).

---

(١) (أ) مندوبو المؤتمر السياسي المختص بجميع القرم: قرارات المؤتمر السياسي المختص بتتر القرم فى مجلة ”ينى دنيا“ العدد ٨٦ تاريخ ٤/١٠/١٩٢١ الصفحة ١.
(ب) جعفر سيجامات فى ”قرم“ الصفحات ١٢٨ الى ١٤١، طبع وارسو عام ١٩٣٠.
(ج) بير تولد سبولر ”شبه جزيرة القرم تحت الحكم الروسي“ الصفحة ٣٦٣، طبع برلين فى آب (اغسطس) عام ١٩٤٨.
(د) أديجه كريمال ”الحرب الاهلية التركية فى شبه جزيرة القرم“ الصفحات ٢٨٦ الى ٢٩٢، ايمسدتين، ويستفاليا، عام ١٩٥٢.

وتتفق هذه المدة مع البرهة التي اخذت بها البلاشفة تعترف بشعور السكـان التاتاريين واعطائهم امتيازات خاصة ــ اى تاتاريـة المنطقة ، حـيـث تمـكن السكـان الاتراك المحليون فى شبه الجزيرة هذه من مزاولة بعض حقوقـهم القومية داخل اراضي القرم المستقلة داخليا.

الثاني: برهـة ''سفيته'' المنطقة التي استمرت من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٤١ ، وتتميز هذه المـدة باعمـال قـمع حقوق الاستقلال الوطني للشعب التركماني فى شبه جزيرة القرم وثم تحويل شبه الجزيرة هذه الى منطقة صناعية وسوفيتية (حتى انها اصبحت روسية) وايضا انشاء المزارع الجماعية فى المنطقة.

وبينما اتخذت السلطات السوفيتية موقفا معاديا لجميع الديانات عامة من حيث المبدأ ، لم تقم هذه السلطات باضطهاد المؤمنين بالدين فى شبه جزيرة القرم اثناء المدة التي تحولـت بهـا شبه الجزيرة الى منطقة ''تترية'' ، ولم تمنعهـم من القيام بواجباتهم الدينية ، كمـا وبقيت المساجـد وغيرها من بيوت العبادة فى شبه الجزيرة (الكنائـس الروسية واليونانية والبلغارية والارمنية والكـاثوليكية واللوثرية والمعابد اليهودية وغيرها من بيوت العبادة الخـاصة بالفئات الدينية المختلفة) مفتوحة الابواب طوال هذه السنين. واستمرت أئمة الدين الخـاصة بجميع الديانات والقوميات ، هذه الائمة التي كـانت تتناول نفقاتها ورواتبها من رعية هذه الديانات والاملاك الكنسية ، استمرت تقوم بخدماتها الدينية بحرية. هذا وبقيت الطوائـف والجماعات الاسلامية موجودة فى جميع مدن وقرى شبه الجزيرة كـما وان مدينة سمفيريبول بقيت مركز الديانة الاسلامية واعترفـت لهـا بهـذا المركز أئمـة الدين الاسلامى فى شبه جزيرة القرم ، هذه الائمـة التي كـانت تتألـف من مشايخ (اى اعلى الشخـصيات الدينية) وخـطباء جوامع وأئمـة ومؤذنين . وقـام المؤمنون بتأديـتهم الصـلاة خمـس مرات يوميا كما يفرضها الاسلام فى الجوامع التي كـانت متوزعة فى جميع البلدان التركية ، وفى جميع قرى القرم تقريبا. وأم المسلمون الجـوامع والمساجـد بعدد كبير ايـام الجمع وعيدى الفطر والاضحى ، هـذا وصـام المسلمون ، وخـاصـة الشيوخ منهم ، شهر رمضان علانية وقام أئمة الدين فى بعض القرى بحث الشبيبة على اقامة شعائر الصيام ، وقام المؤمنون المسلمون بذبح الـضحايا اثناء عيد الاضحى وتوزيع لحومها على الفقراء ، كمـا وقام الشعب ولو بـصفة غير رسمية ، بتسمية المـواليد الجدد باسماء اسلامية ودفنت الموتى بموجب الطقوس الاسلامية ، وعقدوا النكـاح والطلاق وعلموا الاطفال المسلمين بطرق خاصة اصول الدين الاسلامى وأبدوا النصح للمؤمنين فى المسائل الخاصة بالايمان والاخـلاق والحياة الزوجية والخلافات بين الجوار وغيرها. وحدث اثناء هذه المدة ان استمر الختانون بختن الاولاد (٢) واجراء الحفلات الخـاصة التي كـانت تـقـام فى هـذه المناسبات. ويـمكن ان يقال هنا بكـلمات اخرى ان المسلمين فى شبه جزيرة القرم كـانوا اثناء برهة تحويل المنطقة الى ''منطقة تترية'' يؤدون شعائرهم الدينية بدون خوف من عقاب الحكومة ، وقد فعل مثل هذا غيرهم من الطوائف الدينية فى شبه جزيرة القرم.

ومما يستحق الذكر انه بينما استمرت عملية تحويل شبه جزيرة القرم الى ''منطقة تترية'' اعطيت للتركمان فى شبه الجزيرة هذه بعض امتيازات لمزاولة عادات اسلامية خاصة كـانوا يزاولونها منذ القديم ، فنرى مثلا ان يوم الاستراحة للسكـان المسلمين كـان يوم الجمعة بدلا من يوم الاحـد ، مما اضطر بـعـض المـؤسسات التجـارية والمـؤسسات العامة

---

(٢) وحدث ايضا اثناء هذه البرهة ان قام اليهود فى شبه جزيرة القرم بختن الاطفال علنا.

لاغلاق ابوابها يومين فى الاسبوع ــ يوم الجمعة والاحد(٣). ومثل آخر انه سمح للمسلمين هنا، بخلاف غيرهم من السكان، بابقاء القلبق (غطاء رأس مصنوع من جلد الغنم) على رؤوسهم وعدم خلعه عند عزف نشيد الدولة السوفيتية الوطني (الانترناسيونال) بحجة ان المسلمين لا يخلعون لباس رأسهم فى الجوامع اثناء تأدية واجباتهم الدينية. ومثال آخر هو السماح باتخاذ الترتيبات الخاصة للقيام فى بيوت فلاحي شبه جزيرة القرم(٤) بعملية الغسل الاسلامية(٥).

وعلينا لكي نتمم هذه الصورة ان نقول ان الكثير من ضروب الحرية المسموحة للديانة الاسلامية فى برهة ''تترية'' المنطقة لم تكن نتيجة لتسامح الحكومة السوفيتية للدين بل كانت نتيجة لتعاون السكان الاتراك فى شبه جزيرة القرم و ''الشيوعيين الوطنيين'' مع البلاشفة فى موسكو. وتبين بعد محاكمة واعدام الوالي ابراهيم انه، بالاشتراك مع من كان يعطف على اعماله، كانوا يسعون لخلق حركات فى شبه جزيرة القرم تدعو الى تثبيت الحرية الوطنية ومن بعدها الحرية الدينية ــ هذه الحركات التي كانت تجرى بدون موافقة حكومة موسكو، والتي كانت بالطبع منافية لارادة هذه الحكومة.

ويجب القول ايضا انه اثناء هذا الدور شاعت دعاية مضادة للدين كانت تقوم بها جمعية خاصة بالاعمال المضادة للدين ''البيزبوزنيك'' (اللا الاهيون) يساندهم فى هذا منظمات الحزب الشيوعي ورابطة الشبان الشيوعيين. وقد افتتحت هذه المنظمة لها فروعا فى اواسط العقد الثالث من القرن العشرين فى مدن وقرى متعددة فى شبه الجزيرة. هذا واشترك باعمال الدعاية المناوئة للدين هذه اعضاء الحزب الشيوعي ورابطة الشبيبة الشيوعية والرواد ونقابات العمال وطلاب المدارس الثانوية والجامعات وعمال المصانع وموظفو الحكومة، كما وانها تمكنت من الوصول الى القرويين بواسطة المكتبات القروية.

وحدث اثناء السنوات الاخيرة من ''تترية'' المنطقة ان اصبح الاشتراك فى اعمال ''البيزبوزنيك'' (اللاالاهيون) اجبارى على كل مواطن سوفيتي له اى اتصال بمؤسسات الحكومة او منظماتها. غير انه فى ذلك الوقت (اى بين اعوام ١٩٢٠ و ١٩٢٧) لم تكن اعمال الدعاية ضد الدين، كما كانت مؤخرا، تصطحبها اعمال العنف والاضطهاد المكشوفين من قبل سلطات الدولة، وفشلت فى تحقيق النتائج التي كانت تتوقعها البلاشفة.

استمر العدد الكبير من مسلمي شبه جزيرة القرم حتى عام ١٩٢٨ مخلصين لدينهم واستمروا بتأدية فرائضهم الدينية واتباع عاداتهم القومية، كما وانه يمكن ان يقال انه اثناء هذه البرهة لم تكن هذه الحالة سائدة بين مسلمي شبه جزيرة القرم فحسب، بل حدث ذلك بين سكان شبه الجزيرة الغير مسلمين(٦).

---

(٣) ولم يدم هذا الامتياز الذى منح للسكان فى عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ طويلا اذ انه الغي قبل محاكمة الوالي ابراهيم فى ايار (مايو) عام ١٩٢٨.

(٤) تبين اثناء محاكمة الوالي ابراهيم انه اعطى مثل هذه البيوتات رعايته الخاصة، واتهمته البلاشفة بانه قد حولها اثناء مدة ''تتيير'' المنطقة الى ''مراكز لنشر حركات الطبقات الوطنية''.

(٥) لقد اشترك كاتب هذا المقال فى احدى هذه الحفلات فى بيت احد الفلاحين فى باكو (اذربيجان) فى عام ١٩٣٢، اذ ان الاحوال الخاصة فى تلك الجمهورية (الاذربيجانية) مكنت السكان من مزاولة فرائضهم الدينية لمدة اطول مما كانت عليه فى شبه جزيرة القرم.

(٦) شاهد كاتب هذا المقال بين عامى ١٩٢٥ و ١٩٢٦ محاولة شيوعيي واعضاء رابطة الشبيبة الشيوعية فى يالطه انتاج تمثيلية مناوئة للدين فى ليلة عيد الفصح الغربي فى احد مسارح المدينة، ولم يحضر هذه التمثيلية

هذا وحدث فى المدة التي عمل على تحويل شبه جزيرة القرم الى منطقة ''تترية'' ان تعرض الدين الاسلامى عامة والشريعة الاسلامية خاصة لمحاظر متعددة وهذا يعود لوجهة نظر البلاشفة المناوئة لمبادىء الدين نفسها وايضا لمبدأ ''فصل الدين عن الدولة'' الذى دعا اليه البلاشفة عند ما نشروا قرارهم عن ''حرية العبادة'' (٧). وحدث بعد ''فصل الدين عن الدولة'' ان اعتبرت جميع المراسيم الدينية ــ الشرعية (كالزواج والطلاق الخ) اعمالا غير دينية واستعيض عنها باجرأات ادارية مدنية. وأثر هذا العمل على الدين الاسلامى خاصة وكاد يلغي الشريعة ، هذه الشريعة التي احتوت على الاصول التشريعية للقوانين الدينية الاسلامية التي كانت حتى عام ١٩١٧ ، باستثناء اعتبارات خاصة ، يخضع لها المسلمون فى روسيا (٨). هذا ولما كانت الشريعة جهازا له اصول شرعية دينية نرى انها قد الغيت فى روسيا منذ بدء النظام السوفيتى ولم يجر الفصل بموجبها فى شبه جزيرة القرم فى مدة تحويلها الى ''منطقة تترية'' ، واصبحت المراسيم الدينية ليس لها اى صفة شرعية او اجتماعية واصبحت اعمالا دينية محضة. وحدث مثلا ان المسلم الذى تزوج او حصل على طلاق بموجب المراسيم الدينية لا يمكن اعتباره متزوجا او مطلقا الا اذا سجل هذا الزواج او الطلاق فى مكتب سجل مدني ، وبعكس هذا فكل زواج او طلاق تم تسجيلها فى المكتب المدني الخاص بهما اعتبرت ملزمة شرعا حتى ولو انها لم تجر بموجب الطقوس الدينية.

واعتبرت السلطات السوفيتية الحفلات الدينية من الامور الخاصة للمواطنين السوفييت غير انها فيما بعد ، اى فى المدة التي عملت بها على تحويل السكان والبلاد الى مناطق سوفيتية ، غيرت وجهة نظرها نحو الدين واعتبرت اتباعه ''مظهرا من مظاهر وطنية الطبقة الوسطى'' وانه ''معاد للثورة''.

وختاما علينا ملاحظة انه اثناء مدة ''تتيرة'' المنطقة الغت البلاشفة فى شبه جزيرة القرم الاوقاف (٩) التي كانت عامة لدى كل جماعة اسلامية. وحدث على اثر هذا ان تحولت ملكية اراضي الوقف (١٠) الشاسعة فى شبه جزيرة القرم الى الدولة او الى الفلاحين المحليين. وقد حظرت فى الوقت نفسه الدراسة الدينية فى المدارس مما اضطر الاباء لتأمين دروس دينية خاصة لاولادهم فى منازلهم ، معرضين انفسهم بهذا للعقاب الشديد من السلطات السوفيتية.

سوى عدد قليل من السكان بالرغم من ان الدعوات للحفلة قد ارسلت للكثير منهم. وحدث فى نفس الوقت ان امتلات الكنيسة اليونانية الوحيدة فى يالطة والكنيستين الروسيتين بالمصلين. وقد شاهد كاتب هذا المقال مثل هذه الظاهرة فى الكنائس الارثوذكسية والكاثوليكية فى سمفريبول فى عام ١٩٢٨.

(٧) نشر قرار فصل الدين عن الدولة من قبل مجلس مندوبي الشعب فى الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٨.

(٨) مقال أ. اخماتويز فى ''روزنيك تاتارسكي'' المجلد ١ ، الصفحات ٩٢ الى ١١٢ ، طبع فلنا عام ١٩٣٢.

(٩) كان الوقف هذا عادة املاكا ثابتة معظمها اراض وابنية اوقفها المسلمون الى الطائفة الاسلامية ، وتعتبر الطائفة الاسلامية ان مثل هذه الاملاك هي مقدسة وملكا لجميع الطائفة الاسلامية وكل ما يستفاد منها هو واردها حيث يصرف على الغايات الدينية والخيرية والتعليم.

(١٠) حدث اثناء دمج شبه جزيرة القرم مع روسيا فى عام ١٧٨٣ ان كان بها ٤٥٧٨٠٠ هكتارا من الاراضي وقفا ، وتدنى هذا الرقم الى ٩٥٤٩٩ هكتارا فى عام ١٩١٧ على اثر السياسة الروسية الزراعية وهجرة السكان المسلمين من شبه جزيرة القرم.

وهذا وبالرغم من المحاظير هذه تمكن الدين الاسلامى فى شبه جزيرة القرم اثناء تحويل المنطقة الى منطقة ''تترية'' من المحافظة على اهميته ''المعنوية والتقليدية والادبية والوطنية'' بالرغم من وجود قوميات متعددة فى المنطقة ، وقد شن البلاشفة حربهم ضد هذه الاعتبارات المذكورة عندما قاموا بحملتهم الشعواء اثناء مدة تحويل المنطقة الى بلاد سوفيتية ، اى فى المدة التي تلت عام ١٩٢٨.

قمع دين التركمان الاسلامي فى شبه جزيرة القرم من قبل البلاشفة اثناء تحويل البلاد الى منطقة سوفيتية

حدث بين عامى ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، وهي المدة التي تم اثناؤها تصنيع شبه جزيرة القرم وتحويل مزارعها الى مزارع جماعية ، ان قامت السلطات السوفيتية الحكومية والحزب الشيوعي باخماد حقوق الاستقلال الوطني للشعب التركماني فى المنطقة ، هذا العمل الذى تأتى عنه فيما تأتى تأثير فعال على الدين الاسلامى.

أخذ هذا الاخماد شكل الغاء منظم ومنسق لكل شيء له علاقة بالدين او باقامة الشعائر الخاصة به ، كما واعتبرت هذه الشعائر بانها ''اعمال داعية لتقوية الطبقة الوسطى'' او ''اعمال قومية مناوئة للثورة''. وقد حصل اثناء هذه السنين ان لم تكن الاعمال السوفيتية المناوئة للدين تقتصر على الدعاية الشفوية او الخطية كما كان الحال اثناء تحويل المنطقة الى منطقة ''تترية'' ، بل تطلبت اعمال قمع الدين اتخاذ جميع الوسائل الممكنة ــ جميع قوى الدولة والحزب والمنظمات الادارية والعامة والقانون والبوليس السرى ــ هذه الوسائل التي لم تعد تعتمد على بث الدعاية واقناع الشعب فحسب، بل انها اتخذت ''عمليات الاجبار المكشوفة من قبل الدولة'' التي كثيرا ما كانت تحتوى على اعمال ارهاب مكشوفة ضد ائمة الدين والمؤمنين عامة(١١).

بدأت اعمال الاضطهاد هذه فى عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ بصورة دعاية واسعة شفوية وخطية ضد الدين ، وتم ترديدها بين برهة واخرى حتى نهاية عام ١٩٣٨ (١٢) ، وكانت حملة الدعاية هذه من حيث شدتها واهميتها ، يساعدها فى ذلك جميع قوى الصحافة السوفيتية فى شبه جزيرة القرم ، تعتبر بمثابة قصف مدافع شديدة على هذه

---

(١١) (أ) انظر ''احتجاج مسلمي رومانيا ضد التضييق الديني فى روسيا السوفيتية'' فى ''ينى ملي يول'' العدد ١٧ عام ١٩٣٠ الصفحة ٩ الى ١١ ، و
(ب) ''مسائل الدين'' فى ''امل مجموعة سي'' العدد ٩ ، عام ١٩٣٢ الصفحات ٣٩ و ٤٠ .

(١٢) (أ) جريدة ''فاني دنيا'' تاريخ ٢٣ و ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٩ والسادس من نيسان (ابريل) والسابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٦ وايضا الخامس عشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٨ ــ طبع سمفربول.
(ب) مجلة ''امل مجموعةسي'' العدد ٨ عام ١٩٣٥ الصفحة ٣٠.
(ج) جريدة ''قزل قرم'' العدد ٥٥ والعدد ٢٧٠ لعام ١٩٣٦ طبع سمفربول.
(د) جريدة ''ياس‌قوة'' تاريخ ٤ نيسان (ابريل) و ٢٢ ايار (مايو) عام ١٩٣٧ ، طبع سمفربول.

الجبهة قبل القيام بهجوم عام عليها ، وتبعها فى عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ هجوم عنيف على الدين كانت اول ضحاياه بيوت العبادة وأئمة جميع الطوائف والقوميات فى شبه جزيرة القرم. وكانت تلك الحملة اشارة لاغلاق المساجد والكنائس الكاثوليكية والارثوذكسية والمعابد اليهودية وبيوت العبادة الاخرى للقوميات المختلفة ، بموجب برنامج جرى وضعه مسبقا وطبق فى جميع قرى ومدن شبه الجزيرة ، وحدث فى غالب الاحيان ان حولت بيوت العبادة هذه توا الى نواد او مصانع او مستودعات وحتى دور للسينما كما حدث للجامع فى مدينة باكشيسارى. وتبع اغلاق المساجد هذه هدم مآذنها التي كان بعضها ذات قيمة فنية وتاريخية. وحدث اثناء تحويل الابنية المقدسة الى صالات للسينما او زرائب للحيوانات ان هدم اهم اثرين اسلاميين فنيين وتاريخيين فى شبه جزيرة القرم وهما جامع الجمعة المشهور فى يوباتوريا (١٣) والجامع الابيض (آك مسجد) فى مدينة سمفربول (١٤).

وحدث اثناء هذه الحملة المضادة للدين ان قال البلاشفة مرارا حسب عادتهم ان الشعب قد وافق من تلقاء نفسه على اغلاق هذا المسجد او الكنيسة او انه هو قد ''طلب'' القيام بهذا العمل.

وكانت عملية اغلاق او هدم بيوت العبادة او مراكز الطقوس الدينية فى شبه جزيرة القرم قد حدثت بسرعة من قبل السلطات السوفيتية حتى انه فى عام ١٩٣٢ لم يبق هناك سوى القليل من المساجد الاسلامية والكنائس الارثوذكسية فى جميع المنطقة (١٥).

وأخبرنا الكاتب السوفيتي بارانوف انه لم يبق فى مدينة باكشيسارى ذلك المركز الدينى المشهور للمسلمين فى شبه جزيرة القرم ، فى عام ١٩٣٥ ''سوى ثلاثة مساجد من اصل ٣٢ مسجدا ، وحتى هذه المساجد الثلاثة هي الان فى دور نزاعها الاخير ولا يؤمها سوى القليل من العجزة'' (١٦).

---

(١٣) (أ) مقال كوزليفيللي تحت عنوان ''اصلاح جامع الخان'' فى جريدة ''غرةقرم'' العدد ٥٢ تاريخ ٢١ تموز (يوليو) عام ١٩٤٢ ، طبع سمفربول.
(ب) كتب المؤلف السوفيتي بوريس بارانوف فى دليله الخاص بشبه جزيرة القرم (''دليل شبه جزيرة القرم'' الصفحة ١١٧ طبع موسكو عام ١٩٣٧) ان كنيس القرائيين (ضرب من الاسرائيليين) فى يوباتوريا قد حول الى متحف معاد للدين وان مسجدا فى البلدة ذاتها قد حول الى متحف للدراسات الاقليمية.

(١٤) اغلق جامع آك مسجد (الجامع الابيض) فى سمفربول ، هذا الجامع الذى سميت المدينة باسمه باللغة التركية ، فى عام ١٩٣١ وحول الى ناد لعمال سكك الحديد وكان كاتب هذا المقال حاضرا عند ما ورده عمال روس صباح يوم من الايام واخذوا بهدم مئذنته. هذا وتقديرا لقيمته الأثرية اسرع الى العالم التاريخي القرمى اوستاب اكشوكرا كلى والمستشرق اسماعيل لومان واعلمهما بالامر ، وكان هذان العالمان من المحاضرين فى معهد الدراسات القرمى ، ولم يأت هذا العمل بوقف هدم الجامع لان المثقفين فى شبه جزيرة القرم ، وخاصة بعد اعدام الوالي ابراهيم والغاء التترية فى المنطقة ، لم يعودوا ذوى سلطة ونفوذ لدى منظمات الحزب والحكومة. ونرى ان بعض هؤلاء الادباء ، مثل المحاضرين تامورجان اوداباش وحسن صبيح احواز ، وقعا ضحية هذه التصفية واعتقلا من قبل السلطات السوفيتية.

(١٥) بقي هناك مساجد فى القرى الجبلية النائية وعلى شاطىء شبه الجزيرة الجنوبي مثل قرى اولوا وزين واسقوط وكان يؤمها الشيوخ العجزة لان غالبية المؤمنين كانوا يفضلون تأدية واجباتهم الدينية فى بيوتهم خوفا من الاضطهاد. ولم يبق فى سمفربول فى اوائل عام ١٩٣٢ سوى جامع واحد وكنيسة ارثوذكسية واحدة وكنيسة كاثوليكية واحدة وكان الافراد الذين يصلون بها من الشيوخ.

(١٦) ب. بارانوف: ''دليل شبه جزيرة القرم'' الصفحة ٨٦ ، طبع موسكو عام ١٩٣٥.

وقد الغت السلطات تدريجيا حتى هذه المراكز الدينية القليلة كما اخبرنا شاهد عيان ولم يبق فى عام ١٩٣٨ ، اى بعد ارهاب ييزوف المشهور، اى معبد ديني واحد فى اى مكان فى شبه جزيرة القرم ، ويفسر مثل هذا القمع السريع للدين الحقيقة الواقعية وهي ان البلاشفة قد استعملوا الطرق الارهابية ضد أئمة الدين ورجاله. ونرى مثلا ان السلطات وضعت شرطا اساسيا تقول فيه انها تتطلب استدعاء خاصا يوقع عليه عدد معلوم من المصلين فيما اذا رغبوا فى افتتاح بيت صلاة ما ، وعليهم ان يبدوا الرغبة فى ان يبقى بيت العبادة هذا مفتوحا وان يعطوا كفالة فى انهم سوف يتحملوا مصاريفه على نفقتهم الخاصة. ومن الطبيعي انه اثناء ارهاب البوليس الروسي السرى ، الذى ابتدأ فى عام ١٩٢٨ ، لم يجرؤ سوى العدد القليل من الافراد التوقيع على مثل هذه العرائض والتعهدات ، وهذا هو سبب نجاح سياسة البلاشفة المضادة للدين فى شبه جزيرة القرم فى المدة التي جرى تحويلها الى منطقة سوفيتية.

وصحب الغاء بيوت العبادة فى عامى ١٩٢٨ و ١٩٢٩ تعذيب منظم لأئمة الدين ليجرى تحويلهم الى ''عنصر غير مضر'' (١٧) ، واعتبروا رسميا بانهم ''طبقة معادية لعامة الشعب'' ، وجرى تصنيفهم فى غالب الاحيان من طبقة ''المحرومين'' (ليشنتسى) شأنهم شأن ''الراسماليين'' السابقين وملاكي الاراضي والتجار. وكانت طبقة ''المحرومين'' هذه مكونة من افراد لا يملكون حقوق التصويت ولا يمكن استخدامهم فى دوائر الحكومة وحتى انهم حرموا من حمل بطاقات اعاشة مما عرضهم للابادة جوعا. هذا ولما كانت عملية تحويل الاراضي الى مزارع جماعية سائرة على قدم وساق فى ذلك الحين لذلك جرى نفي عدد كبير من أئمة الدين هؤلاء فى عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ مع ملاكي الاراضي (الكولاك) من شبه جزيرة القرم الى المعتقلات فى الاورال وسيبيريا او انهم ارسلوا ''اختيارا'' الى مراكز اعتقال كائنة فى المناطق الشمالية من الاتحاد السوفيتي.

ومن غريب الامور انه اثناء تحويل الاراضي الى مزارع جماعية وفى الحالات التي لم تعتبر بها أئمة القرى من ''المحرومين'' ان اعتبروا بانهم ملاكو اراضي (كولاك) حيث صودرت اراضيهم واملاكهم واقصوا عن شبه جزيرة القرم مع عائلاتهم أسوه بملاكي الاراضي الاخرين. وحدث على اثر ذلك انه لم يبق فى اوائل عام ١٩٣٢ من أئمة الدين الاسلامى فى شبه جزيرة القرم نفر واحد اذ انه جرت تصفيتهم او اقصائهم عن وظائفهم الدينية ، كما وحدث مثل هذا لغيرهم من أئمة الطوائف الغير التركية فى شبه جزيرة القرم.

ولم يكتف البلاشفة بهذا النجاح اذ نرى ان الصحافة السوفيتية فى شبه جزيرة القرم فى السنين الواقعة بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٧ اخذت تكشف القناع وتتكلم عن أئمة الدين ''الذين كانوا مختبئين بين السكان'' و ''الذين توغلوا فى المؤسسات الحكومية والمزارع الجماعية'' و ''الذين اخفوا اصلهم الاجتماعي'' ومن ثم تسليم من ''كشفته'' من هؤلاء الرجال الى البوليس السرى. والحملة التى شنت على الباقين من أئمة الدين والذين يعطفون عليهم وصلت ذروتها فى عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، اى اثناء ارهاب ييزوف المشهور، الذى اتخذ شكلا واسعا فى شبه جزيرة القرم والذى وجه خاصة ضد كل فئة من السكان الاتراك فى شبه جزيرة القرم (١٨). وقد حصل اثناء هذا الارهاب ان تعرض البقية الباقية من أئمة الدين الاسلامى فى شبه جزيرة القرم ، او من كان له اتصال بهم او بالاعمال الدينية

---

(١٨) اديجة كريمال المشار اليه سابقا الصفحة ٢٩٥.
(١٧) نفس المرجع السابق ، الصفحات ٣٠٠ الى ٣٠٢.

فى الماضي الى السجن او الاعدام او النفي (١٩). وعلى اثر هذه الحملة السوفيتية النهائية على الدين لم يبق فى اواخر عام ١٩٣٨ بيت ديني واحد مفتوح للعبادة ولم يبق رجل دين واحد حر فى شبه جزيرة القرم فى الوقت ذاته.

هذا وقد بقي الكثير من المسلمين الذين لم تتزعزع عقائدهم فى شبه جزيرة القرم ، ولما رغب البلاشفة فى ابادة هذا العنصر ''الشرير'' فانهم لم يكتفوا بتقوية وسائل الدعاية فحسب بل انهم اخذوا يستعملون وسائل الضغط والتعذيب والقمع. وكان من المحظر حظرا تاما القيام باى عمل ديني او اجراء اى حفلة او طقس ديني ــ وخاصة علنا ، كما ورد لنا نبأ هذه المحاظير من عدة مطبوعات او مذكرت شهداء عيان لهذه الحوادث. ومثال ذلك ان احدهم ــ وهو التركماني القرمى اسماعيل حسن أكين الذى عاش اثناء تحويل شبه جزيرة القرم الى منطقة سوفيتية ــ قد كتب فى مؤلفه ''الكارثة البلشفية ونضال شعب شبه جزيرة القرم'' (الذى لا يزال نسخه خطيه): ''لم يبق حتى نهاية عام ١٩٣٣ اى اثر للمؤسسات الدينية الاسلامية فى شبه جزيرة القرم وان الاحتفالات الدينية فى المنطقة لم يكن ممكنا القيام بها سوى سرا ، وقد منعت رسميا حفلة الختان وقد اعتقل القائمون بالختان ونفوا من البلاد. ولم يتمكن اى فرد من القيام بعمل ديني اذ ان الكل كان يعرف جيدا ما هي عاقبة كل من يقوم بعمل ديني. ورفضت أئمة الدين الذين نجوا من التعذيب القيام بوظائفهم وقد وصلت الامور الى مأزق حرج عندما لم يتمكن الشعب من دفن الموتى بموجب الطقوس الدينية الاسلامية ، واقيمت الصلوات خفية وخلف ابواب مغلقة فى بيوت المؤمنين. وكانت الجوامع عادة مغلقة ، كما وحدث اثناء عام ١٩٣٧ ، عندما تجرأ عدد من المسلمين المسنين على تأدية فريضة صلاة الجمعة فى جامع يقع فىشارع كانتارنايا فى مدينة سمفربول ان اعتقلوا على الفور من قبل قواة البوليس السرى الذين صادف مرورهم امام الجامع بسياراتهم. وعلى اثر هذا اخذت جميع الحفلات الاسلامية الدينية تقام خفاء'' (٢٠).

وهذه الصورة التي وضعها لنا شاهد عيان عن الحوادث فى البلاد برهنت على صدقها كثير من المعلومات المنشورة فى الصحافة السوفيتية فى ذلك الوقت (٢١) التي قالت بلا غموض انه اثناء المدة التي حولت بها شبه جزيرة القرم الى منطقة سوفيتية كانت اعمال القيام بطقوس دينية اسلامية معرضة للمعاقبة عليها قانونيا كما حدث مثلا مع فرد اسمه باطير مصطفى ، من سكان قرية اسكوت ، الذى حكم عليه فى عام ١٩٣٦ بالسجن لمدة ثلاث سنوات بموجب القانون السوفيتي لانه احتفل بعقد قرانه بموجب الشريعة الاسلامية (٢١).

---

(١٩) كتب التركماني القرمى صدر الدين تامالي الذى شاهد هذه الحوادث فى مذكراته ما يلي: ''اعتقل فى كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٣٧ ستون نفرا ، وانا بينهم ، فى مدينة كاراسوبازار، من اعمال شبه جزيرة القرم ، فى ليلة واحدة وكان سجن كاراسو بازار فى ذلك الحين يحتوى على جميع أئمة الدين الباقين فى ذلك القسم من شبه جزيرة القرم بما فيهم الشيخ محمد خوجا احمد وجهي البالغ من العمر سبعين عاما ، وهو الرجل الديني والمدرس المشهور. وايضا الشيخ شيخ زاده عبدالمجيد البالغ من العمر ٧٥ عاما والحاج كافادار مظفر البالغ من العمر ٨٠ عاما وسعيد خليل شلبي أوغلو افندى البالغ من العمر ٩٠ عاما وغيرهم'' ــ مذكرات تامالي الموجودة فى محفوظات المؤلف ، الصفحه ١٤ و ١٥.

(٢٠) اسماعيل حسن أكين فى كراسته ''كفاح اهالي القرم ومصيبة البلشفية'' طبع امنيستات (بهلندورف) تاريخ ٣ آب (اغسطس) عام ١٩٤٧ ، المخطوطة اليدوية فى حيازة مؤلف هذا المقال.

(٢١) (أ) ''ينى دنيا'' تاريخ ٢٣ و ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٢٩ و ٦ نيسان (ابريل) و ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٥ والاول من آب (اغسطس) و ٢٢ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٣٦ والخامس عشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٨ طبع سمفربول.

ويمكن القول بالايجاز وبدون مبالغة انه اثناء برهة تحويل المنطقة الى ''منطقة سوفيتية'' ان قضي على الدين الاسلامى بين الشعب التركماني فى شبه جزيرة القرم بانتظام من قبل السلطات السوفيتية التي كانت لا تتردد فى استعمال جميع الوسائل والطرق الممكنة للبلوغ لهذه الغاية ، بما فيها عمليات القتل لبعض أئمة ورجال الدين الاسلامى. وسرعان ما ظهرت نتائج هذه الاعمال فى حياة السكان وحملت ثمارا مسمومة فى تأثيرها السيء على الاخلاق العائلية والاجتماعية للسكان التركمانيين فى شبه الجزيرة ، هذه الاخلاق التي كانت فى الازمنة الواقعة قبل الثورة على مستوى عال حقا (٢٢).

وختاما يمكننا ان نسأل انفسنا السؤال التالي: هل جرى فعلا قمع الدين الاسلامى فى شبه جزيرة القرم من قبل البلاشفة ؟ ويمكن الاجابة على هذا السؤال بالنفي اعتمادا على الحوادث التي وقعت فيها بعد الحرب العالمية الثانية. فاول ما حدث بعد طرد البلاشفة من شبه جزيرة القرم من قبل الجيوش الالمانية فى خريف عام ١٩٤١ هو رجوع الحياة للدين الاسلامى فى البلاد بالسرعة الممكنة ، وكذلك الاحتفالات والعادات المتعلقة به ، كما يدل على ذلك ما لدينا من اقوال شاهدى عيان للحوادث وكذلك الوثائق العديدة التي سجلت هذه الحادثة (٢٣). وقد رمم فى القرم فى البرهة التي اعيدت بها الحياة الدينية خمسون جامعا وقام أئمة الدين الذين نجوا من القتل او الذين عادوا من النفي باداء فرائض الدين والصلوات فى هذه المساجد على الفور. وقد حدث فى تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٢ ، عندما كان كاتب هذا المقال شاهد عيان لذلك ، ما قامت به الجالية الاسلامية فى اوباتوريا من الجد وروح التضحية فى اعادة مسجد الجمعة التاريخي بها ، هذا المسجد الذى هدمه البلاشفة قبلا ، وحضر مؤلف المقال فى كانون الاول (ديسمبر) من العام نفسه صلاة عيد الاضحى فى مسجد سمفربول الذى اعيد بناؤه مجددا والذى ضاق بالمصلين الذين كان اكثرهم من النشيء الحديث. وقد حدث مثل هذا فى الاماكن والمساجد المختلفة فى شبه جزيرة القرم التي أعيد بناؤها وافتتاحها كما دلت على ذلك الصور الواقعية التي اتخذت لها فى حينه (٢٤).

(ب) ''كرازني قرم'' العددين ٥٥ و ٢٧٠ عام ١٩٣٦ ، سمفربول.
(ج) ''ياسقوه'' ٢٢ آب (اغسطس) و ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٣٧ ، سمفربول.
(د) ''امل مجموعة سي'' العدد ٩ عام ١٩٣٢ الصفحات ٣٩ و ٤٠ والعدد ٨ عام ١٩٣٥ الصفحة ٣٠ والعدد ٥ عام ١٩٣٦ الصفحة ٣٢ والعدد ٤ عام ١٩٣٧ الصفحة ٣١ والعدد ٦ عام ١٩٣٧ الصفحات ٢٨ الى ٣٧ والعدد ٣ عام ١٩٣٨ الصفحات ٨ الى ١٣ طبع كونستانزه (رومانيا).
(ه) ''يانايول'' العدد ١٧ عام ١٩٣٦ الصفحات ٩ الى ١١ طبع برلين ، وغيرها.

(٢٢) جريدة ''كيزبل كيرون'' العدد ٥٢ عام ١٩٣٦ سمفربول.

(٢٣) (أ) ''التتر فى شبه جزيرة القرم'' عام ١٩٤٢ الى ١٩٤٣ طبع زغرب فى يوغوسلافيا. وتحتوى هذه النشرة على صور واقعية تدل على اعادة الحياة للدين الاسلامى فى شبه جزيرة القرم فى اعوام ١٩٤١ الى ١٩٤٣.
(ب) برتهولد سبوللر: ''شبه جزيرة القرم تحت الحكم الروسي'' الصفحة ٣٦٣.
(ج) عبدالله خطيب ''١٩٤١ الى ١٩٤٨'' نسخة يدوية ، البرشويند النمسا عام ١٩٤٨.
(د) الدكتور و. ك. ''النصر فى سبستبول'' جريدة ناسيونال زيتونج تاريخ ٢٠ آب (اغسطس) عام ١٩٤٢ ، طبع ايسن.
(ه) مجلة ''أنايورت'' الاعداد ١ و ٢ عام ١٩٤٣ ، طبع سمفربول.
(و) وثائق تدل على الحركة الوطنية فى شبه جزيرة القرم بين اعوام ١٩٤١ الى ١٩٤٥، بين محفوظات المؤلف.

(٢٤) فى محفوظات المؤلف.

واصطحبت اعادة الطقوس الدينية فى شبه جزيرة القرم بين اعوام ١٩٤١ و ١٩٤٤ تدريس الدروس الدينية للاطفال واعادة العادات الدينية التاريخية المهمة. ومما يلفت النظر هو حدوث مثل هذا فى الاوقات العصيبة والشاذة للحرب والاحتلال ، وان البدء باعادة الحياة الدينية لم يكن بايعاز من سلطات الاحتلال الالمانية او من الادارة المحلية ، بل كان ذلك من عوام المسلمين الذين برهنوا عن عزم فائق وروح تضحية محمودة.

ويدل كل هذا على ان البلاشفة لم تقم سوى بتكميم الدين الاسلامى موقتا اثناء البرهة التي حولت بها البلاد الى منطقة سوفيتية وانها لم تنجح بمحيه من الوجود ، اذ استمر هذا الدين حيا فى قلوب واذهان المؤمنين بالرغم من كل تعذيب ، وانه عاد للحياة توا بعد ترك البلاشفة لشبه الجزيرة. وهذا يبرهن لنا ان الدين ــ وخاصة الدين الاسلامى ــ لا يمكن محيه بأى قوة انسانية ، فالقوة الانسانية هذه قد تتمكن من قتل الجسد ولكنه لا يمكنها الوصول الى الايمان والعقائد الفردية.

حملة جديدة على الدين في الاتحاد السوفيتي

بقلم : ن. تيودوروفتش

انه لمن الواضح جليا ان كل محاولة لخلق "الرجل السوفيتي" باتخاذ وسائل صارمة مختلفة فى تدريب المواطنين السوفييت بالروح اللادينية ، ذلك النوع من المواطن السوفيتي الذى سيكون الرجل المخلص لتعاليم الشيوعية والذى سيكون حرا من "التحزبات" الاجتماعية والدينية والوطنية السابقة ، ان تلك المحاولة لم تظفر بالنجاح المتوقع منها. هذا بالرغم من الاضطهاد الغاشم للدين الذى لعب دورا هاما ضمن الاتحاد السوفيتي اثناء العقدين الثالث والرابع من القرن الحالي. كما وان سواد الشعب ، بغض النظر عن اعتقاداتهم الدينية ، حافظوا على ايمانهم ، ولا تزال حياتهم اليومية مطبوعة بالطقوس والتقاليد الدينية المختلفة بالرغم من جميع العقبات التي توضع فى وجههم من قبل الدكتاتورية الشيوعية.

وقد أعلن المؤتمر الحادى والعشرون للحزب الشيوعي فى اوائل عام ١٩٥٩ ابتداء دور "الانتقال من الاشتراكية الى الشيوعية". وعندما يتم هذا الانتقال يتبدل المجتمع الشيوعي فلا "يبقى اثر للرأسمالية" ويتحتم على جميع شعوب الاتحاد السوفيتي ان يكونوا "دولة اشتراكية واحدة". وهذا يعني انهم سوف يفقدون فرديتهم بعد مرورهم فى بوتقة الصهر الماركسية. هذا ومنذ ان نشرت استنتاجات تقرير خروتشوف لهذا المؤتمر فى تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٨ اخذ النشاط التعليمي يزداد بين العمال ــ وخاصة الدعاية الالحادية بين هؤلاء الذين لا زالوا متمسكين بايمانهم.

وقد وصفت الحملة الجديدة ضد الدين بانها حاسمة: اى انه عليها فى هذا الوقت وضع حد للدين فى الاتحاد السوفيتي على الاطلاق. ومن اهم خصائص هذه الحملة هي تمثيل الدين بانه مناف لمصالح المجتمع ومصالح السكان عامة. وهنالك نقطة هامة ، ولو انها ليست بجديدة ، وهي ان الحملة الحالية هي ظاهريا مدعومة من قبل عامة الشعب وليس من قبل السلطات. كما ولم ينشر اى قرار للحزب عن هذا الموضوع بل تركت الحركة تتبين للملأ بان الداعي لها كان "ايعاز من جموع الشعب" ، وهي من هذه الوجهة تعيد الى الذاكرة الوسائل التي كانت تستعمل فى العقدين الثالث والرابع حيث جرى اطلاق العنان لغرائز السلب والنهب لبعض عناصر غير مسؤولة من المجتمع وحيث كان التهجم المعادى للدين على اثر ذلك صارما للغاية. ونلاحظ فى هذه المناسبة ان اللجنة المركزية للحزب قد اتخذت موقف الحياد موقتا تاركة لنفسها المجال فيما اذا دعت الضرورة اما ان تعاضد هذه الحركة او ان تحمي نفسها من اى لوم كان وذلك بشجب "الاخطاء" التي تقترفها الدوائر الدنيا فى جهاز الحزب.

هذا ولما اصبح المسلمون لا يستطيعون سوى ابداء المقاومة السلبية للثقافة وطرق الحياة الاجنبية المفروضة عليهم من قبل الكرملين ، اصبح من الضرورى اعادة الكفاح ضد الدين الاسلامى. وتبدو هذه الحملة حادة خاصة فى جمهوريات التركمان وكيركيز الاشتراكية السوفيتية . وتشكو الصحافة السوفيتية من ان تلك الحملة قد فتر نشاطها فى اذربيجان وطاجيكستان. اما المعلومات الواردة عن الوضع فى غيرها من الجمهوريات الاسلامية فهي قليلة ويمكننا ان نقف على شكل هذه الحملة عند مراجعة ما ورد فى الصحافة السوفيتية الصادرة فى المدة الواقعة بين شهرى تموز (يوليو) وايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٩.

نشرت صحيفة "برافدا" الصادرة بتاريخ ٢١ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩ مقالا اعطت فيه اهم المسببات للهجوم على الدين ، هذه الاسباب التي نشرتها او اشارت اليها غيرها من الصحف. وقال كاتب المقال فيها: "... ان الدين هو معاد لمصالح العمال... وانه بالنظر للادعاءات المنافية للعلم وتعاليمه الادبية وتمثيله الحياة بصفة معوجة يقف فى وجه البناء الشيوعي ويلهي الكثير من الشعب عن الاشتراك اشتراكا فعالا فى تحقيق غايتنا العظمى. وتقف مخلفات الحياة الدينية سدا منيعا فى وجه تقوية الصداقة بين الشعوب وتحبذ المحافظة على وجهة النظر البرجوازية الوطنية ... وقد يحدث فى كثير من الحالات ان تصحب القيام بالطقوس الدينية مخالفة النظام العمالي والحكومى ، كما وانها مضرة بالاقتصاد الوطني وتحول الاشخاص من افراد عاديين الى معتوهين روحانيين".

ووصف الاسلام خاصة بانه انما خلق من قبل الاستغلاليين لاجل استعباد واضطهاد الجماهير العاملة. وقال كاتب فى جريدة "باكنسكي رابوشي" ان "فكرة الاله الواحد تدعم تركيز القوى فى ايدى الطغاة" وانها بحسب اعتقاد انجلز، "لو لم يكن هنالك طاغية شرقى واحد لم يكن هنالك اله واحد ايضا" (١).

وقال عن الاسلام احد افراد الدعاية الاخرين ما يلي: "ان الاسلام بقرآنه ، والشريعة التي تستند عليه ، يقوم بمدح جماعة الاستغلاليين ويدعو الى القيام بالمزيد من اضطهاد العمال وخدمة الطبقة المالكة ... وقد لعب الاسلام دوما دورا رجعيا ، ودعا الى تخليد ضعف الشعب امام قوى الطبيعة ... وانه العدو العنيد للتقدم والعلم. وهذا الدين بخرافاته العقيمة يطلب ، ولا يزال يفرض ، انتظار المعجزات الفاتنة والاعتقاد بمساعدة الاله الخارقة ... كما ويفرض هذا الدين على اتباعه الجهل وعدم السماح للاراء الغير مستقيمة وامكانية القيام بجهاد مقدس ضد الكفره" (٢).

وقال الشيخ السابق الملا عباس عبدالله وهو من رعايا جمهورية كارا ــ قلبق السوفيتية الاشتراكية فى مقال له تحت عنوان "لماذا تبرأت من الاسلام" نشرتها له جريدة فى طشقند ، قال فيه ان النبي محمدا عليه السلام انما هو "محتال خداع" وجاء فى هذا المقال قوله "... اند من اجل تمجيد شخصيته وفى خدمة ملاكي العبيد ، استعمل تعاليم الديانات التي كانت منتشرة فى الزمن الذى عاش فيه ، وخاصة الديانة المسيحية ، وقام عند نقل هذه التعاليم الى الاراضي العربية بابتداع عقائد جديدة حول الاله ... وان امكانية عمل مثل هذه العملية البسيطة لم تكن منحصرة بمحمد وحده بل يمكن القيام بها من قبل اى فرد يحوز على معرفة بسيطة ... فالقرآن وقوانين الشريعة التي تستند عليه يحميان العبودية والملك وعدم التساوى الاجتماعي والحروب العدوانية..." واختتم الملا السابق مقاله قائلا: "ليس هنالك اله ، اما وجوده فهو ضرورى للاستغلالين" (٣).

---

(١) جريدة "باكنسكي رابوشي" ، باكو، تاريخ ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.
(٢) جريدة "سوفتسكايا كيركيزيا" ، فرونز، تاريخ ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.
(٣) "برافدا فوستوكا" طشقند تاريخ ٣١ تموز (يوليو) عام ١٩٥٩.

وصف الاسلام فى جميع هذه التهجمات بانه ''مهلك'' لروح الشعب ، واشير اضافة الى ذلك بان ثقافة الشعوب الشرقية قد تكون ارقى بكثير فيما لو لم يكن هنالك اسلام. وقيل ان هذا الدين هو ''دين لا رحمة فيه وانه متأخر جدا ، وخاصة فى الامور المتعلقة بالنساء ، حيث يسمح بالحط من كرامتهن وحتى بالقتل فيما اذا ابدين عدم الطاعة لازواجهن''. وهذه الملاحظات جرى تأييدها باشارات مختلفة الى سور وآيات من القرآن التي لا حاجة للقول بانها قد فسرت بصورة معكوسة.

وكانت احدى الطرق التي استعملها دعاة الالحاد السوفييت هي الحط من مركز رجال الدين فى اعين المؤمنين آملين بهذا تحويلهم عن الدين. وكانت هذه بالفعل هي طريقة الهجوم التي جرى استعمالها فى العقدين الثالث والرابع ضد أئمة الدين والديانات عامة. وقد شملت التهجمات الحالية ضد الاسلام امثلة متعددة لما دعي ''بسوء اخلاق'' أئمة الدين المسلمين الذين اتهموا بانهم يعيشون ''برفاهية'' مستندة الى عطايا المؤمنين(٤) ، وبانهم يتصفون ''بفساد العلاقات التناسلية'' او بنظرتهم الفظة نحو نسائهم(٥). وقيل عن أئمة الدين بانهم تحاشوا ''اى عمل اجتماعي مفيد'' ووصفوا بانهم خلفاء ''العصابات المناوئة للسوفييت'' وقد اتهم امام احد المساجد فى كيروفوباد بانه لا يحوز على تعليم ديني وانه يقوم بالقاء الخطب الدينية وهو فى حالة سكر(٦) ، واتهم أئمة الدين عامة بانهم سحرة ودجالون(٧).

وانه ليس من الامر الغريب ان نجد بعضا من افراد رجال الدين الاسلاميين يعترفون علنا عن سوء اعمالهم او يقومون بنشر هذا على صفحات الجرائد او فى اجتماعات مختلفة. وقد حدث مثلا ان اعترف الملا اوريفجون سوكيباييف بعد نشر جريدتي ''طاجيكستاني سوفيتي'' و''سوفييت طاجيكستا'' الاعمدة العديدة عن اعماله ، اعترف على صفحات ''ازفستيا'' كيف انه كان بالواقع ملحدا وكيف انه اصبح شيخا اسلاميا لغايات مادية وانه قرر الان الا يخدع الشعب وان يكشف القناع عن الدين الاسلامى واعمال أئمته(٨). ويمكن الاضافة ايضا ان مثل هذه الطرق التي تعتبر من نوع ''كشف القناع'' عن الدين قد استعملت من قبل الشيوعيين نحو المسيحية حيث فاه بها بعض الافراد الذين تبعوا الكنيسة لاغراض دنيوية او الذين لا يحوزون على الجرأة للدفاع عن ايمانهم ، والذين اغرتهم السلطات للاشتراك مع دعاة الالحاد.

وانه لمن الامر الواضح ، كما يستدل على ذلك من الصحافة السوفيتية ، ان رغبة المسلمين فى زيارة المزارات المقدسة هي قوية كعادتها. غير ان المحاولات المعمولة للقضاء عليها تهدف الى اثارة الرأى العام ضدها — او على الاقل انها تتظاهر بان الرأى العام هو غير راض عنها. وعلى سبيل المثال نظم اجتماع عام فى مدينة أوش فى جمهورية كرغيز الاشتراكية السوفيتية حيث جمعت التواقيع على نداء ليجرى رفعه الى السلطات الحكومية المختصة يطلب فيه منع الزيارة الى جبل سليمان غوره ، وهو الجبل المشهور بمياهه المعدنية وبالمقام المقدس الموجود على قمته. وقد جرى بالطبع

---

(٤) نفس المرجع السابق.
(٥) نفس المرجع السابق فى العدد الصادر بتاريخ السادس من آب (اغسطس) عام ١٩٥٩.
(٦) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.
(٧) ''سوفيتسكايا كيركيزيا'' تاريخ ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩ و ''برافدا فوستوكا'' تاريخ ٦ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩.
(٨) ''ازفستيا'' تاريخ ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.

الموافقة على هذا الطلب وحول المقام الى متحف (٩). وطردت حرسة المعابد فى تركمنيستان ــ كالموجودين فى مسجد الشيخ خوجه عبدالله (فى مزرعة ستالين الجماعية فى ناحية [رايون] مارس) ومسجد "بولاق بابا" (فى ناحية ايولوتان) "واصلان بابا" (فى ناحية كركى) وغيرهم ــ طردوا من مناطق اعمالهم. وقد طرد الاول بناء على "طلب اعضاء المزرعة الجماعية"، والثاني بتهمة "تعدد الزوجات" و"اعمال الشعوذة" ورفضه ارسال اولاده للمدارس. اما الثالث فقيل عنه انه "دجال" لانه ادعى بانه ينحدر من سلالة الشيخ المدفون فى هذا المقام المقدس الذى يقوم بحراسته. وقد اتهم غيرهم بانهم يعيشون "حياة طفيلية" (١٠). وليس لدينا حاليا اى معلومات عن مصير هذه المقامات غير انه يمكن الاستنتاج من التهجمات الواردة فى عدة مقالات عن الاشخاص المدفونين بها ــ اذ قيل عنهم انهم "طغاة" و"تجار" وحتى "قطاع طرق" ــ تدل انها تتعرض حاليا للهدم.

ويوجد الكثير من هذه المقامات التي يزورها الحجاج فى اذربيجان. وقد قيل للزوار الذين أموا مقام آت ــ داغه بان الجسد الذى احتوى عليه هذا المقام هو جسد "خادع الشعب" (١١). وقيل عن خدمة مقام "نصنص" بانهم "خداعون" (١٢). ونشاهد فى هذه المناسبة ايضا ان المسيحيين الذين يؤدون الحج الى الاماكن المقدسة يلاقون نفس المعاملة.

وتتعرض الاعياد الدينية للتهجم المستمر ويعتبر عيد الاضحى من قبل ابطال الدعاية بانة من بقايا الماضي الغير مرغوب فيها وانه مضر بصحة العمال: اى انه يحدث اثناء "الاحتفالات به القيام ببعض الطقوس التي تعتبر بانها مضرة لهيكل الفرد" وانها بالاضافة لذلك تعرض العمال الى "خدائع الدجالين والمنجمين والعرافين" وان هذه الاعياد تجبر الافراد للتغيب عن اعمالهم ولهذا تعتبر "مضرة للاقتصاد الوطني". ونرى مع كل ذلك ان ن. كولييف فى مقال له تحت عنوان "الدعاية الالحادية فى جمهورية (تركمان)" اوصى العمال التابعين للحزب ان يشتركوا فى احتفالات عيد الضحية لكي يقوموا "بالاعمال الثقافية ــ التربوية" بين المؤمنين ويساعدوا بهذا تحويل هذه المهرجانات الدينية الى مهرجانات "مدنية" او عامة وهذا يعني تشجيع اعمال اللهو واللعب (١٣).

وفى مقال يتعلق بطرق القيام بالاعمال المناوئة للدين فى نفس الجمهورية انتقد ك. اخورادوف مقترحات كولييف قائلا ان المواطن السوفيتي لديه الكفاية من ايام العطل الثورية وانه يرى من الافضل ان يجرى توجيه الدعايه المناوئة للدين بحيث "لا يشترك فرد واحد بعيد الاضحى المبارك" (١٤).

ومن الاسباب التي من اجلها اثارت الاحتفالات بالاعياد الرسمية حقد الشيوعيين هو انها تكون عادة المناسبه اللائقة التي يتكرم بها المحتفلون بها بالعطايا السخية على أئمة الدين، هؤلاء الاشخاص الذين يقول عنهم الشيوعيون بانهم "نهبة العمال" ووجهة النظر هذه هي احدى الوجهات التي قال فيها سوكابييف ان الدين الاسلامى هو نظام

---

(٩) "سوفيتسكايا كيركيزيا"، عشقباد، تاريخ ١٧ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٩.
(١٠) "تركمنسكايا اسكارا" عشقباد تاريخ ١٥ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩.
(١١) "ليتاراتورنايا جازيتا" موسكو تاريخ ٢١ تموز (يوليو) عام ١٩٥٩.
(١٢) "باكنسكي رابوشي" تاريخ ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.
(١٣) "تركمنسكايا اسكارا" تاريخ ٢٥ تموز (يوليو) عام ١٩٥٩.
(١٤) نفس المرجع السابق تاريخ ١٥ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩.

''غير اجتماعي'' وقال فيه: ''حدث اثناء الاحتفال بالاعياد الرسمية فى ناحية إوش فى عام ١٩٥٨ ان جمع رجال الدين المسلمون فى برهة طولها من ١٥ الى ٢٠ يوما مبالغ كافية لبناء مدرسة او عمارة تحتوى على خمس عشرة غرفة . . . وقد حدث مؤخرا ان جمع ٢٦٠٠ روبل فى اجتماعين للصلاة فى المسجد''.

وانه لمن الواضح جليا ان مثل هذه الادعاءات يقصد منها تهييج الرأى العام ضد أئمة الدين محاولين بها اثارة الغرائز الدنيا لدى الفقراء.

يقوم دعاة السوفييت بسرد قصص خيالية عن المضار التي يجلبها الصيام للمسلمين ــ ومنها انه يمكن ان يحدث على اثره وفاة الرضيع من جراء فقدان امهاتهم الصائمات لحليبهن ، او ان الاطفال الذين يذهبون للمدارس قد يصيبهم ضعف جسماني من ذلك الصيام(١٥). وانه لمن الواضح جليا ان قائلي هذه الاقوال هم اما جهلة بالحقائق او انهم يتجاهلونها ، وهي ان جميع المتدينين الذين هم من هذه الفئات هم عادة معافون من اداء فرائض الصوم.

يقوم رجال الدين تحت الظروف السوفيتية فى البحث عن طرق جديدة لنشر الدين ، وخاصة اغتنام فرص الدور الهام الذى تلعبه النساء. وقد تثير مثل هذه الاعمال الغير عادية غضب دعاة الدعاية السوفيتين ، واعتبارها بانها مخالفة لما يسمى ''العمل العادل'' او ان يقال فيها انها عمل ''غير اجتماعي'' كما نشرت ذلك جريدة كرغيزية قائلة: ''اقترح الامام اسدوللين ، امام جامع كوك يانكاك ، اقترح مرارا الى رئاسة المجمع الروحاني الاسلامى لاواسط آسيا ان يضع الضغط على المعاهد العلمية لكي يضطرها لاجبار الطلاب على احترام الاسلام ويجعله من الضرورى عليهم ان يقضوا ساعتين فى اليوم فى دراسة مبادىء الدين واصول الاسلام . . . ولما لم يحظ بمؤازرة السلطات ، استعمل اسدوللين هذا طرق الخديعة: طلب فى احاديثة الدينية . . . ان يقوم المؤمنون بالعناية بالنساء . . .''

وقد رغب اسدوللين بهذا ، كما قال عنه المراسل، ان يؤثر على ام العائلة للتدخل فى تعليم النشيء الحديث ''فى الاتجاه نحو المساجد''. هذا وقال المراسل عن اعماله ''المناوئة للمجتمع'': ''جرب هذا الامام الفقيه ان ينتهز حرية العبادة الموجودة فى هذا البلد لكي يفرض بموجبها مخدر الدين على بنائي الشيوعية المرتقبين''.

واستطرد الكاتب متحدثا كيف ان احدهم المسمى قربانوف، الامام فى ناحية ارافان فى منطقة اوش ، قام فى عام ١٩٥٩: ''باشراك امرأتين بين رؤساء المسجد'' لكي ينشر بموجب هذا كلمة الاله بين حلقات النساء و ''يؤثر على النساء الخارجات عن المبدأ بفضل اخواتهن المتدينات'' وختم بقوله ''انه لمن المخجل حقا عدم وجود احد لكي يضع حدا فى الوقت المناسب لاعمال الامامين اسدوللين وقربانوف المتحمسين ولايقاف اعمالهما الغير اجتماعية'' (١٦) .

والمسلمات اللواتي يشتركن بالفعل فى الطقوس الاسلامية لهن عديدات فى كثير من انحاء كرغيزيا واذربيجان. وهؤلاء ''الشيخات'' كما تقول عنهن الصحافة السوفيتية بازدراء يقمن بالاعمال الدينية فى البيوت الخاصة اثناء اقامة الموالد ويفسرن مبادىء الايمان لغيرهن من النساء، ويقمن بنسخ الكتب المقدسة وتوزيعها بين صديقاتهن. هذا وكلما ازدادت هذه الاعمال ازداد عدد المناسبات التي تشير اليها الصحافة السوفيتية بانها مبتدعات غريبة عن تعاليم

---

(١٥) ''سوفيتسكايا روسيا'' موسكو تاريخ ٢٧ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩.
(١٦) ''سوفيتسكايا كيركيزيا'' تاريخ ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.

الاسلام التي بموجبها ، كما تقول ، تحسب النساء ''مخلوقات دنيا'' وتمنعهن الشريعة من ان يكتبن بالقلم مطلقا ويمنعن حتى من الدراسة فى مدارس دينية'' (١٧) .

ومن اجل وضع حد لهذه الحركات وتهديد الافراد الذين يقومون بها قامت الصحافة السوفيتية بنشر اسماء النساء المعنيات بالامر ووصفت اجتماعاتهن للصلاة بانها ''اجتماعات غير قانونية'' وقالت عن اعمالهن بانها ''مخالفة للشرائع السوفيتية الخاصة بالطقوس الدينية'' كما وهددتهن بامكان جلبهن امام المحاكم. وقد اشارت بالتأكيد الى ان بعض هؤلاء الشيخات خاصة لهن اقارب بين رابطة الشيوعية الفتاة ، الذين وجه اللوم اليهم لانهم لم يتمكنوا من وضع حد لهذه الحركات الدينية (١٨) .

وانه ليس من المستغرب ان تستدر محاولات أئمة الدين المسلمين لنشر الايمان لدى النشيء الحديث شذب دعاة الدعاية السوفيتية ، وقالت فى ذلك الجريدة السوفيتية ''سوفيتسكايا كيركيزيا'' ما يلي : ''تعمل أئمة الدين المسلمين كل شيء ممكن لنشر الاسلام. ومن شاكلة هذا هي جهود الثعلب المعروف بابي القاسموف الذى قام امام اعين الاعضاء السوفييت المحليين للمزرعة الجماعية ''موسكفا'' ، الواقعة فى ناحية سوزاك ، بانشاء مدرسة واعطى بها دروسا فى الدين لجماعات من الطلاب الذين وردوا اليها من مدرسة ستالين الثانوية ومدرسة تلمان ذات السبع سنين دراسية . وكان بين طلاب ابي القاسموف هذا ابن الاستاذ كريموف وابن نائب رئيس المزرعة الجماعية خودايارووف . وقد رغب آباءهم ''المستنيرون'' بالطبع ان يصبح ابناؤهم من الملا (١٩) .

هذا ولما كان التقرير يتكلم بصيغة ''الفعل الماضي'' يمكننا الاستدلال على ان هذه المدرسة قد اغلقت وجرى معاقبة الاشخاص المعنيين بالامر.

ومن احدى وجهات ''التجدد العصرى'' للاسلام ، والتي تلاقي نصيبها من التهكم من قبل دعاة الدعاية ، هي استعمال مسجلات الصوت فى بعض المساجد حيث تعاد بواسطتها الخطب الدينية — هذا العمل الذى هو جار على نطاق واسع لدى الفئات الدينية الاخرى فى الاتحاد السوفيتي . وقد ذكر الكاتب الذى اشرنا اليه مؤخرا ان مسجل الصوت هذا يستعمل فى الحالات التي يتغيب بها الامام ''فيسرع فى سيارته الخاصة وراء كسب معيشة سهلة، كزيارة وليمة جناز مثلا'' .

وكتب سكرتير لجنة الحزب التابعة لقضاء كراشي — الشركسي المستقل تحت عنوان ''الشريعة والقرآن هما عدوا نساء الجبال'' مدعيا انه لا تزال هنالك عادات واعتقادات فى القفقاس تتطلب المكافحة لانها ''تضر بناء الشيوعية'' (٢٠) وهذه المكافحة تفسر لنا الحملة الجارية حاليا لاسكان سكان مرتفعات الداغستان وطاجكستان وايضا منطقة خفسووى، هذه المناطق التي تسكن رجالها منحدرات سلسلة جبال القفقاس فى شرقي جورجيا — لاسكانهم جبرا فى السهول بقصد تسهيل امر تشربهم ''بالثقافة السوفيتية''. وقد كان لهذه العمليات اهمية كبيرة

---

(١٧) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ٢٦ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٩.
(١٨) نفس المرجع السابق.
(١٩) نفس المرجع السابق.
(٢٠) ''سوفيتسكايا روسيا'' تاريخ ٢٧ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩.

بحيث جرى تداولها فى مؤتمر لجنة الحزب المركزية فى اواخر عام ١٩٥٨ (٢١) ، لان سكان المرتفعات هؤلاء ، الذين لم يكونوا معتادين على سكنى السهول ، قد تعرضوا للافات والامراض المختلفة بما فيها مرض العيون .

هذا ولاجل تهديد بعض المواطنين الذين يصرون على مراعاة متطلبات دينهم اخذت الصحافة تشير اليهم بالاستهزاء وتذكرهم باسمائهم . اما اعضاء الحزب الذين يؤدون الفرائض الدينية بموجب رغبات عائلاتهم فانه يلفت نظرهم الى ان مثل هذه الاعمال ''ذات الوجهين'' هي منافية لعضويتهم فى الحزب . وقد عزى استمرار العقائد الدينية فى المناطق الاسلامية ، وغيرها من المناطق فى الاتحاد السوفيتي ، الى تأثير النساء على النشىء الحديث والى ''الاعمال الواسعة'' التي تقوم بها أئمة الدين . وزعموا ان هذه هي الاسباب الوحيدة التي تفسر قلة عدد المتخرجات المسلمات من المدارس اى ما يقرب من عشرة الى خمسة بالماية فقط (٢٢) ، وانها هي السبب الذى من اجله يرد السكان من القرى البعيدة الى زيارة الدجالين والسحرة (٢٣) ، والسبب لتزايد الاعتقاد السائد بين الاتقياء من المسلمين عن فناء العالم ومجيء اليوم الآخر (٢٤) .

* * *

ولنلق الان نظرة على الطرق المستعملة فى هذه الحملة على الدين الاسلامى مبتدئين بالقواعد النظرية. بين الاقوال المأثورة عن لينين والتي يجرى الاشارة اليها مرارا هي ما يلي ، ''يجب ان نقدم لغالبية الشعب مواد مختلفة من الدعاية للالحاد ، ويجب ان نجلب ذلك الى ادراكهم فى الحالات المختلفة فى الحياة . كما ويجب علينا ان نتبع جميع السبل الممكنة لجذب اهتمامهم وايقاظهم من سباتهم الدينى ، وزعزعتهم من جميع الاطراف بواسطة مختلف الطرق الممكنة'' (٢٥).

ويضيف زعماء الدعاية السوفييت الداعون الى الالحاد ان الدعاية الالحادية يجب ان تكون ''ذات خصائص هجومية فعالة'' وانه على كل شيوعي ان يكون ''محاربا عاملا يقاتل من اجل وجهات النظر العلمية والمادية للحياة'' . وقد جرى التأكيد على انه يجب ان تكون جميع جهود معاهد التعليم موجهة نحو ''الابادة الكاملة للتحزبات الدينية''. ثم ان الحزب ورابطة الشبيبة الشيوعية ، وجميع قوى الثقافة والعلم فى المجتمع السوفيتي — المعلمون والاطباء والمؤرخون والعلماء — وجب تجنيدهم جميعا لمقاصد ''العمل الالحادى والعلمي''. وتداولت جميع معاهد العلوم فى الاتحاد السوفيتي ، وكذلك جمعية نشر المعلومات السياسية والعلمية ، مسائل الدين والالحاد .

ولم ينشر اى شيء عن اقوال خروشوف فى هذا الموضوع ، وهذا يعود الى انها متناقضة للغاية : حيث اتصف خروشوف بتغيير آرائه بحسب متطلبات الاحوال. فهو مثلا عند منحه جائزة لينين للسلم فى عام ١٩٥٩ تكلم عن احترام ''حزبه للمؤمنين (٢٦) كما وانه اثناء زيارته للولايات المتحدة كثيرا ما اشار الى الاراء الدينية فى محاولته لكسب عطف الشعب الاميركي وتحسين آمال التعايش السلمي. وخلافا لذلك فقد عبر عن وجهة نظره الغير مسالمة

---

(٢١) ''ليتاراتورا اى زيزن'' موسكو عام ١٩٥٩ الرقم ٥.
(٢٢) ''ليتاراتورنيا جازيتا'' تاريخ ١٨ يلول (سبتمبر) عام ١٩٥٩.
(٢٣) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.
(٢٤) ''ليتاراتورنيا جازيتا'' تاريخ ٢١ تموز (يوليو) عام ١٩٥٩.
(٢٥) ''كليات'' ف. ا. لينين ، الطبعة الرابعة ، المجلد ٣٣ موسكو عام ١٩٥٢ الصفحة ٢٠٤.
(٢٦) ''برافدا'' تاريخ ١٧ ايار (مايو) عام ١٩٥٩.

للدين فى محادثات له مع بعثة برلمانية افرنسية قامت بزيارة للاتحاد السوفيتي فى ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٥ ، وكذلك مع المسيو سرج جروساد مراسل ''الفيجارو'' الافرنسية فى عام ١٩٥٨ . وقد قال خروشوف للاخير ''ان العلم والايمان بالقوى الفوق الطبيعية هما مبدآن لا يلتقيان''(٢٧) .

اما ما جاء فى حديثه للجنة البرلمانية فهو : ''ان كل هذا (اى الاخلاص التي ابدته الكنيسة الارثوذكسية اثناء الحرب العالمية الثانية) لا يعني اصلا ان الشيوعيين قد غيروا من موقفهم نحو المسائل الدينية : فنحن لا زلنا متمسكين بالرأى القائل ''ان الدين هو افيون (مخدر) الجماهير'' وانه كلما ازداد عدد السكان الذين ينجون من المخدر كلما كان هذا انسب للتقدم(٢٨) .

وقد بذل الجهد الخاص منذ تأسيس النظام السوفيتي نحو تدريب رجال دعاية للالحاد وقد انشىء عدد كبير من مختلف المؤسسات للقيام بهذه العمليات ومن بين تلك المؤسسات التي ذكرت وجودها الصحافة السوفيتية فى جمهورية تركمان الاشتراكية الشيوعية هي : ''جامعة للالحاد العلمي'' فى عشقباد ، عاصمة الجمهورية ، وقد تخرج منها الدفعة الاولى البالغ عددها ٣٧ ''معلما فى الالحاد'' فى ربيع عام ١٩٥٩ ، وحلقات دراسية لدعاة الالحاد تدرب بها ٢١٨ شخصا فى الاشهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٥٩ ، بما فيهم ١٦٧ معلما ريفيا قاموا بتلقي الدراسات التكميلية ، ومركز استاذ فى ''الالحاد العلمي'' فى جميع المدارس وايضا فى ٢٦ معهدا فى عشقباد ، و''مباحثات فى الالحاد فى مجتماعات تلتئم ليوم واحد'' تعقد فى عشقباد فى ايام عطل المدارس من قبل دائرة المعارف العامة للمدينة للمعلمين (ويدخل ضمن هذه الدراسات تجارب كيماوية عنوانها ''معجزات بدون معجزات'' و ''قسم خاص بالالحاد العلمي'' لدى جامعة ولاية تركمان ومثلها من الدوائر الملحقة بمكاتب المدن والاقضية السوفيتية التي تهدف الى ''نشر المعارف السياسية والعلمية''. وبالاضافة الى كل ما ذكر سابقا لقد اشير الى ضرورة تدريب ''جيش جديد'' من دعاة الالحاد وذلك بانشاء معاهد دائمة فى مراكز التدريب السياسية وا يضا تدريب معلمين للمستقبل فى فن الخطابة امام الجماهير وفى اصول المحاورة والجدال مع اخصامهم .

وقد جرى نشر عدد كبير من كتب الالحاد فى تركمينيا وكان بين عناوين بعضها : ''العلم والدين فى ظواهر الطبيعة'' و''انتقاد علمي للاسلام'' و''الحقيقة التاريخية'' لما يسمى ''بالاماكن المقدسة'' و ''ما قاله العلم والدين عن تكوين العالم'' و ''كيف ولماذا اتت الديانة للحياة'' (مجموعة من النشرات) و ''المغزى الغير علمي للاسلام والتعليم الالحادى للعمال فى تركمنستان السوفيتية'' . وبالاضافة الى هذه المواضيع التي ذكرت سابقا جرت التوصية برفع لافتات ورسوم لجلب النظر ينشر عليها مواضيع مختلفة مثل تكوين العالم وتكوين جهاز الانسان الداخلي وتوزيع اعضائه المختلفة ومقارنتها مع اعضاء جسم الحيوان (القصد من هذا هو اثبات عدم صحة التكوين الروحاني للانسان). هذا وحثت الصحافة السوفيتية جميع الجمهوريات السوفيتية الاخرى على ضرورة اتباع المثال الذى حذته تركمينيا فى تنظيم اعمال الدعاية للالحاد.

وقد تستعمل فى هذا السبيل طرق اخرى بعضها كالتي كانت دارجة فى العقدين الثالث والرابع من القرن الحالي حيث شكلت ''فرق تحريض'' كما وعمل على القاء محاضرات خاصة عن الدين والالحاد. هذا وقد جرى تشجيع

---

(٢٧) نفس المصدر السابق العدد الصادر فى ٢٧ آذار (مارس) عام ١٩٥٨.
(٢٨) ''راسكي نوفوستي'' باريز تاريخ ٣٠ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٥.

جمعيات الشبيبة الشيوعيـة بقصد ''كشف القنـاع عن اعمـال الملا و رجال الدين و رجال المـذاهب'' وايضا انشئت ''معارض متنقلة'' لتفسير قذف الصواريخ الفضائية السوفيتية الغاية منها ''قتل الايمان بالله والملائكـة''. ويجرى ايضا اقامة ''برامج ليلية فى اسئلة واجوبـة'' فى بحث مواضيع جرى انتقاؤها بدقة بحيث تحتوى على دعاية مضادة للدين. وقـد طلبت السلطات ان تقـام هـذه المحادثات الندويـة على نطاق واسع ولاكبر عدد ممكن من الشعب. هـذا ويلعب أئمة الدين السابقون ومن كـانوا يميلون نحو الدين ثم هجروا دينهم والتجـأوا الى المخيم ''اللا الاهي''، يلعب هؤلاء دورا هاما فى امور الدعاية على صفحات الجرائد وفى الاجتماعات باستمرار. وتصرف الجهود دومـا للفصل بـين الدين وبـين الطقوس والعادات التي كـانت متصلة به فيما مضى مثل حفلة تسمية الاطفال المسلمين، وحفلات بلوغ الرشد، وتدشين البيوت المسكونـة حديثا وحفلات الزواج والمآتم وغيرها، والجمع بينها وبين ''الطقوس السوفيتية''. وقـد ابتدعت شعارات واقوال مناوئة للدين واذيعت فى امور الدعاية، ومن بين هـذه الشعارات قولهم ''اذا دعي احد الملاَ الى وليمتي وفاة فى وقت واحد مات غيظا''.

وكـان بين المقترحات الاخرى تعميم ''مؤتمرات القراء'' ليبحث بها المطبوعات المتعلقـة بامور الدين والالحاد، كما واعطيت اهمية واسعة لنشر المطبوعات المضادة للدين، ومن بينهـا اعادة نشر الكتاب الاذربيجاني ''الديموقراطي العلمي'' الذى الفه م. اخوندوف وصابر و د. ماميدخوليجه. وكذلك اعادة الحياة للمجلة الاذربيجانية ''الله سيز'' (اللا اله) وعمل المزيد من الدعاية المناوئة للدين فى المجلة الهزلية ''كيربي'' (القصاصات)، وكذلك دعوة ''مؤتمرات ابتداعية'' من قبل جمعيات كتاب سوفيتيين مختلفة لدرس امكـانية نشر ''رسائل مفيدة'' مناوئة للدين. وهنالك اضافة لـكل مـا سبق اقتراح يرمى الى التهزؤ بالاعتقاد السائد لدى المؤمنين الخاص بالنهاية المحتمة للكون.

ولا يوجد حتى الان مسرح يقام عليه تمثيليات مناوئة للاسلام، هذا النقص الذي اقترح ان تسده موقتا التمثيلية ''اولولر'' (الجثث) الذي الفها الـكـاتب الاذربيجاني جمال محمد كولوزاده. واقترح ان تذاع الافـلام التاليـة التي تحتوى على مواضيع مناوئـة للدين: ''متحف لينغراد الخاص بتـاريخ الـدين والالحاد'' الـذى يحتـوى عـلى بعض معروضات هذا المتحف، وفلم ''صدق المخلفات المقدسة'' الذى يتداول تقدسة المخلفات الدينية فى الـكنائس، وكذلك افلام ''ملك الالمـاس'' و ''القائم بالمعجزات من بيروليفو'' التي تعطي وصفاً للاستشارات التي ينشدها الشعب من السحرة.

وقـد اعطيت اهمية خاصة لطرق عقد ''محادثات قروية'' مع رجال متدينين، ويقـول رجال الدعاية للالحاد ان هـذه الطريقـة هي التي يمكن ان تعتبر اكثر فعالية من غيرها اذ انه، كما قالت الصحافة، يقلع هؤلاء الاشخاص المتحدث عنهم عن الاشتراك بالطقوس الدينية ويقدموا وعدا ''بالاقلاع عن الدين''. وهذا العمل لا يدعو للعجب لان كلا من هؤلاء ''المتحدث'' اليهم يوجه انتباه اعضاء الحزب المحليين اليـه، وفى حالـة كونـه طالبا او رب عائلة، يؤدى عدم تعاونه الى عواقب وخيمة لنفسه او لاقربائه، ويفضل على اثر ذلك القيام بما يسمى ''الحركـات الدينية المخفية''. وقـد اقترح استعمال مثل هذه المحادثات الشخصية الماكرة للافراد ''المكسورة القلب بسبب حزن ما'' او الاشخـاص ''الذين هم فى مآزق شخصية عويصة'' هؤلاء الذين يميلون الى الدين عادة لايجـاد مخرج لائق لضيقتهم. هذا ويدعو الاقتراح ان يجرى الاتصال بمثل هؤلاء الاشخاص عرضا — اى اثناء فرصة الراحة فى العمل حيث يجرى

الحديث الذى يعتبر حديث ''القلب للقلب'' والذى فيه يعد المتحدث مساعدة ذلك المسكين لكي لا يلتجيء الى طلب مساعدة ''الافراد المتدينين'' (٢٩) .

* * *

ولا يمكننا، على صفحات هذا المقال، ان نصف جميع الطرق التي اقترح اتخاذها فى الحملة على الدين غير اننا قلنا الكفاية من اجل اعطاء صورة عامة عما يحدث فى هذا السبيل. وانه لمن الواضح جليا على الاقل ان الحملة الجديدة هي بلا شك حادة والخطر الكامل للدين فى كل هجوم جديد، خلافا للوعود التي يعطيها الحزب والحكومة، يكون دوما مصطحبا بحملات الارهاب مثل التعذيب واستعمال الوسائل ''الادارية'' وحتى اتهام الفرد بانه يقترف الجرائم ''المناوئة للدولة'' وما يتبعها من الاعمال التأديبية التي تقوم بها لجنة صيانة الامن الحكومية.

وقد حكم على جميع الاعمال الدينية بانها غير اجتماعية ومضرة لبناء الشيوعية. ويجرى اثارة ''غضب'' الرأى العام على الدين لانه ''من مخلفات الرأسمالية الواسع الضرر''. ومثل هذا الادعاء يحتوى على الضرر الكامن للمؤمنين. واول علائم هذا هو الاجتماعات السياسية واجتماعات العمال وحملات الحصول على تواقيع على العرائض الداعية لاغلاق اماكن العبادة وحظر الحج وغيرها من الوسائل التي يتخذها الان ''محرضو الحزب'' فى جميع انحاء الاتحاد السوفيتي، هذه العلائم التي تعد البوادر الاولى للدلالة على اعمال المكافحة ضد الديانات عامة والدين الاسلامى خاصة، وهي اعمال تتبع نفس الطرق التي تبعتها مثيلاتها فى العقدين الثالث والرابع من القرن الحالي.

يصل الى علمنا بين الاونة والاخرى حرص المسلمين السوفييت على حماية بعض عادات دينية او شعبية قد زالت فى غيرها من البلدان الاسلامية. وما ذلك الا لان المسلمين فى الاتحاد السوفيتي يحترمون مثل هذه العادات القديمة، ويعتبرونها بانها تمثل وحدتهم الخاصة التي بموجبها يحاولون ان يقفوا فى سبيل تحويل شعبهم الى امة اشتراكية لا شخصية لها (٣٠) .

---

(٢٩) ''برافدا اوكرينيف'' الصادرة فى كييف بتاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) عام ١٩٥٩ و ''سوفيتسكايا مولدافيا'' الصادرة فى كيشينيف بتاريخ ٨ تموز (يوليو) عام ١٩٥٩ و ''ترود'' موسكو تاريخ ١٠ تموز (يوليو) عام ١٩٥٩، و ''تركمنسكايا اسكارا'' تاريخ ١٥ آب (اغسطس) عام ١٩٥٩، و ''اوشيتيلسكايا جازيتا'' موسكو تاريخ ١٢ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٩ ومحطة اذاعة ''راديوفولجا'' تاريخ ١٢ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٩.

(٣٠) ''باكنسكي رابوشي'' تاريخ ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٩.

ARABIC REVIEW

No. 4, 1960

CONTENTS

Foreword 5

Islam and Communism. By Ali Kantemir 7

Islam in Turkestan. By Berdi Murat 26

Islam in Azerbaidzhan. By Mirza Bala 63

Islam in Siberia and the European Part of the Soviet Union. By Mustafa Aytugan 82

Islam in the Northern Caucasus. By W. G. Djabagi 112

Islam in the Crimean Peninsula (1920—1944). By Dr. A. Kirimal 124

A Fresh Campaign Against Islam in the USSR. By N. Teodorovich ... 134

Verantwortlich für den Inhalt:
ALI KANTEMIR

Herausgeber und Verlag: Institut zur Erforschung der UdSSR, e.V., München 22, Mannhardtstrasse 6, Telefon 22 06 81 - 84 — Printed in Germany by Wiesbadener Graphische Betriebe GmbH, Wiesbaden.